رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تاج الدين السبكي

والقضايا الأدبية

من خلال كتابه

طبقات الشافعية الكبرى

الدكتور
عوض محمد أحمد الدالي

تقديم الأستاذ الدكتور

محمد مصطفى هدارة (رحمه الله)

أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية

توزيع
مؤسسة الريان

مكتبة دار الفتح
قطر - الدوحة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تاج الدين السبكي
والقضايا الأدبية
من خلال كتابه
طبقات الشافعية الكبرى

الدكتور
عوض محمد أحمد الدكي

تقديم الأستاذ الدكتور
محمد مصطفى هدارة (رحمه الله)
أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية

توزيع
مؤسسة الريان

مكتبة دار الفتح
قطر - الدوحة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَبِهِ نَسْتَعِين

الإهداء

إلى أبـي – رحمـه الله – الـذي لم يدّخـر وسـعاً في سـبيل تربيــتي وتعليمي، حتى استويت على الجادة – وليت أني بقدر ذلــك أوفي، سـائلاً الله له الحسنى وزيادة.

إلى التي بذلت وما بخلت، وأعطت ومــا أوعـت، أسـهرت ليلـها، وأدأبت نهارها في سبيل توفير وقت للبحث والدرس، ثــم ثـابرت وصـبرت وهي تنسخه حرفا حرفا،

إلى أم محمد

إليكما ..... عرفانا بالجميل لمن أولى الجميل

وسبحان الله ذي المنة والفضل الجزيل

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للأستاذ الدكتور

محمد مصطفى هدارة

عرفت عوض كدكى طالبا مبرزا في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة أم درمان الإسلامية في الستينات. وحين غادرت السودان كان طلابي في جامعة أم درمان من بين أجمل ذكرياتي التي عاشت في وجداني، وكانت حصاد إقامتي ثلاث سنوات في هذا البلد الحميم بوده وبصداقة رجاله.

ولم تلبث الأيام أن دارت واتصل ما بيني وبين عوض كدكى من ود حين جاء إلى الإسكندرية ليكمل دراسته العليا في جامعتها تحت إشرافي واختار موضوعا قد غاب عن أعين الباحثين وهو (تاج الدين السبكي والقضايا الأدبية من خلال كتابه طبقات الشافعية).

وتاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى الذي عاش في القرن الثامن الهجري فيما بين عامي ٧٢٧ و ٧٧١ واخترم في فترة فتوته وذروة عطائه، كان من بيت عريق في العلم، وقد أظهر نبوغا مبكرا حتى إن أستاذه شمس الدين بن النقيب أجازه بالإفتاء والتدريس في سن مبكرة. وذاع علمه في كل الأقطار الإسلامية حتى كان موئل الناس في الفتيا.

ولم يكن تاج الدين فقيها بارزا في مجتمع القرن الثامن فحسب، بل كان ذا اهتمام واسع بمعارف شتى في التاريخ والأدب والنحو والعروض والبلاغة واللغة. ولهذا جاء كتابه (طبقات الشافعية الكبرى) موسوعة تشهد على علمه الواسع الرحيب

وتتجاوز دائرة التراجم للشوافع وكان صديقا منذ فترة الصبا لصلاح الدين الصفدي أديب عصره، وبينهما مطارحات أدبية. وقد استطاع عوض كدكي ببصيرة نافذة أن يرى ما وراء تراجم الرجال في كتاب طبقات السبكي من قضايا أدبية عظيمة الأهمية تعبر عن عصره وعن عصور أدبية مختلفة، كما تعبر عن اتجاهات نقدية وبلاغية تؤلف في مجموعها ذوقا أدبيا رفيعا.

وقد ناقش السبكي آراء العلماء في رواية الشعر وإنشاده وسماعه وذلك في مقدمة كتابه الموسوعي، وأظهر أصالة رأي في موقف الإسلام من الشعر. وأبدى آراء لغوية تدل على التذوق الفني كما يدلنا رأيه في (من) التي تأتي للسببية بمعنى وجود خبر حاصل بسببها كما في قوله تعالى﴿مما خطاياهم أغرقوا﴾، كذلك يستشهد بقول امرئ القيس:

وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود

وقول الفرزدق:

يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

ويثبت السبكي في كتابه بعض أشعاره التي كانت تجود بها قريحته في مناسبات مختلفة وقد صدق حين قال (ومن نظر كتابي هذا علم كيف كان البدر يغيب وأنا شاهد، وتيقن أنه وظيفة عمر رجل ناقد، فلقد اشتمل على بحر زاخر من غرائب المسائل، وقدر وافر من عجائب الأقوال والأوجه والدلائل ... وطرف جزيل من الطرف، وباب واسع من الأدب الذي من وقف عليه من الأدباء وقف، وهاجه شوق وتوق وأسف).

ونراه في مقدمة كتابه يحلل أبيات كعب بن زهير من قصيدته اللامية (بانت سعاد) وشرح غوامض لغتها، ويعرض الأشعار التي أنشدت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ليؤكد اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالشعر، وهو يقول في ذلك (إنه كان يقبل الشفاعة والضراعة والاستعطاف بالشعر، وكيف لا وذلك من مكارم الأخلاق التي

حل النبي صلى الله عليه وسلم في ذروتها).

إن القضايا الأدبية التي عرض لها السبكي وخصها الباحث عوض كدكى بدراسته ذات أهمية كبرى في البحث الأدبي والدراسة النقدية والبلاغية وهي متشعبة ممتدة، انطلق وراءها الباحث ليوقف القارئ عليها ويسجل في أمانة جهد السبكي في الكشف عن الجوانب الإبداعية لعدد كبير من رجال الشافعية الذين ترجم لهم، وربما لا تتاح فرصة أخرى لإثبات هذا الشعر في عصر السبكي أو بعده، فيبقى كتابه مصدرا أصيلا لأشعار غفلت عنها المصادر الأخرى. ويأتي هذا البحث ليدل عليها ويهيئ للباحثين مادة هم في أشد الحاجة إلى التزود بها لاستكمال عناصر بحثهم عن الأدب في خلال مسيرة طويلة لحق بها السبكي تمتد ثمانية قرون، رحم الله السبكي وأثابه على جهده العظيم، وهيأ للباحث عوض كدكى كل الخير والتوفيق لإتاحته للمثقفين هذا العمل العلمي الذي ينم عن الدأب ونفاذ البصيرة والإبداع.

أ. د. محمد مصطفى هدارة*

رمضان ١٤١٦ هـ

يناير ١٩٩٦ م

---

* كتب هذه المقدمة قبل وفاته بعام، وتوفي والبحث ماثل للطبع فأسأل الله أن يكرم نزله، ويوسع مدخله، وأن يتغمده برحمته الواسعة، فقد كان أستاذاً جامعيا من الطراز الأول، ذا بصر ودراية بالمنهج العلمي ومهايعه، وقد عرف عنه الجد والاعتدال، فلم يستخفه هوى الدعاية والإعلام ليميل مع سدنة الدعوات المشبوهة في الأدب واللغة، بل كان حربا على دعاتها، وله مواقفه المشهورة والمشهودة رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا عن البحث:

"..... هذا البحث يحتاج إلى منة الرجال، وإلى صبر ومعاناة ولا شك أن الباحث قد بذل كل ما في وسعه وما في طاقته: صابرا دؤوبا جلدا على العمل ..... عرفت عوض كدكي منذ سني دراسته الجامعية ودرست له في جامعة أم درمان ومنذ عرفته عرفت فيه الباحث الدؤوب الجاد الباحث المنقب الذي لا يصبر على مضض أبدا في أي نقطة من نقاط البحث ولكنه يمضي ويحاول أن يجلوها ويتبين صحتها فهذا البحث ينم عن صبر ينم عن جهد ينم عن ذوق، وينم عن حسن استيعاب للمصادر والمراجع التي بلغت أكثر من مئة، ويكفي أن الكتاب وهو عدة البحث وقوامه يبلغ هذه الأجزاء العشرة التي تكون قراءتها عبئا فما بالنا إذا كانت بحثا وتدقيقا وتنقيبا ..... والجوانب المشرقة في البحث كثيرة ....."

الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة
أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية
المشرف على البحث

" ..... أشهد أن الباحث بذل جهدا مشكورا يستحق عليه الثناء والتنويه والتقدير، وهذا الجهد واضح في البحث وفي الرجوع إلى المصادر وجمع المادة والمنهج والنتائج التي توصل إليها. وأشهد أنه كان مخلصا في عمله وأنه وفر لدراسته كل مقومات النجاح وبذل في سبيل إخراجها على هذا النحو جهدا كبيرا يلمسه كل من يقرأ الرسالة ويتابع الدراسات القيمة التي تضمنتها ..... لقد نجح الباحث في الإلمام بحياة تاج الدين السبكي وروافده الثقافية وسعة ثقافته وأبرز مكانته العلمية ومنهجه في رواياته وتراجمه للأدباء ومنهجه في الترجمة ووضح محاولته الجادة

لتجلية موقف الإسلام من الشعر كما عرض لأحكامه النقدية بالتحليل والتقويم لمعرفة ذوقه الأدبي وقيمة حكمه النقدي. أعجبت وأنا أقرأ الرسالة: فقد أسند السبكي الأخبار في رواياته الأدبية إلى بعض الرواة وكثير منهم من المغمورين ولكن الباحث تعقب هؤلاء الرواة في كتب التراجم فعرف بهم وترجم لهم بما يعرف القارئ بشخصياتهم ويلقي عليهم الأضواء ..... أعجبني أيضا التصنيف الذي وضعه لاختيارات السبكي النثرية والشعرية ..... أنوه بمناقشته للنصوص التي يستشهد بها، وهذا واضح في مناقشة ما ذهب إليه أ. د. عبد اللطيف حمزة من أن أسلوب القرآن يبعث على الزينة اللفظية ..... سرني أيضا تخريج الباحث للنصوص التي يستشهد بها من كتاب الطبقات، وهذه النصوص منها القرآن والحديث والشعر والنثر وأنوه بتخريج الاقتباسات الشعرية وإسناد الأبيات إلى أصحابها من الشعراء السابقين ..... أنوه بتحليل الباحث للرسائل التي دارت بين السبكي وبعض معاصريه: فقد نجح الباحث في إظهار خصائص هذه الرسائل الموضوعية والفنية وأظهر لنا خصائص من فنون الكتابة وأغراضها في القرن الثامن الهجري وبخاصة الرسائل الإخوانية ..... أنوه أيضا بالمقارنة التي عقدها الباحث بين تراجم السبكي لطائفة من الأدباء وتراجم معاصرين للسبكي وسابقين عليه لهؤلاء الأدباء أنفسهم فقد أوضحت هذه المقارنات منهج السبكي الذي سار عليه ..... أعجبت كثيرا بمناقشة الباحث الموضوعية لأحكام صاحب الطبقات النقدية والتجرد الذي ألزم نفسه به ففي الوقت الذي توصل فيه إلى أن السبكي كان ذا ملكة أدبية ناقدة وصف بعض أحكامه النقدية بالجزئية والتعميم استنادا إلى النصوص التي بين يديه ..... وأسلوب الباحث في العرض سلس واضح لا التواء فيه ..."

الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر أحمد
المستشار بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
عضو هيئة تدريس بجامعة البحرين

"..... حكمي* على الرسالة في مجموعها أنها رسالة جيدة بكل معاني الجودة ..... جيدة في اختيار موضوعها الذي فاجأني، فعنوان الكتاب الذب بحث فيه الباحث قد لا يوحي بأننا أمام مصدر من المصادر الأدبية ذات الشأن (طبقات الشافعية) عنوان قد يوحي بأنه كتاب لا ينتمي إلى حقل الدراسات الأدبية، وقد استطاع الباحث أن يمضي في موضوعه وفقا لمنهج علمي دقيق ..... وقد عالج الموضوع في روية ودعم دراسته بعدد وفير من المصادر والمراجع فضلا عن أنه أحسن استخلاص النتائج وتميزت لغته بالدقة والموضوعية وكان موفقا في معالجة هذا الموضوع على الرغم من اتساع مداه وشدة تعقيده ..... وأقرر أن الرسالة تمثل عملا علميا موفقا: وحقيقة مواضع الجودة والاستنتاج الدقيق واللمحات والومضات الجيدة تملأ الرسالة وتنم عن إحساس جيد ولغة شديدة الإشراق والجودة"

الأستاذ الدكتور محمد زكريا عناني
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإسكندرية

---

* تمت مناقشة هذه الرسالة في يوم الأربعاء ٥ شوال ١٤٠٤ هـ الموافق ١٩٨٤/٠٧/٠٤ وأجيزت بتقدير « ممتاز ».

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بعد نكبة العلم في بغداد على أيدي التتار، وفد العلم والعلماء إلى مصر التي كانت بمنأى عن المد التتري ولعل العلماء أدركوا فداحة الخسارة التي لحقت بالميراث الفكري والثقافي من جراء الزحف التتري على بغداد، وما لقيت كتب الثقافة الإسلامية من الدمار، فشمروا عن ساعد الجد لتدوين ما بقي في ذواكرهم من هذا التراث، فاتجهوا إلى تصنيف الموسوعات وكتب التراجم، ومما ساعد على هذه الموسوعية في التأليف ديوان الإنشاء الذي كان يقتضي ممن يقوم بالكتابة فيه الإلمام بمعارف متعددة.

وشهد القرن الثامن قمما سامقة في التأليف والتصنيف من أمثال الذهبي والنويري والصفدي وتاج الدين السبكي.

في هذا العصر نشأ تاج الدين السبكي في بيت علم ودين ذي نبعة عريقة في العلم فجده لأبيه القاضي زين الدين عبد الكافي كان فقيها صالحا[1]، سمع عليه تاج الدين شيئا من الكتب وأبوه تقي الدين أبو الحسن علي المتوفى سنة ست وخمسين وسبعمائة " فقيه محدث حافظ مفسر أصولي نحوي لغوي نظار ..."[2] ولي التدريس بمدارس العصر في دمشق ومصر، وتقلب في مناصب عدة: منها قضاء الشام ومشيخة دار الحديث الأشرفية، وخطابة الجامع الأموي وألف ما يربو على مائة

---

(1) له ترجمة في الدرر في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٣٩٦/٢ الطبعة الأولى حيدر آباد سنة ١٣٥٠ هـ.

(2) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١٨٠/٦ لابن العماد الجنبلي – بيروت د ت

وخمسين مصنفا في علوم الشرع والعربية، وله رد على الشيخ ابن تيمية.

وأخوه بهاء الدين أبو حامد المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة "كانت له اليد الطولى في علوم اللسان العربي والمعاني والبيان"[1].

وأخوه جمال الدين الحسين بن علي "كان من أذكياء العالم" كما يصفه تاج الدين، وذكره القاضي صلاح الدين في "أعيان العصر" فقال: "كان ذهنه ثاقبا، وفهمه لإدراك المعاني مراقبا، حفظ "التسهيل" لابن مالك" ... "وكان يعرف العروض جيدا ..."[3].

ومن عمومته الشيخ تقي الدين أبو الفتح الذي يقول عنه تاج الدين: "كان ممن جمع بين الفقه والحديث."[4] وهو أديب شاعر. من هذه الأسرة جاء تاج الدين السبكي، قاضي القضاة، الفقيه، المحدث، الأصولي، الأديب. دفعه ولع قديم من الصبا بسير رجال العلم وأخبارهم إلى أن يصنف مصنفا يضم بين دفتيه تراجم علماء الشافعية. ويرى المحققان – اللذان قاما بتحقيق كتاب الطبقات – أن تاج الدين بدأ بإخراج طبقات الشافعيين في كتابه "الطبقات الوسطى" وكان في أثناء ذلك يعمل لإصدار موسوعته في هذا الفن التي عرفت باسم "الطبقات الكبرى"[5].

وعن "الطبقات الكبرى" يقول تاج الدين: "وهذا كتاب حديث، وفقه، وتاريخ، وأدب، ومجموع فوائد تنسل إليه الرغبات من كل حدب، نذكر فيه ترجمة الرجل مستوفاة، على طريقة المحدثين والأدبا، ونورد نكتا تسحر عقول

---

(١) الدرر الكامنة ٢١١/١ من كتبه "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"

(٢) طبقات الشافعي الكبرى ٤١٢/٩ السبكي تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ط١ عيسى الحلبي، القاهرة ١٣٨٣ – ١٩٦٤

(٣) المصدر السابق ٤١٢/٩، وانظر الدرر الكامنة ٦٢/٢

(٤) طبقات الشافعية ١٦٧/٩

(٥) المصدر السابق ٢٩/١ مقدمة المحققين

الألبا"[1]..... فاحتوى هذا المجموع على أشعار غالية الأسعار وحكايات ليس فيها شكايات، ومواعظ يصمت عندها اللافظ، ومناظرات رياضها ناضرات، ومعارضات كانت النصرة فيها مقارضات وأدلة تغدو بدورها تماما بعد أن كانت أهلة، وتعاليل ألذ عند النديم من اليعاليل، ونوادر تتبعها مواعظ وزواجر، وملح للحسن فيها لمح."[2] كانت هذه الكلمات بحق مفتاح خزائن الطبقات، بل مفتاح رياض آدابه التي تحرك فاقد الحركة[3] كما يقول تاج الدين.

وكنت على موعد مع تاج الدين السبكي، فقد أصخت بأذن صاغية إلى النداء الذي وجهه أستاذي الدكتور هدارة – وهو يقدم لبحث أحد تلاميذه عن كتاب الكامل للمبرد – إلى الباحثين "ليقدموا على الأصول القديمة ليشبعوها درسا وبحثا ويمكنوا بذلك للعربية وآدابها في نفوس الناس، ليعلو الأدب الحديث على دعائم ثابتة، ولا يبقى في معظمه – كما نراه الآن – نباتا شيطانيا يتسلق الهواء"[4].

واتجهت إلى الكتب أتخير وأستخير، حتى شاء الله أن يجمع بيني وبين تاج الدين وطبقاته.

الكتاب في تراجم علماء الشافعية، يصف تاج الدين منهجه في الكتاب فيقول "أنزلت الشافعية رضي الله عنهم في طبقات، وضربت لكل منهم في هذا المجموع سرادقات، ورتبتهم سبع طبقات كل مائة عام طبقة"[5] وقد رتب كل طبقة على حروف المعجم، وبدأ بذكر الأحمدين ثم المحمدين تيمنا وتبركا، يقول تاج الدين: "إذ أعظم مقاصدنا عند الفراغ من ترجمة كل رجل، وفي أثنائها، فإن كان

---

(١) طبقات الشافعية ٢٠٧/١
(٢) المصدر السابق ٢٠٧/١ وما بعدها
(٣) المصدر السابق ٢٠٩/١
(٤) مقدمة "المبرد ودراسة كتابه الكامل" إعداد أبي الحسن الخطيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية ١٩٧٩
(٥) طبقات الشافعية ٢٠٧/١

من المشهورين الذين طارت تصانيفهم فملأت الأقطار، ودارت الدنيا ولم تكتف بمصر من الأمصار، نظرنا فإن وجدنا له تصنيفا غريبا، استخرجنا منه فوائد، أو مسائل غريبة، أو وجوها في المذهب واهية، كتبناها، وإلا فنذكر وجها غريبا ذكر عنه، أو مقالة غريبة ذهب إليها، وشذ بها عن الأصحاب وإن كان من المقلين أعملنا جهدنا في حكاية شيء من ذلك عنه، وربما غلب الفقه ولم نر عنه في الفقه مستغربا فنقلنا عنه فائدة غير فقهية: إما حديثية أو غيرها. وربما غلب عليه الحديث، أو غيره من العلوم سوى الفقه، فأعملنا جهدنا في نقل شيء من الفقه، أو ما يناسبه عنه فإن لم نجد له شيئا لم نخل ترجمته من حكاية، أو شعر أو فائدة تستغرب"[1].

وسار على المنهج الذي رسمه فاستوفى تراجم الكثرة من الذين ترجم لهم وقصر به الإمكان في بعضها فجاءت مبتسرة، وقفت أحيانا عند ذكر الاسم فحسب.

ولقد أتحفنا تاج الدين من خلال طبقاته بتراجم مفيدة لطائفة من الأدباء كتابا وشعراء، وقد سوغ الترجمة لهم أنهم من أهل المذهب الشافعي، فهو إلى جانب إبراز نشاطهم الفقهي المتمثل في آرائهم وفتاويهم وأسانيد ما خرجوا من أحاديث أتحفنا بنشاطهم الأدبي، ولم يخل تراجمهم من الأشعار، وقد استكثر منها حين أعانته المادة فقدم لنا تراجم فنية بحق.

اعتادتني أثارة من خواطر سابقة وأنا أقرأ آثار الفقهاء الشعراء، أو الشعراء الفقهاء، وهي أشعار تنم عن حس مرهف وشاعرية دفاقة، وملكة ذواقة فذكرت ما رواه ابن خلدون عن أبي القاسم بن رضوان، قال: "أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال: ذاكرت يوما صاحبنا أبا العباس ابن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهده، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسبها له وهو هذا:

---

(1) طبقات الشافعية ٢٠٨/١

لـــم أدر حيـــن وقفـــت بـــالأطلال مـــا الفـــرق بيـــن جديدهـــا والبـــالي

فقال على البديهة: هذا شعر فقيه، فقلت له: ومن أين لك ذلك، فقال من قوله: "ما الفرق" إذ هي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب، فقلت: لله أبوك، إنه ابن النحوي"[1].

والشعر في رأيي – استعداد وملكة تشحذها دراية بأساليب البيان. ولم لا يكون فقهاؤنا الأدباء من ذوي الدراية بأساليب كلام العرب وهم قد بدأوا صلتهم بالعلم بكتاب الله أعلى نص أدبي في العربية، فيه خطاب الوجدان وصور النفس البشرية، وآيات الجمال في آفاق الكون. فهو ثروة أدبية ثمينة. هذا إلى جانب كنوز السنة النبوية المطهرة. والأدب شعرا ونثرا يمكن للغة في الأفئدة والألسن، وقد كان الشعر العربي شواهد المفسرين لكلم القرآن والحديث والعربية لا تنفك عن الإسلام، فقد جاء الإسلام بلسان عربي مبين، يقول ابن تيمية: "فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[2].

وبدأت رحلتي مع الطبقات، أتلمس وقفاته الأدبية، وأحكامه النقدية واختياراته الشعرية والنثرية، وتراجمه الفنية. وأجمع المادة المنثورة من خلال قضايا العقيدة، ومسائل الفقه، ومشكلات الخلاف، وسلاسل الأسانيد ومصطلح الحديث، ولم تعفني الفهارس المفيدة التي شفع بها المحققان النسخة التي اعتمدت عليها وهي في عشر مجلدات من التنقير والتنقيب عما انزوى أو ند من المادة مما لم تطله الفهرسة وذلك ليطمئن قلبي.

فجاء البحث في ثلاثة أبواب تضم سبعة فصول: في الفصل الأول من الباب

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٩، ط مصطفى محمد، القاهرة

(2) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٧، لابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٦٩هـ

الأول عرضت للحياة الفكرية في القرن الثامن الهجري الذي عاش فيه تاج الدين السبكي وقد شهد هذا القرن لفيفا من أهل العلم في فروع المعرفة، صنفوا وألفوا ودرسوا وكان منهم فقهاء ومحدثون، وأدباء ومنهم من جمع بين ذلك كله وعرضنا لمستوى الشعر والأدب من خلال آراء الباحثين.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب حاولت الإلمام بأطراف حياة تاج الدين وروافده الثقافية وأثر بيئته في تكوينه العلمي والأدبي، وأبرزت مكانته العلمية التي شهد له بها معاصروه وتجلت في مؤلفاته ومصنفاته التي تدل على سعة ثقافته وتنوعها.

وفي الفصل الأول من الباب الثاني عالجت رواياته الأدبية وقيمتها العلمية، وتتبعت ظاهرة الإسناد في الرواية الأدبية ومنهج تاج الدين في رواياته، وأثر ثقافته الحديثية في أسانيد رواياته، وبينت بالأمثلة آثار ثقافته الحديثية في تخريجه للنصوص وحرصه على تبيين درجات التحمل وما تميز به في أسانيده عن غيره من رواة الأدب.

وقد قام المحققان الفضلان بمقارنة بين رواية السبكي لبعض أشعار كعب بن زهير ورواية الديوان بشرح السبكي، وكذلك فعلا في روايته لأشعار الإمام الشافعي ورواية المناقب للرازي، وبين روايته لقصيدة ابن رزيق[1] ورواية ثمرات الأوراق لابن حجة، وبين روايته لأبيات حميد بن ثور التي يذكر فيها "الحمامة" وبين رواية الديوان، وهو جهد مشكور رأيت بعد مراجعته في مظانه إثباته في فصل رواياته الأدبية مع ما بدا لي من إضافات وملاحظات، ومن هذه الإضافات ما رواه السبكي من أشعار الإمام الشافعي ولم يروه الرازي في المناقب، كما أثبت الاختلاف في ترتيب الأبيات بين رواية السبكي لقصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد" ورواية الديوان وكذلك فعلت في روايته لقصيدة ابن زريق ورواية ثمرات الأوراق للقصيدة

---

(1) مطلعها:

لا تعذليه فإن العذل يولعه ۞ قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

نفسها وفي روايته لأبيات حميد بن ثور ورواية الديوان.

ثم تناولت في الفصل الثاني من الباب اختياراته النثرية والشعرية، فصنفتها على النحو التالي:

أ. رسائل إخوانية.

ب. الشعر التعليمي.

ج. المعارضات.

د. الموشحات.

ه. أدب المرأة العربية.

وعرضت من النصوص ما يكشف عن قيمة هذه الاختيارات وغزارة مادتها ويبين عن طرافتها وخصائصها، وذوق صاحبها.

وفي الفصل الثالث من الباب تناولت تراجمه للأدباء، وتتبعت منهجه في الترجمة ومدى التزامه بالشروط التي ينبغي توفرها في المؤرخ، والتي ذكرها في مفاتح الجزء الثاني من الطبقات، وعقدت مقارنة بين تراجمه لطائفة من الأدباء وتراجم معاصرين له وسابقين عليه لهؤلاء الأدباء أنفسهم فاخترت من معاصريه ابن كثير في البداية والنهاية وصلاح الدين الصفدي في كتابه "الوافي بالوفيات" ومن السابقين اخترت ابن خلكان وكتابه "وفيات الأعيان" وتراجم صاحب معجم الأدباء وصاحب اليتيمة حين تكون الترجمة حافلة مستوفاة ثم ألحقت بالبحث ثبتا بأسماء من ترجم لهم من الأدباء مرتبا على حروف المعجم، مع الإشارة إلى تاريخ الميلاد والوفاة وموضع الترجمة من الطبقات، وذكرت أحيانا شيئا مما قاله السبكي عن صاحب الترجمة. ونلحظ أن من بين من ترجم لهم السبكي أدباء معروفين، اشتهروا بالأدب أكثر من اشتهارهم بالفقه والحديث، مثل العماد الأصفهاني وعبد القاهر الجرجاني والقاضي الفاضل، والحيص بيص، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني، وعلي ابن الحسن الباخرزي وغيرهم هؤلاء لم أجد عنتا في تضمينهم ثبت الأدباء. أما من

لم يشتهر بالأدب ممن ترجم لهم السبكي، فقد وقفت إزاءهم وقفة حيطة وحذر وجعلت معيار تضمينهم مادة الترجمة نفسها فمن ذكر السبكي أن له ديوان شعر أو مصنفات في الأدب، أو وجدت في مصادر أخرى أنه من أصحاب الدواوين أو المصنفات الأدبية ضمنته الثبت. وقد أضربت عن ذكر من أورد لهم نصوصا شعرية فحسب. ذلك لأنه قل أن نجد دارسا للعلوم العربية أو مشتغلا بها ولم يمر بفترة يكتب فيها القصيدة أو القصيدتين. ولو جعلنا مجرد إيراد السبكي لأبيات من شعر المترجم ضابطا لنا في الاختيار لاتسع المجال واختلط الحابل بالنابل، لأن أغلب الفقهاء قالوا البيت والبيتين بل القصيدة القصيدتين.

وفي الفصل الأول من الباب الثالث والأخير، عرضت موضوع الشعر والإسلام من خلال معالجة تاج الدين لهذا الموضوع ومحاولته الجادة لتجلية موقف الإسلام من الشعر وقد استفرغ السبكي جهده في توظيف ثقافته الحديثية لتجلية موقف الإسلام، فقد أورد الأحاديث التي فهم بعضهم أنها على إطلاقها في ذم الشعر والأحاديث المادحة وأفلح في توجيهها والجمع بينها على طريقة المحدثين، وعرض لمتونها وتبيين درجاتها وقد تتبعت هذه الأحاديث في مظانها من كتب الصحاح، لتوثيقها والتحقق من درجاتها.

وفي الفصل الثاني من الباب الثالث والأخير عرضت لأحكامه النقدية فاستقصيت مادتها المنثورة في الكتاب وقمت بتحليلها وتقويمها لمعرفة ذوقه الأدبي وقيمة حكمه النقدي، وتلمست منهجه النقدي، ومدى عمقه في استبطان النص مع إيراد النصوص الشعرية التي كانت محورا لأحكامه النقدية، وأهم سمات هذه الأحكام النقدية ولم أغفل شروحه لبعض النصوص والتي غلب عليها الشرح اللغوي، ذلك لأن التفسير جزء من العمل النقدي.

ولم آل جهدا في محاولتي الاستفادة القصوى من مصادر هذا البحث ومراجعه ولقد تحريت الاطلاع على كل ما له صلة بالموضوع ما وسعني ذلك من المخطوط والمطبوع والإفادة منها في توجيه البحث. وجدير بالذكر أنه لم تسبق

دراسة علمية لجهود تاج الدين السبكي في الأدب واللغة والنقد، وكتابه الطبقات حافل بمادة غزيرة، ولم أجد في أثناء قراءاتي سوى الإشارات الموجزة التي تفضل بها المحققان في مقدمة الطبقات والتي تدل على أنهما تنبها إلى ميوله الأدبية. أما قيمة تراجمه للأدباء ورواياته الأدبية لم تحظ بشيء من اهتمام الدارسين.

ولقد ندت عن الباحثين[1] الذين تصدوا لموضوع الإسناد في الأدب وتحدثوا عنه من لدن علماء القرن الثاني والثالث – جهود تاج الدين في تخريج أسانيد الروايات الأدبية وتفرده بطرق وأسانيد في بعضها، وحرصه على الإسناد في جل رواياته وإفادته القصوى من ثقافته الحديثية في تبيين درجات التحمل فلم يذكروه بشيء، ولعل السبب الذي لم يجعل الاحتفاء بالطبقات كما ينبغي ما يوحي به عنوانها "طبقات الشافعية" فربما لم يدع العنوان مجالا للتفكير فيها بوصفها مصدرا أدبيا بل ربما يحمل على الاعتقاد أنه كتاب سير للفقهاء وجهودهم الفقهية فحسب.

أما بعد، فإني لا أزعم أني قد أوفيت بهذه الدراسة على الغاية أو تسنمت ذروة الكمال ذلك شأو لن يتأتى لبشر ولكني آمل أن يكون في هذا الجهد المتواضع ما ينبه الدارسين لقيمة الكتاب الأدبية.

ولا بد من عرفان الجميل لمن أولى الجميل، ولما جاء في الحديث القدسي: (لم تشكرني إن لم تشكر من أجريت ذلك على يديه) ولما جاء في الحديث: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) فإني أتوجه بالشكر الجزيل الجليل لأستاذي الدكتور محمد مصطفى هدارة – رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية – الذي أفدت من علمه عن كثب في سنوات مضت، أيام دراستي الجامعية الأولى بجامعة أم درمان وحين حالت بيني وبينه المسافات كتبت إليه فما

---

(1) مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" ود. ناصر الدين الأسد في كتابه "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية" ود. عثمان موافى في كتابه "منهج النقد الإسلامي والمنهج الأوروبي"

ضن علي بالكتابة والتوجيه على بعد الشقة وكثرة الأعباء وحين ألقيت عصا التسيار بحاضرة البحر (الإسكندرية) وجدت في أريحية صدره وفيض بره ما أعان بفضل الله على الدرس والبحث فقد ذلل الله على يديه الصعاب والعقاب وهيأ الأسباب، فأسأل الله أن يجزيه عن العلم وطلابه خير الجزاء:

فلو كان للشكر شخص يبين ... إذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه ... لتعلم أني امرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير ... يحركه الكلم السائر

كما أتوجه بالشكر والعرفان للأستاذ د. محمد عبد القادر أحمد الذي وافق مشكورا على مناقشة البحث، وعلى ما تفضل به من ثناء وحسن إشادة، وملاحظات علمية سديدة.

وعميق شكري للأستاذ د. محمد زكريا عناني الذي وافق مشكورا على مناقشة البحث وعلى ما أبداه من ملاحظات قيمة، وحسن ثناء بأسلوب البحث ومنهجه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الأول

السُبكي وعَصْره

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

الحياة الفكرية في القرن الثامن الهجري

يعد القرن الثامن الهجري قرن يقظة واسترداد أنفاس في أعقاب زحف التتار على ديار الإسلام التي عاثوا فيها فسادا وخرابا ولقيت النهضة العلمية على أيديهم دمارا مريعا، فشمر العلماء عن ساعد الجد لإحياء الإرث العلمي.

وكان لاتجاه صلاح الدين من قبل إلى تمكين الفكر السني وإزالة المذهب الشيعي أثره في الحياة الفكرية. بدأ هذا الاتجاه حين قضى على الخلافة الفاطمية وكان مما فعله صلاح الدين لزلزلة قواعد المذهب الشيعي – إبطاله الخطبة في الجامع الأزهر بفتوى القاضي صدر الدين بن درباس وإقرارها في الجامع الحاكمي لكونه أوسع[١] وهذا لم يكن إلا تبريرا[٢] لمراد صلاح الدين من إهمال الأزهر وتقليل أثره وأهميته عند الناس، لأنه كان أعرق معقل للدعوة الشيعية. بذل صلاح الدين ورجال دولته جهدا في إنشاء المدارس ودور الحديث في مصر والشام[٣] واستقدموا لها علماء السنة. ولف لفه خلفاؤه من المماليك الذين دأبوا على نشر مذهب أهل السنة في مصر والشام، وتوسلوا إلى ذلك ببناء المدارس والمساجد "وازدادت أهمية مصر في العالم الإسلامي باعتبارها قلعة الإسلام والمسلمين."[٤] وتبوأت هذه المكانة

---

(١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١٥/٢ جلال الدين السيوطي ط. إدارة الوطن مصر ١٢٩٩ هـ. وقال المقريزي "لما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فإنه قلد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين بن عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع إقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الإمام الشافعي فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر، وأقر الخطبة بالجامع الحاكمي من أجل أنه أوسع." المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ٥٣/٤ مطبعة النيل مصر ١٣٢٦ هـ

(٢) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ١٤ د. أحمد أحمد بدوي نهضة مصر القاهرة ١٩٥٣ م

(٣) انظر الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ص ٧٧ د. عبد اللطيف حمزة ط ١ دار الفكر العربي القاهرة ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٦ م والحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ٤٠ وملامح الشخصية المصرية في الدراسات البيانية في القرن السابع الهجري ص ٩١ د. مصطفى الجويني – الهيئة المصرية العامة – القاهرة ١٩٧٠ م

(٤) الأدب في العصر المملوكي "الدولة الأولى ٦٤٨ – ٧٨٣" ص ١٠٥

====

وتبوأت هذه المكانة بعد نكبة بغداد على يد التتار الذين عصفوا بالكتب والمكتبات، وأصبحت مصر قبلة العلماء الوافدين من بغداد والأندلس ودمشق[١] وكثرت فيها المكتبات ودكاكين الوراقين أسوة بما كان عليه الحال في دمشق[٢].

استشعر العلماء أهمية تدوين الثقافة التي أودت بكتبها حملة التتار على بغداد وإنقاذ ما بقي في ذواكرهم من الميراث الثقافي. ووجد العلماء التشجيع من السلاطين، فأغدقوا عليهم الأموال وفتحوا لهم المدارس، فدأبوا على الشرح والتصنيف فظهرت الموسوعات[٣] مثل: "نهاية الأرب" للنويري، "صبح الأعشى" للقلقشندي ووضع ابن منظور "لسان العرب" والفيروزآبادي "القاموس المحيط" والادوفي "الطالع السعيد" وابن شاكر الكتبي "فوات الوفيات" وابن السبكي "طبقات الشافعية" ويبدو أن النشاط العلمي للعلماء إذ ذاك لم يخل من بعض الهنات يشير إليها الادفوي في أبيات شعرية يقول فيها:

إن الدروس بمصرنا في عصرنا ... طبعت على لغط وفرط عياط
ومباحث لا تنتهي لنهاية ... جدلا ونقل ظاهر الأغلاط
ومدرس يبدي مباحث كلها ... نشأت عن التخليط والأخلاط

== د. محمد زغلول سلام دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ م

(١) يصف الذهبي في أحداث سنة سبعمائة مخرج الناس إلى مصر: "وشرع الناس في الجفل (يعني من دمشق) إلى مصر ..... وغلا الكرا وبلغ كرا المحارة إلى مصر خمسمائة ..... فسافر قاضي القضاة ابن جماعة والقاضي نجم الدين بن صصري والقاضي شمس الدين بن الحريري..." تاريخ الإسلام ورقة ١٣٢ و١٣٣ مجلد ٣٤ (خط) دار الكتب المصرية

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الثالث جـ ٧٠٩/١ للمقريزي نشر د. محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٢ ذكر المقريزي أنه في سنة إحدى وثمانين وستمائة وقعت نار بدمشق أقامت ثلاثة أيام فاحترق فيها شيء كثير منها سوق الكتبيين واحترق لشمس الدين إبراهيم الجزري الكتبي خمس عشرة ألف مجلدة سوى الكراريس

(٣) الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي ص ٣٥ أحمد صادق الجمال، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٦ وانظر الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ص ٣١٥ وما بعدها

ومحدث قد صار غاية علمه ... أجزاء يرويها عن الدمياطي
وفلانة تروي حديثا عاليا ... وفلان يروي ذاك عن أسباط
والفرق بين غريبهم وعزيزهم ... وافصح عن الخياط والحناط
والفاضل النحرير فيهم دأبه ... قول أرسطاليس أو بقراط
وعلوم دين الله نادت جهرة ... هذا زمان فيه طي بساطي
ولي زماني وانقضت أوقاته ... وذهابه من جملة الأشراط[١]

ويرى "يوهان فك" أن ثراء مصر العريض من التجارة الهندية قد هيأ الأسباب لنشاط الحياة العقلية[٢] هذا إلى جانب أنها سلمت من غزو التتار فوفد إليها العلم والعلماء وجاءها من مشرق العالم الإسلامي الخطيب القزويني وسعد الدين التفتازاني[٣] والتبريزي[٤] وغيرهم من الأدباء كصفي الدين الحلى "وكانت مصر بمدنها الكبرى من الإسكندرية شمالا إلى قوص جنوبا محطا لكثير من علماء المغرب والأندلس"[٥] وممن جاءها في هذا العصر من كبارهم ابن دحية المحدث[٦] أقام

---

(١) الدرر الكامنة ٥٣٦/١، تصحيح البيت السادس من الهامش في المتن غريرهم وغزيرهم

(٢) دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ص ٢٣٠، يوهان فك، ترجمة د. عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر ١٣٧٠ – ١٩٥١، يقول الكاتب "يوهان فك": (وقد برزت مصر إلى المكان الأول بين بلدان العالم الإسلامي ..... فقد نجت من عاصفة المغول، وصارت – تحت إمرة سلاطين المماليك بعد رد الصليبيين على أعقابهم – أولى دول الإسلام العظمى ..... ذلك أن الثراء العريض، الذي قام بمصر على أساس التجارة الهندية الواسعة المدى، في القرنين الثامن والتاسع (الرابع عشر والخامس عشر)، قد هيأ الأسباب الضرورية لنشاط الحياة العقلية وساعد على إنشاء نهضة أدبية في مصر وسورية.)

(٣) سعد الدين عالم النحو والتصريف والمعاني والبيان ولد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة بتفتازان وتوفي بسمرقند سنة إحدى وتسعين وسبعمائة "شذرات الذهب" ٣١٩/٦

(٤) فوات الوفيات ٣٨٣/٣ محمود بن شاكر الكتبي، ت ٧٦٤ هـ تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣ - ١٩٧٤

(٥) الأدب في العصر المملوكي ص ١٠٧

(٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٩٦/٦ لابن تغرى بردى، دار الكتب المصرية جـ ٣-١٢ / ١٩٣٢ – ١٩٥٦

بالقاهرة أيام الكامل الأيوبي وتولى تدريس الحديث بالكاملية، وهو صاحب كتاب "المطرب من شعراء أهل المغرب" وابن سراقة الشاطبي الأندلسي وكان أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم[١]، وكان فاضلا محدثا ولي مشيخة دار الحديث بحلب ثم ولي مشيخة الحديث بمصر ومن المفسرين القرطبي[٢]، وابن منير السكندري[٣] أحد الأئمة المتبحرين في التفسير والفقه والأصول والشعر والعربية ومن تصانيفه تفسير القرآن، وابن النقيب قدم مصر ثم توفي بالقدس[٤] درس بالعاشورية في القاهرة صنف تفسيرا حافلا جمع فيه خمسين مصنفا، والدميري الديريني[٥] وغيرهم، والعلم العراقي[٦] وكان له درس في التفسير، وفي الفقه أستاذ العصر عز الدين بن عبد السلام[٧] قدم مصر من الشام، وفي اللغة محمد بن علي بن يوسف كان إمام عصره في اللغة، وروى عنه أبو حيان وغيره. مات بالقاهرة سنة أربع وثمانين وستمائة[٨]. وكانت دمشق أيضا قبلة العلماء من كل مكان وكثر تنقلهم بينها وبين القاهرة وحفلت دمشق بالمدارس كدار الحديث الظاهرية والأشرفية[٩] وجامعها الأموي كان مركزا من مراكز العلم يتولى التدريس فيه علماء أثبات مثل الخطيب القزويني، وتقي

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢١٦/٧

(٢) طبقات المفسرين ٢٨ للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة ط ١ القاهرة ١٣٩٢ – ١٩٧٢، وذكر أن القرطبي توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة

(٣) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١٤٢/١

(٤) فوات الوفيات ٣٨٣/٣، ذكر في تفسيره أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغات والحقائق وعلم الباطن قيل في خمسين مجلدة، توفي سنة ثمان وتسعين وستمائة

(٥) طبقات الشافعية ١٩٩/٨

(٦) المصدر السابق ٩٥/١٠

(٧) خرج العز إلى الديار المصرية في حدود سنة تسع وثلاثين وستمائة انظر طبقات الشافعية ٢١٠/٨

(٨) شذرات الذهب ٣٨٩/٥، وجاء في كتاب دول الإسلام للذهبي أنه توفي سنة ستين وستمائة ١٢٦/٢

(٩) البداية والنهاية ١٣٥/١٣ لابن كثير، نشر مكتبة المعارف، بيروت والنصر الرياض ١٩٦٦

الدين السبكي وابن كثير صاحب التفسير، وكانت لطلاب العلم جرايات شهرية وللمدرسين والمعيدين وكتاب الغيبة[١].

وراجت تجارة الكتب وأقبل طلاب العلم على الكتب يقرأونها، ومنهم من يقرأ الكتب الأدبية والدينية والفلكية. ويبدو أن الوراقين كانوا يروجون كتبا غير نافعة تماما كما يفعل بعض الناشرين في زماننا هذا فينشرون كتبا وضيعة يبتغون من ورائها الكسب المادي. يقول تاج الدين السبكي في حق الناسخ "ومن حقه أن لا يكتب شيئا من الكتب المضللة ككتب البدع والأهواء كذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله بها كسيرة عنترة، وغيرها من الموضوعات المختلفة التي تضيع الزمان، وليس للدين بها حاجة، وكذلك كتب أهل المجون وما وصفوه في أصناف الجماع وصفات الخمور وغير ذلك مما يبيح المحرمات. فنحن نحذر النساخ منها، فإن الدنيا تغرهم، وغالبا فستكتب هذه الأشياء"[٢].

واهتمت الأوساط العلمية بكتب الفقه والحديث، منها مشارق الأنوار للصاغاني ومصابيح السنة للبغوي، وجامع الأصول لابن الأثير، وعلوم الحديث لابن الصلاح ومختصره المسمى التقريب والتيسير للنووي[٣].

واختلفت مواقف العلماء من كتاب الزمخشري "الكشاف" من بين مدافع ومعارض. فبينا يهاجمه ابن المنير يرد عليه العراقي[٤] وقد كان للسبكي موقف من ذلك، قال: "..... ومن العلماء فرقة ضمت إلى هذا القدر من الحكمة النظر في كتاب الكشاف للزمخشري في التفسير ..... واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه،

---

(١) طبقات الشافعية ٣٢٢/١٤

(٢) معيد النعم ومبيد النقم، تاج الدين السبكي، نشره داود ولهلم موهرمن طبعة ليدن سنة ١٩٠٨، صفحة ١٨٦

(٣) المصدر السابق ص ١١٥ وما بعدها

(٤) الدرر الكامنة ٤٠٠/٢ ذكر ابن حجر أن علم الدين العراقي وضع كتابا في الانتصار للزمخشري من ابن المنير وعوتب على ذلك فقال: "هذا الكتاب رد الرد"

ومصنفه إمام في فنه إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته يضع من قدر النبوة كثيرا، ويسيء أدبه إلى أهل السنة والجماعة، والواجب كشط ما في كتابه الكشاف من ذلك كله."[١] ويوضح السبكي ما ينبغي أن يقرأ على الناس في المساجد لكي يكون مفيدا في أمور الدين، ويقول: "بحيث يكون – ما يقرأ – مبسطا مفهوما مثل إحياء علوم الدين للغزالي ورياض الصالحين والأذكار للنووي وسلاح المؤمن في الأدعية وشفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي[٢] وكتب ابن الجوزي في الوعظ"[٣].

علماء العصر:

زاد الاهتمام بالعلوم الإسلامية: علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول، ولمعت أسماء لها وزنها العلمي منذ أواخر القرن السابع الهجري كالعز بن عبد السلام الذي وضع كتابه المشهور في علوم القرآن والتفسير "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز"[٤] وابن النقيب الذي توفي على مشارف القرن الثامن صنف تفسيرا في خمسين مجلدة ذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإعراب[٥].

ومن علماء العصر أبو حيان الذي يقول عنه السبكي إنه قدم مصر قبل سنة ثمانين وستمائة[٦] وسمع عليه الجم الغفير وأخذ عنه غالب مشيخة تاج الدين منهم والده الشيخ تقي الدين السبكي. كما تلمذ له الشيخ تاج الدين نفسه[٧] وقد صنف تصانيف سائرة منها "البحر المحيط" في التفسير و"شرح التسهيل" و"الارتشاف" و"تجريد أحكام سيبويه" و"التذكرة" و"الغاية" و"التقريب" وله في القراءات "عقد

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم ص ١١٤
(٢) هو الشيخ تقي الدين على بن عبد الكافي السبكي والد تاج الدين
(٣) معيد النعم ومبيد النقم ص ١٦٣
(٤) طبقات الشافعية ٢٤٧/٨: اسمه "مجاز القرآن" وطبع في الآستانة باسم "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" انظر هامش التحقق ٧
(٥) فوات الوفيات ٣٨٣/٣
(٦) طبقات الشافعية جـ ٢٧٧/٩
(٧) المصدر السابق ٢٧٨/٩

اللآلئ" وغير ذلك[١]. ومنهم ابن كثير العالم الحافظ المؤرخ صاحب التفسير المنسوب إلى اسمه، والزركشي صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن، وله تفسير وصل فيه إلى سورة مريم[٢] والحافظ شرف الدين الدمياطي العلامة المحدث المتقن للحديث رواية ودراية، أخذ عنه خلائق بمصر والشام والعراق ومكة وقيل إنه آخر من بقي من الحفاظ وتلمذ له صفوة من علماء العصر كالقونوى وأبي حيان وابن سيد الناس، وتقي الدين السبكي والمزي والبرزالي، والنووي، والحافظ الذهبي، حمل على الظعائن عشرين مجلدا من تصانيفه في الحديث واللغة وجمع معجم شيوخه في أربعة مجلدات[٣]. ويقول عنه السبكي: "كان حافظ زمانه وأستاذ الأستاذين في معرفة الأنساب، وإمام أهل الحديث المجمع على جلالته، الجامع بين الدراية والرواية بالسند العالي للقدر الكثير، وله المعرفة بالفقه ..... سمع من الجم الغفير والعدد الكثير بالإسكندرية، ودمشق وحلب، ولازم بها الحافظ أبا الحجاج يوسف بن خليل، وسمع بمكة والمدينة وبغداد وماردين وحماة وغيرها"[٤].

ومن أعلام العصر ابن قايماز الذهبي، كانت له يد طولى في فنون الحديث وقد مارس التأليف في غيره من العلوم بخاصة التاريخ، صنف التاريخ الكبير والتاريخ الأوسط المسمى "العبر في خبر من غبر" والصغير المسمى "كتاب النبلاء" وله طبقات الحفاظ والقراء والمعجم الكبير، وميزان الاعتدال وغير ذلك[٥] توفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. ومن حفاظ العصر المحدث المؤرخ البرزالي القاسم بن محمد ابن يوسف الإشبيلي. بلغ ما جمع من الكتب ملء أربع خزائن، وبلغ ثبت شيوخه

---

(١) طبقات الشافعية ٢٢٩/٩

(٢) النجوم الزاهرة ١٣٤/١٢، ولد الزركشي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وتوفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة

(٣) شذرات الذهب ١٢/٦ ابن العماد الحنبلي، ط بيروت د. ت

(٤) طبقات الشافعية ١٠٣/١٠

(٥) المصدر السابق ١٠٤/٩ وقد أورد السبكي قائمة بتصانيفه ومختصراته وانظر فوات الوفيات ٣١٦/٣

ومن لقيه أو كان يسمع منه أربعة وعشرين مجلدا توفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة[١]. ومن كبار علماء الشافعية بمصر ابن دقيق العيد الفقيه الشافعي كان على مذهب مالك وانتقل إلى مذهب الشافعي وصنف تصانيف مشهورة كالإلمام في الحديث وشرحه الإمام، وشرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية وله الاقتراح في أصول الدين ولم يكمله[٢] وابن سيد الناس الإمام الحافظ الأديب. مولده سنة إحدى وسبعين وستمائة ووفاته سنة أربع وثلاثين وسبعمائة إشبيلي الأصل، قدم مصر بصحبة والده ومعه أمهات الكتب، قال الذهبي: "له بصر نافذ بالفن وخبرة بالرجال وطبقاتهم ومعرفة بالاختلاف ولعل مشيخته يقاربون الألف"[٣] وقال عنه الصفدي: "كان حافظا بارعا متوعلا هضبات الأدب"[٤] ومما تجدر الإشارة إليه أن كثيرا من علماء الأندلس وفدوا إلى مصر في القرن السابع فانتعشت بهم الحركة العلمية، ولسنا بسبيل استقصاء كل من عاش في هذا العصر من أهل العلم، وإنما أردت أن أوضح ثراءه العلمي وغزارة فكره التي مثلها هؤلاء الأعلام كتابة وتأليفا وشرحا وتصنيفا في فروع المعرفة المتنوعة.

التاريخ:

من المؤرخين الذين عاشوا في هذا العصر أبو الفداء[٥] صاحب "المختصر في تاريخ البشر" وابن كثير[٦] صاحب "البداية والنهاية" وقد أخذ بمنهج التأريخ للبشرية منذ بدء الخلق، ومن المؤرخين من جعل همه التأريخ لعصر من العصور أو

---

(١) النجوم الزاهرة ٣١٩/٩

(٢) المصدر السابق ٢٠٦/٨ وما بعدها، انظر في ترجمته طبقات الشافعية ٢٠٧/٩ وانظر في ترجمة ابن دقيق العيد شذرات الذهب ٥/٦ وانظر الدرر الكامنة ٢٠٨/٤ و ٢٠٩

(٣) طبقات الشافعية ٢٦٨/٩

(٤) المصدر السابق ٢٦٨/٩

(٥) النجوم الزاهرة ٢٩٣/٩، شذرات الذهب ٩٨/٦

(٦) شذرات الذهب ٢٣١/٦

لدولة من الدول في فترة زمنية بعينها من هؤلاء أبو شامة[١] صاحب "الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية" وابن واصل في "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، وابن العديم في "تاريخ حلب"، والأدفوى في "الطالع السعيد" واشتمل كتابه على تراجم رجال الصعيد، وترجم صلاح الدين الصفدي لمن كان ضريرا من الأعيان أو أضر في حياته سماه "نكت الهميان في نكت العميان"[٢]، ومن المؤرخين الأعلام ابن الفوطى[٣] المتوفى سنة اثنين وعشرين وسبعمائة برع في التاريخ والشعر وأيام الناس كانت له يد طولى في التراجم. سود تاريخا كبيرا جدا وآخر دونه سماه "مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب" في خمسين مجلدا، ومن مؤرخي العصر الشيخ الذهبي المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة كتب عن رجال الحديث وطبقاتهم ونقد الرجال وقد كان ذا قدم راسخة في علوم الحديث وله تاريخ الإسلام قال عنه ابن تغرى بردى: "وهو أجل كتاب نقلت عنه في هذا التاريخ"[٤].

علوم اللغة:

كلف العلماء بالنحو كلفا أدى بهم إلى الإغراب والتقعر فخرجوا من حدود المعقول إلى التباصر بحوشى اللغة وغريبها، يحدثنا عن ذلك تاج الدين السبكي فيقول: " ومن العلماء طائفة استغرق حب النحو واللغة عليها وملأ فكرها فأداها إلى التقعر في الألفاظ وملازمة حوشى اللغة، بحيث خاطب به من لا يفهمه ونحن لا ننكر

---

(١) شذرات الذهب ٣١٨/٥ وانظر البداية والنهاية ٢٥٠/١٣ ذكر من كتبه "الروضتين" وشرح الشاطبية واختصار تاريخ دمشق

(٢) الدرر الكامنة ٣٧٢/١

(٣) شذرات الذهب ٦٠/٦ وانظر فوات الوفيات ذكر له التاريخ على الحوادث من آدم إلى خراب بغداد، والدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة ٣٢٠/٢ وانظر النجوم الزاهرة ٢٦٠/٩ وفيه أن ابن الفوطى ٦٤٢ – ٧٢٢ كانت له اليد الطولى في التراجم وله شعر كثير ومجموع أدبيات سماه الدرر الناصعة

(٤) النجوم الزاهرة ١٨٢/١٠

أن الفصاحة فن مطلوب، واستعمال غريب اللغة عزيز حسن، ولكن مع أهله ومن يفهمه"[١] ويحكي السبكي جانبا من إغرابهم الذي أثر عنهم من قديم فيورد القصة المشهورة عن عيسى بن عمر النحوي فيقول: "قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الوراق: ازدحم الناس على عيسى بن عمر النحوي وقد سقط عن حماره وغشي عليه، فلما أفاق قال: ما لكم تكأكأتم علي ولا تكأكؤكم على ذي جنة؟ افرنقعوا عني."[٢] ويسرد عددا من القصص المشتملة على إغراب أهل اللغة، وتكلم عن كلف بعضهم بالألغاز الشعرية واهتمام بعضهم بالألفاظ دون المعاني "ومنهم من شغل نفسه بالألفاظ وأعرض عن المعاني بحيث انتهى به الحال إلى ضرب غريب من الخطأ."[٣] كما راعت طائفة المعاني فأتيت من قبل الألفاظ[٤]. ومنهم من تعمق في الأدب فصار أكثر كلامه مسجوعا حتى انتهى به الحال إلى أن وقع في كنيف، فجاءوا بكنافين، فكلمه أحدهم لينظر أهو حي فقال: "اطلبا لي حبلا دقيقا، وشداني شدا وثيقا"[٥]. فلم ينسه ما هو فيه إصراره على السجع.

عاش في هذا العصر أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الغرناطي كان نابغة في اللغة يقول عنه السبكي "إمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء ولسان العرب الذي لكل سمع لديه الإصغاء كعبة علم تحج ولا تحج، ويقصد من كل فج."[٦] له على النحو أياد سابغة، حتى صار لا يذكر في أقطار الأرض غيره كما قال ابن حجر[٧]. تلمذ له جماعة من العلماء والأدباء في النحو واللغة والأدب: قرأ

---

(١) معيد النعم ص ١٢٧، ١٢٨
(٢) المصدر السابق ص ١٢٧ وما بعدها
(٣) المصدر السابق ص ١٣٧
(٤) المصدر السابق ص ١٤٣
(٥) المصدر السابق ص ١٤٤
(٦) طبقات الشافعية ٢٧٦/٩
(٧) الدرر الكامنة ٣٠٣/٤ وما بعدها

عليه صلاح الدين الصفدي الأشعار الستة والمقامات الحريرية وسقط الزند للمعري[١]. وأخذ عنه تقي الدين السبكي وابنه تاج الدين السبكي[٢] وجمال الدين الإسنوى وابن عقيل[٣]، وبلغت مؤلفاته نحوا من خمسين كتابا في اللغة والنحو والأدب والتفسير والتاريخ. ومن نحاة مصر ابن هشام الذي بذ أقرانه، وله مؤلفات عدة في النحو والإعراب، أشهرها "مغني اللبيب"[٤]، "شرح شواهد المغني"، "التوضيح"، "شذور الذهب" وغيرها.

العلوم العقلية:

كان للسنة الهيمنة على الاتجاهات العلمية إبان العصر الأيوبي والمملوكي، وبخاصة العلوم العقلية[٥]. وذكر ابن تغرى بردى موقف صلاح الدين من الفلاسفة وأرباب المنطق، ومن يعاند الشريعة، ولما بلغه عن السهروردي ما بلغه، أمر ولده الملك الظاهر بقتله[٦]. وكذلك فعل الملك الصالح أحد كبار أمراء الأيوبيين بالشام صاحب بعلبك فقد أمر بقتل وزيره رفيع الدين الجيلي[٧] لما عرف أنه كان فاسد

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٦٨/٥

(٢) طبقات الشافعية ٢٧٨/٩، أورد السبكي عددا من تصانيفه انظر في ذلك المصدر السابق ٢٧٩/٩ منها مختصره لمنهاج النووي واللمحة "اللمحة البدرية في نحو علم العربية" و"عقد اللآلئ" في القراءات، والبحر المحيط في التفسير

(٣) قال عنه أبو حيان "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل" حكاه الشوكاني وقال: كان إماما في العربية والمعاني والبيان، انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٣٨٦/١ للشوكاني ط ١ سنة ١٣٤٨ هـ مطبعة السعادة القاهرة

(٤) قال الشوكاني: "لم يؤلف في بابه مثله واشتهر في حياته"، البدر الطالع ص ٤٠١/١، وانظر في مؤلفاته شذرات الذهب ١٩٢/٦

(٥) الأدب في العصر المملوكي الدولة الأولى ص ١٥٩

(٦) النجوم الزاهرة ١١٥/٦، قتل بحلب سنة سبع وثمانين وخمسمائة. كان يعاني علوم الأوائل والنطق والسيمياء والنيرنجيات، انظر في ذلك النجوم الظاهرة ١١٤/٦، والنيرنجيات مفردها نيرنج بالكسر، أخذ كالسحر وليس به، والنيرنج أخذ تشبه السحر وليست بحقيقته ولا كالسحر إنما هو تشبيه وتلبيس، انظر القاموس المحيط ولسان العرب مادة (نرج).

(٧) النجوم الزاهرة ٣٥٠/٦، نقل ابن تغرى بردى عن أبي المظفر في تاريخه قيل عنه

====

العقيدة دهريا مستهترا بأمور الشرع وقد كان متميزا في الحكمة والطبيعة والطب[١]. وشدد سلاطين عصر المماليك في تعقب الفلاسفة والدهريين بإيعاز من فقهاء السنة وقضاتهم. يهاجم تاج الدين السبكي من يشتغل بالفلسفة ومن يقول بقول الفلاسفة فيقول: " قد أفتى جماعة من أئمتنا ومشيختنا ومشيخة مشيختنا بتحريم الاشتغال بالفلسفة. وأما المنطق فقد ذكرنا كلام الأئمة والشيخ الإمام الوالد فيه في أوائل شرح مختصر ابن الحاجب والذي نقوله نحن إنه حرام على من لم ترسخ قواعد الشريعة في قلبه، ويمتلئ جوفه من عظمة هذا النبي الكريم وشريعته، ويحفظ الكتاب العزيز وشيئا كثيرا جدا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة المحدثين، ويعرف من فرع الفقه ما فيه يسمى فقيها متقنا"[٢]. ثم يقول: "ورأيي فيمن أعرض عن الكتاب والسنة واشتغل بمقالات ابن سينا ومن نحا نحوه وترك قول المسلمين. قال أبو بكر وقال عمر وقال الشافعي، وقال أبو حنيفة، وقال الأشعري وقال القاضي أبو بكر إلى قوله: قال الشيخ الرئيس – يعني ابن سينا – وقال الخواجا نصير ونحو ذلك أن يضرب بالسياط ويطاف به في الأسواق، وينادى عليه: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل بأباطيل المبتدعة"[٣]. ولم يمنع هذا التشدد من الحكام وعلماء السنة من ظهور جماعة من الفلاسفة والمتكلمين[٤].

== كان فاسد العقيدة دهريا مستهترا بأمور الشريعة يخرج إلى الجمعة سكران وانظر فوات الوفيات ٥٩٦/١ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مصر ١٩٥١م، يقول ابن شاكر عن رفيع الدين "كان فقيها مناظرا متكلما متفلسفا. وكان قاضيا على بعلبك أيام صاحبها الصالح إسماعيل".

(١) أفتى ابن الصلاح الشهرزوري ت ٦٤٣ بتحريم المنطق وعد الفلسفة أس السفه والانحلال ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة. الحركة الفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي ص ٣٣٥ و٣٣٦.

(٢) معيد النعم ص ١١١

(٣) المصدر السابق ص ١١٣

(٤) الأدب في العصر المملوكي ص ١٦٠

الشعر:

يكاد الباحثون الذين كتبوا عن الشعر في عصر المماليك بعامة يجمعون على خصائص معينة لهذا الشعر، أظهرها غلبة المحسنات اللفظية عليه من جناس وطباق وتورية واقتباس وغير ذلك مما جاء ذكره في خزانة الأدب لابن حجة الحموي، وما ورد في بديعيات العصر. وقد اشتهر القاضي الفاضل والعماد الكاتب بشدة ولعهما بالمحسنات حتى قيل عن القاضي الفاضل: إنه "هو الذي عصر سلافة التورية لأهل عصره، وتقدم على المتقدمين بما أودع فيها في نظمه ونثره فإنه – رحمه الله تعالى – كشف بعد طول التحجب ستر حجابها، وأنزل الناس بعد تمهيدها بساحاتها ورحابها. وممن شرب من سلافة عصره، وأخذ عنه وانتظم في سلكه وفرائد دره القاضي السعيد ابن سناء الملك[١]، ولم يزل هو ومن عاصروه مجتمعين على درر كأسها ومتمسكين بطيب أنفاسها إلى أن جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها والواسطة في عقد جمانها كالسراج الوراق[٢]، وأبي الحسين الجزار[٣]، والنصير الحمامى[٤]، وناصر الدين حسن بن النقيب[٥] والحكيم شمس الدين بن دانيال[٦]

---

(١) هبة الله بن جعفر المشهور بابن سناء الملك الشاعر المعروف المصري أخذ الحديث عن الحافظ السلفي وله ديوان جميعه موشحات سماه "دار الطراز" مولده في حدود سنة خمس وخمسمائة توفي سنة ثمان وستمائة بالقاهرة – وفيات الأعيان ٦١/٦

(٢) أبو حفص عمر بن محمد الحسين المصري، الشاعر المشهور، مولده سنة خمس عشرة وستمائة، وتوفي سنة خمس وتسعين وستمائة، يقول ابن تغرى بردى كان إماما فاضلا مكثرا متصرفا في فنون البلاغة. النجوم الزاهرة ٨٣/٨

(٣) هو أبو الحسين الجزار المصري المولد والوفاة، أحد فحول الشعراء في زمانه مولده سنة إحدى وستمائة ومات سنة تسع وسبعين وستمائة، وله نوادر مستظرفة ومداعبات مع شعراء عصره وله ديوان شعر كبير. النجوم الزاهرة ٣٤٥/٧

(٤) النصير الحمامى. قال أبو حيان: كان بمصر وكان كيس الأخلاق، وكان يتحرف باكتراء الحمامات، وأسن وضعف عن ذلك، وكان يستجدي بالشعر توفي سنة اثنتى عشرة وسبعمائة. فوات الوفيات ٦٠٤/٢، تحقيق محمد محي الدين

(٥) يعرف بابن الفقيس وبابن النقيب، كان من فضلاء الأدباء توفي سنة سبع وثمانين وستمائة، ودفن بسفح المقطم. النجوم الزاهرة ٣٧٦/٧

(٦) الأديب الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال، مؤلف "كتاب طيف الخيال" كانت له نكت

====

والقاضي محي الدين بن عبد الظاهر[١]."[٢] ولم يخرج الشعر في موضوعاته وأغراضه عن الأغراض التقليدية المعروفة في الشعر العربي من مدح ورثاء وفخر وغزل. ويرى بعض الباحثين أن الشعر عندما غلبت عليه الزينة اللفظية، أصبح تقليدا فاتر الروح وأن الشعراء لما فقدوا المعاني والعواطف عمدوا إلى الزينة، وضرب مثلا لكثرة حلية الشعر بالفلاحة الساذجة التي ترى أن جمالها بكثرة الحلي وبروق الثياب[٣] هذا إلى جانب استعمال الألفاظ البذيئة والعامية، وكثرت المعارضات للقصائد المشهورة، وكثر التخميس والتشطير والتضمين والاقتباس[٤]، واتجه الشعراء إلى وصف الأشياء التافهة: مخدة، بساط، سجادة، وإلى الألغاز والأحاجي[٥]. وقد غلب على ألفاظه التراكيب اللينة والعبارات الركيكة، ولم يخل بعضه من جزالة في الأسلوب، وسلامة في العبارة جرى فيه بعض الشعراء على السليقة ولم يكن فيه ثمة تكلف للبديع.

حاول الباحثون تلمس الأسباب التي أدت إلى ما دمغوا به الشعر في هذا العصر فقالوا: إن السلاطين لم يكونوا عربا، وبضاعتهم من العربية قليلة، ومن ثم لم يكن لهم ذوق أدبي، من أجل هذا لم يجد الشعراء من إقبال السلاطين ما يشحذ مواهبهم[٦].

ويرى أحد الباحثين أن أسلوب الشعر في القرن السادس أقوى منه في

== غريبة وطباع عجيبة توفي سنة إحدى عشرة وسبعمائة. شذرات الذهب ٧٢/٦

(١) محي الدين عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الموقع كتاب الإنشاء بالديار المصرية، كان من سادات الكتاب ورؤسائهم وفضلائهم، مولده في سنة عشرين وستمائة بالقاهرة، توفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة. النجوم الزاهرة ٨٣/٨

(٢) خزانة الأدب ص ٢٩٨، لابن حجة الحموي، المطبعة الأميرية، القاهرة سنة ١٢٩١ هـ

(٣) قصة الأدب العالمي ٤٩٢/٢ أحمد أمين وزكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٣

(٤) شعر صفي الدين الحلى ص ٣٩ جواد أحمد علوش، بغداد مطبعة المعارف ط ١ ـ ١٩٥٩ م

(٥) صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى النهضة الحديثة ص ٩٣ عبد الحميد حسن دار الفكر العربي ط ١ سنة ١٩٥٠ م

(٦) صفحات من الأدب المصري ص ٩٣

القرن الذي تلاه، حتى إذا وصلنا إلى منتهى السابع رأينا بونا شاسعا في القوة بينه وبين شعر القرن السادس، ومرد ذلك – عنده – إلى ما كانت تقوم به الدولة الفاطمية – خلفاؤها ووزراؤها – ودولة نور الدين وصلاح الدين من تشجيع للشعر وإنهاض له[١].

وهذه أسباب – في رأيي – جانب أصحابها الصواب شيئا ما، فالشعر تعبير عن تجربة شعورية يعيشها الشاعر ويعانيها، ثم يعبر عنها في صدق أداء فني من غير تعمل ولا تكلف، أما أن نتلمس لجودة الشعر دوافع خارجية كإقبال الحكام على الشعراء وإجراء الهبات والأعطيات، فهذا خروج بالشعر عن طبيعته. فالشعر الذي يقصد به منشؤه استجداء الهبات ورضاء أولي الشأن إنما هو شعر مصنوع، كتب لغاية ليس للفن فيها نصيب، وأجدر به حينئذ أن يكون ضعيفا متكلفا فاترا، لا حس فيه ولا وجدان. ومن ثم يحاول صانعه أن يزين عطله ويسد خلله بالمحسنات البديعية. فإن جاز لنا في شيء من التجوز أن نربط بين شعر المديح والهبات، فكيف يجوز لنا أن نربط بينها وبين الشعر الذي ينبع من وجدان الشاعر.

النثر:

كان البديع مذهبا فنيا في الكتابة وتذوق الأدب شعرا ونثرا وهو الغالب على مدرسة القاضي الفاضل، وكان يتأثر القاضي الفاضل ويتأسى به جماعة من معاصريه كابن سناء الملك، ومن جاء بعده، من التابعين بإحسان إلى أن جاءت ..... زمرة تترى فكلهم يرمون عن قوس واحدة ..... كأبي الحسن الجزار والسراج الوراق والنصير الحمامي ....."[٢] وابن نباتة[٣] وصلاح الدين

---

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ٦٥٠، د. أحمد أحمد بدوى، نهضة مصر، القاهرة سنة ١٩٥٣

(٢) خزانة الأدب ٦٧ نقله ابن حجة من "فض الختام عن التورية والاستخدام" للصفدي

(٣) يقول الصفدي عن ابن نباتة "سلك منهج القاضي الفاضل رحمه الله وحذا حذوه ..." انظر ألحان السواجع، "مخطوط" تحت رقم ١٢٧٦ ب مجموعة في الأدب.

====

الصفدى[١] ويعد الصفدي حامل لواء الجناس، فقد كلف به كلفا شديدا حتى ألف في تقريظه كتابه "جنان الجناس" يقول ابن حجة الحموي في خزانة الأدب[٢] "إنه كان يستسمن ورمه ويظنه شحما، فيشبع أفكاره منه، ويملأ بطون دفاتره ويأتي فيه بتراكيب تخف عندها جلاميد الصخور كقوله غفر الله له:

ونم في أمان بالحبيب ولا تخف لقائط واش في لقاء طواشي

قال ابن حجة: "ما أظرف ما وقع له من الشيخ جمال الدين بن نباتة وذلك لما وقف على كتابه (جنان الجناس) وقد اشتمل على كثير من هذا النوع، أي من الجناس الثقيل، قرأه جنان الخناس وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه[٣]".

وجدير بالذكر أن الصفدي المنتقد من معاصريه بإغراقه في التجنيس يتكلم عن العماد الكاتب وينعى عليه إسرافه في التجنيس فيقول: "إنما لطف نظمه بالنسبة إلى نثره، لأن الوزن كان يضايقه فلا يدعه يتمكن من الجناس. وقد عاب الناس ممن له ذوق ونظرة سليمة كثرة التجنيس، لأنه دليل التكلف، وقالوا: كلما قل كان أحسن"[٤]. ثم يقول: "وانظر إلى القرآن والأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة والسلف. هل نجد الجناس في ذلك كله إلا أقل من غيبة الرقيب، أو وصل

== مكتبة محافظة الإسكندرية. وذكر ابن حجة أن ابن نباتة قد أثر في معاصريه كالشيخ الصفدي والشيخ زين الدين بن الوردى والشيخ برهان الدين القيراطى، وذكر جماعة من مصر والشام، انظر خزانة الأدب ص ٣٦٧

(١) هو صلاح الدين خليل بن أيبك الناظم الناثر روى السبكي أن الصفدي قال له: إنه كتب أزيد من ستمائة مجلد تصنيفا، صنف في التاريخ والأدب، ومن أشهر كتبه الوافي بالوفيات، ولد سنة ست وتسعين وستمائة وتوفي سنة أربع وستين وسبعمائة، ترجم له السبكي في الطبقات ٥/١٠

(٢) خزانة الأدب ص ٢٦ وانظر كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام ص ٥ لابن حجة الحموي، المطبعة الأميرية، القاهرة سنة ١٢٩١ هـ

(٣) خزانة الأدب ص ٢٦، ٢٧

(٤) الوافي بالوفيات ١٣٢/١ وما بعدها، صلاح الدين الصفدي ط ٢ باعتناء هلموت ريتر، فنسنادن ١٣٨١ - ١٩٦٢

الحبيب" ثم يستشهد بعبارات للعماد، فيقول: "لما كان هذا خاليا من الجناس عذب في السمع وقعه واتسع في الإحسان صقعه، ورشف اللب مدامه، وكان عند من له ذوق أطرب من تغريد حمامة"[١].

وهنا يرد سؤال: هل غير الصفدي موقفه من الجناس؟ أو أن تطبيقه ينافي تنظيره؟. وكما هو واضح فإن الكتابة في هذا العصر لم تسلم من الزينة اللفظية بأنواعها.

يورد الصفدي للعماد قوله: "ورد الكتاب الكريم الأشرف، الذي كرم وشرف، وأسعد وأسعف، وأجنى العز وأقطف، وأوضح الجد وعرف، وقوى العزم وصرف ... ثم يقول: فانظر إلى قلق هذا الترتيب وكل كلامه من هذا النمط، وغالب ما ينشئه إذا تحامل السمع له سقط. ولم يكف هذا أنه يكثر من رد العجز على الصدر كقوله "وسر أولياءه وأولى مسرته، وأقدر يده وأيد قدرته ..." وله رسائل التزم في واحدة "الدال" في كل كلمة و"الضاد" في الأخرى، والميم والشين في أخرى وأشياء من هذا النمط الذي يقذفه السمع ويمجه، ويقطعه الإنكار ويحجه"[٢].

يتضح من ذلك أن نقد الصفدي ينصب على شكل الكتابة وما يتعلق بالزينة اللفظية وقد شاع في لغة النثر استعمال السجع والمحسنات البديعية، إذ جعل الناس أسوتهم "مقامات الحريري" المكتظة بألوان الزخارف اللفظية وربما كان لديوان الإنشاء أثر كبير في الاهتمام بالنثر[٣]، لأنه كان يختار له البارع من الكتاب مما جعل الكتاب يجتهدون في تسنم قمته. فدأبوا على تجويد إنشائهم والأخذ بأسباب البراعة في الأسلوب، وتنوعت أغراض الكتابة: من كتابة سلطانية إلى كتابة إخوانية ومن

---

(١) الوافي بالوفيات ١٣٤/١

(٢) المصدر السابق ١٣٤/١ و ١٣٥

(٣) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ٥٦١، وانظر الحركة الفكرية في مصر، عبد اللطيف حمزة ص ٢٨

كتابة مهمتها الإصلاح إلى كتابة تاريخية. وكان للسجع درجة كبيرة من الاهتمام واحتجوا له بأن القرآن قد أتى منه بالكثير ثم شرطوا الاعتدال في مقاطع الكلام، وأن يكون اللفظ تابعا للمعنى، وأن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة[١]. وبلغ بهم الولع بمقامات الحريري أن حاكوها فكتبوا على نهجها وكان ممن فعل ذلك الحسن بن صافي الذي كان يقول: "مقاماتي جد وصدق ومقامات الحريري هزل وكذب، وعلق صاحب النجوم الزاهرة بقوله: ولكن بين ذلك أهوال"[٢]. وحظيت المقامات بشروح كثيرة كشرح ابن ظفر الصقلي[٣]، ومنها شرح المسعودي الذي أشاد به ابن خلكان[٤]. وهذا الاحتفاء الكبير بمقامات الحريري يدل على ولع الكتاب الناثرين بالمحسنات والزخارف اللفظية، وقد شاع السجع في الكتابة شيوعا ظاهرا، نرى ذلك في كتابات العصر: مثل كتابات الصفدي، وابن نباتة والسبكي، وكثر الاستشهاد بالشعر في أثناء الكتابة.

ولقد كان العصر – بعامة – عصر استحياء للميراث الثقافي وتدوينه، فلا عجب أن تحظى بعض القصائد المعروفة بشرح العلماء، كمقصورة ابن دريد وقصيدة بانت سعاد[٥] ولامية العجم، وقصيدة ابن عبد ربه التاريخية "الدهر يفجع بعد العين بالأثر"[٦].

في هذا العصر الذي استجلينا أهم سماته الفكرية، وعناصر أنشطته الثقافية،

---

(١) المثل الثائر في أدب الكتاب والشاعر، القسم الأول ص ٧٥ و٧٦ بتصرف، لضياء الدين بن الأثير تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر ط ١، ١٣٧٩ - ١٩٥٩. ويضيف ابن الأثير "أعني بقولي غثة باردة، أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة".

(٢) النجوم الزاهرة ٦٨/٦

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٦٠، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة بيروت

(٤) وفيات الأعيان ٥٢/١ لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٦٨

(٥) طبقات الشافعية ٢٣٤/١ وما بعدها

(٦) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ٤٤

وجهود علمائه العلمية. ولد تاج الدين السبكي في بيت علم وفقه ودين، ووجد من علوم عصره روافد استمد منها عقله الذكي، وحصل من علوم العصر ما جعله يتبوأ مكانا مرموقا بين معاصريه، وفي الفصل الثاني سنلم – إن شاء الله – بأطراف حياته الخصبة، ونشاطه الفكري الثر.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

السبكي وروافده الثقافية

قاضي القضاة تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ابن علي بن تمام السبكي الشافعي، ولد سنة سبع وعشرين وسبعمائة، ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة[١]، وقال السيوطي: ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة[٢] وذكر النعيمي أنه ولد بالقاهرة، قيل سنة سبع وقيل سنة ثمان وعشرين وسبعمائة[٣]. وحاول (موهرمن) تحقيق سنة ولادته، فقال: إن معظم المؤرخين يجمعون على أن تاج الدين توفي عن أربع وأربعين سنة، وأن وفاته حدثت سنة إحدى وسبعين وسبعمائة. وهذا يرجح أن سنة سبع وعشرين وسبعمائة هي سنة ميلاده[٤].

نسبه:

هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي أبو نصر تاج الدين بن تقي الدين، يرجع نسب أسرته إلى الأنصار من الخزرج يقول تاج الدين: "نقلت من خط الجد رحمه الله نسبتنا معاشر السبكية إلى الأنصار رضي الله عنهم"[٥]. ولم يكن والده يخط في نسبهم بخطه الأنصاري قط وإنه كان يترك ذلك لوفور عقله، ومزيد ورعه فلا يرى أن يطرق نحوه طعن من المنكرين ولا أن يكتبها مع احتمال عدم الصحة، خشية أن يكون دعا نفسه إلى قوم وليس منهم، وقد كان يسمع الشعراء وهم يمدحونه ولا يخلون قصائدهم من ذكر نسبته إلى الأنصار وهو لا ينكر ذلك عليهم. وكان رحمه الله أورع وأتقى لله من أن يسكت على ما يعرفه باطلا."[٦]

---

(١) الدرر الكامنة ٤٢٧/٢، وذكره الشوكاني في البدر الطالع ٤١٠/١

(٢) حسن المحاضرة ١٨٢/١

(٣) الدارس في تاريخ المدارس ٣٧/١ للنعيمي الدمشقي تحقيق جعفر الحسيني، المجمع العلمي العربي دمشق سنة ١٩٤٨

(٤) مقدمة معيد النعم الإنجليزية ص ١٤ و١٥ جاء في دائرة معارف القرن العشرين مجلد ٢٨/٥ أنه توفي سنة ست وخمسين وسبعمائة. وهذه سنة وفاة والده تقي الدين انظر في سنة وفاة والده، دائرة المعارف الإسلامية ص ٢٦٠

(٥) طبقات الشافعية ٩١/١٠

(٦) المصدر السابق ٩٢/١٠ وما بعدها في شيء من التصرف

وكان أبوه تقي الدين من العلماء المعدودين "ولد بسبك من أعمال المنوفية في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة، قال الإسنوي: "كان أنظر من رأيناه من أهل العلم ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلاما في الأشياء الدقيقة"[١].

وجده من قبل أمه هو الخضر بن الحسن بن علي الوزير قاضي القضاة برهان الدين السنجاري[٢]، وهذا يدل على أن أم تاج الدين من بيت علم. وجد السبكية علي بن تمام وقد ذكر ابن حبيب أنه كان قاضيا، ويلقبه بضياء الدين[٣].

ينسب السبكية إلى قرية "سبك" ويوجد في مديرية المنوفية سبكان إحداهما بمركز منوف واسمها "سبك الضحاك" والأخرى بمركز أشمون، واسمها "سبك العويضات" وقد حقق محمد الصادق حسين أن السبكية من سبك العويضات[٤].

تلقى تاج الدين تعليمه الأولي في القاهرة، ويعد أبوه تقي الدين مدرسه الأول – ولا غرو – فقد كان علما من أعلام العصر في العلوم الإسلامية، وكان لنشأة

---

(١) حسن المحاضرة ١/١٧٧، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ "سمعت من العلامة ذي الفنون فخر الحفاظ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، صاحب التصانيف، ولد سنة ثلاث وثمانين وستمائة، كان جم الفضائل حسن الديانة، صادق اللهجة قوي الذكاء، من أوعية العلم. توفي سنة ست وخمسين وسبعمائة". تذكرة الحفاظ ٤/٢٠٠

(٢) طبقات الشافعية ٨/١٤٣

(٣) درة الأسلاك في دولة الأتراك لابن حبيب دار الكتب مخطوط من خط ١٣٥٨ هـ ٢/٢٤٠، ٢٨٦، ٣٣٥

(٤) البيت السبكي ص ٩٠ وما بعدها. ذكر صاحب القاموس المحيط – وهو من تلاميذ تقي الدين السبكي – في مادة سبك: سبك الضحاك بالضم قرية بمصر. و"سبك العبيد" أخرى بها منها شيخنا علي بن عبد الكافي. وانظر تاج العروس مادة سبك. وجاء في الهامش ٧ من الجزء التاسع من النجوم الزاهرة ص ٣٠٧ "السبكي نسبة إلى سبك وهو اسم لقريتين قديمتين في مصر، إحداهما "سبك الضحاك" ويقال لها "سبك الثلاث" لانعقاد سوقها يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وهي الآن إحدى قرى منوف بمديرية المنوفية وهي التي ينسب إليها عبد الكافي (جد تاج الدين لأبيه) المذكور كما ورد في حسن المحاضرة، والقرية الثانية "سبك العبيد" أو "سبك العويضات" وتسمى اليوم "سبك الأحد" لانعقاد سوقها يوم الأحد إحدى قرى أشمون بمديرية المنوفية بمصر.

تاج الدين في ظل هذا الرجل أثر كبير في استعداده للنبوغ في العلم، فقد تفتحت عيناه في بيت علم ودين، ورأى أهل العلم يجلسون إلى أبيه يعالجون قضايا العلم، وكان لأبيه تأثير كبير على توجيهه والإشراف على تربيته وتعليمه، تلمذ تاج الدين في القاهرة لصفوة من علماء العصر.

ولما صحب أباه إلى دمشق سنة تسع وثلاثين وسبعمائة – وكان في الثانية عشرة من عمره – أخذ علوم الحديث على الشيخ الحافظ المزي[١] والحافظ الذهبي[٢]. وقد كان أبوه يشرف على تربيته وتوجيهه وله منهج لطيف في ذلك. يتابع تحصيله في حلقات المشايخ، يحكي تاج الدين عن رعاية أبيه له فيقول: "... وكنت كثير الملازمة للذهبي أمضي إليه كل يوم مرتين: بكرة والعصر. وأما المزي فما كنت أمضي إليه غير مرتين في الأسبوع، وكان سبب ذلك أن الذهبي كان كثير الملاطفة والمحبة في بحيث يعرف من عرف حالي معه أنه لم يكن يحب أحدا كمحبته في، وكنت أنا شابا فيقع ذلك مني موقعا عظيما وأما المزي فكان رجلا عبوسا مهيبا وكان الوالد يحب أن ألازم المزي[٣] أكثر من ملازمة الذهبي لعظمة المزي عنده، وكنت إذا جئت – غالبا – من عند شيخ يقول: هات ما استفدت، ما قرأت، ما سمعت، فأحكي له مجلسي معه، فكنت إذا جئت من عند الذهبي يقول: جئت من عند شيخك. وإذا جئت من عند الشيخ نجم الدين القحقاري، يقول جئت من جامع سكر[٤] لأن الشيخ نجم الدين كان يشغلنا فيه، وإذا جئت من عند الشيخ شمس الدين بن النقيب يقول: جئت من الشامية، لأني كنت أقرأ عليه فيها فإذا

---

(١) انظر ترجمة تاج الدين له في طبقات الشافعية ٣٩٥/١٠ وما بعدها

(٢) ترجم له تاج الدين في طبقات الشافعية ١٠٠/٩ وانظر الدرر الكامنة ٤٢٦/٢

(٣) هو جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي الدمشقي انظر تذكرة الحفاظ ٢٩٠/٤ للذهبي، اعتنى بطبعه السيد مصطفى علي، مطبعة دائرة المعارف، حيدر آباد

(٤) قال المحققان لعله جامع تنكز، انظر مقدمة التحقيق، طبقات الشافعية ٦/١ هامش رقم ١

جئت من عند الشيخ أبي العباس الأندرشي يقول جئت من الجامع، لأني كنت أقرأ عليه فيه. وهكذا وأما إذا جئت من عند المزي فيقول: جئت من عند الشيخ، ويفصح بلفظ الشيخ ويرفع بها صوته. وأنا جازم بأنه كان يفعل ذلك ليثبت في قلبي عظمته، ويحثني على ملازمته."[١]

وهؤلاء مشايخه بدمشق، الذين سمع منهم، ويضيف ابن حجر أنه سمع من زينب بن الكمال[٢]. وهذا الذي حكاه تاج الدين عن أبيه، يوضح لنا مدى تعهد أبيه له بالمتابعة والإشراف على تكوينه العلمي، وقد أفاد تاج الدين من سماعه على مشايخ العصر وأعلامه فقد كان نابغة نابها، جعله هذا النبوغ المبكر محط أنظار معاصريه وموضع اهتمام مشايخه به. فقد أذن له ابن النقيب بالإفتاء والتدريس، ودرّس في غالب مدارس دمشق، وناب عن أبيه في الحكم، وولي دار الحديث الأشرفية بتعيين أبيه، وولي توقيع الدست سنة أربع وخمسين وسبعمائة وولي خطابة الجامع[٣]. وقد أجاز له ابن الشحنة ويونس الدبوسي وأسمع على يحيى بن المصري وعبد المحسن بن الصابوني وابن سيد الناس، وصالح بن مختار وعبد القادر بن الملوك وغيرهم. ثم سمع بدمشق من زينب بنت الكمال وابن أبي اليسر، وقرأ بنفسه على المزي ولازم الذهبي وتخرج بتقي الدين بن رافع، وأمعن في طلب الحديث ... مع ملازمة الاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مهر وهو شاب وخرج له بن سعد مشيخة حدّث بها وأجاد في النظم والخط والنثر."[٤]

ولم يقف طموحه عند السماع والتلقي على هؤلاء الجهابذة الأعلام وإنما شمر عن ساعد الجد ودأب على التحصيل بنفسه بهمة عالية قال ابن العماد الحنبلي

---

(١) طبقات الشافعية ٣٩٩/١٠

(٢) الدرر الكامنة ٤٢٦/٢، وذكر ذلك ابن تغرى بردى في المنهل الصافي و المستوفى بعد الوافي، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١١١٣ تاريخ

(٣) الدرر الكامنة ٤٢٦/٢

(٤) المصدر السابق ٤٢٥/٢ وما بعدها

"طلب بنفسه ودأب"[١] وقال ابن حجر "أمعن في طلب الحديث وكتب الأجزاء والطباق مع ملازمة الفقه والأصول والعربية حتى مهر وهو شاب"[٢] وجاء في شذرات الذهب "أجازه ابن النقيب ولما مات ابن النقيب كان عمره ثماني عشرة سنة"[٣] وهذا يدل على أن تاج الدين قد تمكن في العلم وهو شاب حدث ويعلم له فضله من علم أن العلماء ما كانوا يجيزون أحدا إلا بعد تمكن وإتقان وإجادة. وقد بلغ من نبوغه أن ترجم له شيخه الذهبي في المعجم المختص[٤]. قال: "كتب عني أجزاء نسخها وأرجو أن يتميز في العلم، درس وأفتى وعني بهذا الشأن". وقال عنه الحافظ شهاب الدين بن حجى: "خرج له ابن سعد مشيخة ومات قبل تكميلها وحصل فنونا من العلم: منها الفقه والأصول، وكان ماهرا فيه، والحديث والأدب، وبرع وشارك في العربية، وكان له يد في النظم والنثر، جيد البديهة ذا بلاغة وطلاقة لسان وجراءة جنان، وذكاء مفرط وذهن وقاد صنف تصانيف عدة في فنون، على صغر سنه وكثرة أشغاله قرئت عليه وانتشرت في حياته وبعد موته."[٥].

ومما يدل على أن النجابة والنباهة قد أثمرت ثمرتها وآتت أكلها بتعهد والده له، واهتمامه به ما يحدث به تاج الدين في ترجمة شيخه المزي. أنه شغر مرة مكان بدار الحديث الأشرفية فنزلني فيه، فعجبت من ذلك، فإنه كان لا يرى تنزيل أولاده في المدارس. وها أنا لم آل في عمري فقاهة في غير دار الحديث، ولا إعادة إلا عند الشيخ الوالد، وإنما كان يؤخرنا إلى وقت استحقاق التدريس على هذا ربانا رحمه الله. فسألته فقال: ليقال إنك كنت فقيها عند المزي ولما بلغ المزي ذلك

---

(١) شذرات الذهب ٦/٢٢١
(٢) الدرر الكامنة ٢/٤٢٦
(٣) شذرات الذهب ٦/٢٢١
(٤) نقلا عن الكتاني في فهرس الفهارس، وجاء في الدارس في تاريخ المدارس أنه لازم الذهبي وتخرج به وطلب بنفسه ودأب ١/٣٧
(٥) شذرات الذهب ٦/٢٢١، ٢٢٢، وانظر الدرر الكامنة ٢/٤٢٧

أمرهم أن يكتبوا اسمي في الطبقة العليا.فبلغ ذلك الوالد فانزعج وقال: خرجنا من الجد إلى اللعب، لا والله عبد الوهاب شاب، ولا يستحق الآن هذه الطبقة اكتبوا اسمه مع المبتدئين، فقال شيخنا الذهبي: والله هو فوق هذه الدرجة وهو محدث جيد. هذه عبارة الذهبي، فضحك الوالد، وقال: يكون مع المتوسطين[١].

صنف تاج الدين تصانيف عدة تدل على علمه وفضله في تمكنه من فنون العلم التي استوعبها عقله الذكي كما وصف بطلاقة اللسان[٢]، وقوة التعبير وشدة التأثير، والمقدرة الفائقة في التدريس، يروي ابن كثير عن درس ألقاه تاج الدين في الأمينية، وقد حضره خلق من العلماء والأمراء والفقهاء والعامة. فيقول "كان درسا حافلا، أخذ في تفسير قوله تعالى: ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ الآية وما بعدها، فاستنبط أشياء حسنة، وذكر ضربا من العلوم بعبارة طلقة جارية معسولة، أخذ ذلك من غير تلعثم ولا تلجلج ولا تكلف، فأجاد وأفاد وشكره الخاصة والعامة من الحاضرين وغيرهم، وقال بعض الأكابر: إنه لم يسمع درسا مثله"[٣]. ومن عرف قدر ابن كثير الحافظ المفسر وعلو كعبه في التفسير عرف قيمة هذه الشهادة وما اشتملت عليه من ثناء.

أفاد تاج الدين من دورانه على مشايخ العصر والأخذ عنهم، وحصلت له ثقافة واسعة زادها رحابة وحيوية اجتهاده وطول نظره في العلم، ثم أذاعها على الناس لسان طلق، وبيان متدفق وقوة عارضة، وتجلى ذلك فيما كان يذيعه من دروس، وينشره من تواليف وتصانيف، رزق فيها السعد وانتشرت في حياته وبعد موته وجلس للفتوى وهو بعد صغير، وقد كان – رحمه الله – مدركا لمواهبه عارفا بقدر

---

(١) الطبقات الكبرى ٣٩٩/١٠

(٢) يقول ابن حبيب لسان عبارته فصيح، وحديث براعته صحيح، تبجحت بموافقته أرباب السياسة، وانشرحت بأحكامه صدور المجالس، وتأرجت بأنفاسه أرجاء المنابر والمدارس، انظر درة الأسلاك في دولة الأتراك ١٤١/٣

(٣) البداية والنهاية ٢٩٢/١٤

نفسه فقد كتب إلى نائب الشام يقول: "وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الإطلاق ولا يقدر أحد يرد علي هذه الكلمة" ويعقب السيوطي على ذلك بقوله: "وهو مقبول فيما قال عن نفسه"[١].

لقد تمتع تاج الدين بثقافة فقهية ركينة ولا غرو فقد كان الفقه على زمانه محل اهتمام العلماء وبغية الطالبين. وكان الناس يقصدون الفقهاء ليبصروهم بحكم الشرع في معاملاتهم وعباداتهم، هذا إلى جانب أن الفقه كان يؤهل أصحابه لمناصب القضاء والفتيا.

عني تاج الدين بالفقه عناية كبيرة. فألف فيه وجمع لوالده فتاويه. ومن الطبقات الكبرى يعرف مدى اهتمامه بالفقه، فقد حشد فيها مسائل الفقه وفتاوى أهل العلم ومناظراتهم.

ولم يكن الحديث والأصول أقل حظا من الفقه لتلازم هذه العلوم وارتباطها بعضها ببعض وضرورة الإحاطة بها لمن أراد أن يتميز في العلم. فحظيت الأصول والحديث بعنايته، وصنف في الأصول وعني بالحديث[٢] وروى عن حفاظ عصره، واهتم بالجرح والتعديل، يقول الحافظ ابن حجر:"ومن الطبقات تعرف منزلته في الحديث".

ومما يدل على غزارة روافده الثقافية التي رفدته بها مجالس الشيوخ والنظر في كتب العلم، ما بسطه في الطبقات من قضايا العقيدة وخلافيات علم الكلام ومناقشته لهذه القضايا. وحديثه عن الإيمان والإحسان، وزيادة الإيمان ونقصانه مما يدل على بصره بعلم الكلام[٣] وقد أهله للتراجم كلف قديم بأخبار الرجال

---

(١) حسن المحاضرة ١٨٢/١

(٢) شذرات الذهب ٢٢٢/٦، حيث أورد ابن العماد مؤلفاته في الأصول والحديث

(٣) طبقات الشافعية ١٠٣/١، ١١٧

والحوادث التاريخية[١] وكانت له ملاحظات على تاريخ شيخه الذهبي : "أما تاريخ شيخنا الذهبي – غفر الله له – فإنه على حسنه مشحون بالتعصب المفرط – لا واخذه الله – فقد أكثر الوقيعة في أهل الدين، أعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق، واستطال بلسانه على كثير من الأئمة الشافعيين والحنفيين، ومال وأفرط على الأشاعرة، ومدح وزاد في المجسمة. هذا وهو الحافظ المدره والإمام المبجل، فما ظنك بعوام المؤرخين."[٢]

ويورد تاج الدين قاعدة في أدب التاريخ أشار فيها إلى ما اشترطه والده درءا لغلبة الهوى الذي يعصف بالتجرد المطلوب الذي ينبغي أن يلتزم به المؤرخ حتى لا يجور على الحقائق، ومن هذه الشروط الصدق، وحسن الإلمام بحال صاحب الترجمة، والمعرفة بمدلولات الألفاظ، وتحري الدقة في عباراته من غير إسراف في مدح من يحب أو التقصير في جنب من لا يحب.

وهذه القاعدة في علم التاريخ تعطينا مؤشرا لمنهج السبكي في تراجم الطبقات.

وسيتضح مدى تطبيقه لهذه الشروط حين نعالج تراجمه للأدباء كتابا وشعراء.

ولم يكن تاج الدين يعيش بمعزل عن مجتمعه. بل شغل بأموره، وسبر أغواره وشخص أدواءه ووصف دواءه في كتابه الشامخ "معيد النعم" الذي شخص فيه آفات الناس على اختلاف مستوياتهم ومسئولياتهم، ونص على ما يطلب منهم أن يؤدوه نحو مجتمعهم شكرا لله على ما أولاهم من النعم، واشتمل الكتاب على نقد

---

(١) طبقات الشافعية ٢٠٦/١، يقول تاج الدين: "فإني من قبل أن يكتب لي الشباب خط العذار، ويستجلي نظر تمييزي وجوه البشارة والإنذار أردد نظري في أخبار الأخيار وأترقب أحوالهم، لأحيط بها من إخفار صبح الأسفار"

(٢) المصدر السابق ٢٢/٢

اجتماعي واع يدل على ما يتمتع به تاج الدين من بصر وثقافة وإيجابية، وأنه يعيش قضايا المجتمع ويعالجها من خلال ثقافته الإسلامية ويعرف للعلم منزلته وقداسته، لذلك نراه ينتقد العلماء الذين يتكالبون على الدنيا ويرخصون من شأن ما حملوه من علم وكان الشأن أن يصونوه من أن يكون مطية ذلولا للعاعة من الدنيا يحصل الجهال بجهلهم أضعافها، "فإذا كانت تنال مع الجهل فما بالنا نشتريها بأنفس الأشياء وهو العلم، فينبغي أن يقصد بالعلم وجه الله تعالى والترقي إلى جوار الملأ الأعلى"[١].

وفي الطبقات نجد شخصية تاج الدين الأدبية التي لم يشغلها الفقه بمناظراته والحديث ومسائله عن الأدب وقضاياه وما يتصل به من مسائل النحو والصرف والبلاغة والعروض، وإن كان معلوما أن علوم العربية لا تنفك عن العلوم الإسلامية، بل هي ألزم ما تكون للفقيه والمفسر والمحدث إذ أن القرآن جاء بلسان عربي مبين، وهو يمثل قمة البلاغة في اللسان العربي، ثم يأتي من بعده الحديث. فمن تمام آلة العالم أن يحصل إحاطة باللغة وفنونها وطرائق أساليبها. وقد أدرك العلماء أهمية اللغة التي جاء بها الميراث الثقافي. فقال ابن تيمية "... فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب. فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[٢] ومن ثم ناقش السبكي مسائل اللغة والنحو من خلال كتابه، أحيانا فيما يتعلق بتفسير آية أو قضية من قضايا العقيدة أو نص أدبي، أو رأي نحوي لمن يترجم لهم من العلماء. ويبسط القول ويقف عند آراء النحاة. ويرد عليهم، ويرجح قولا على قول مما يدل على قدم راسخة في النحو، والمعروف أن اللغة والإعراب وسيلة لفهم النصوص وفك غامضها وتوجيه

---

(١) معيد النعم ص ٩٦ في شيء من التصرف

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٧ لابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٦٩ هـ

معانيها، فهي لا تنفك عن قضية التعبير والأداء الفني في الكتابة، ولا يعزب عنا توجه عبد القهار الجرجاني إلى العلاقات النحوية في نظم الكلام، وأن مرد الإعجاز إليها[١]. كان لا بد للسبكي من هذه الوقفات اللغوية عند النصوص، ونراه لا يقف عند سرد الآراء النحوية فحسب، بل له استنباطات نحوية جيدة وإضافات تدل على سعة اطلاعه على اللغة وعلومها. وليس هذا بعجيب، وهو الذي يرسي بكلماته السديدة معلما على طريق التصنيف والتأليف الذي يدفع بالمعرفة إلى الأمام فيقول: "وأنا دائما أستهجن ممن يدعي التحقيق من العلماء إعادة ما ذكره الماضون إذا لم يضم إلى الإعادة تنكيتا[٢] عليهم، أو زيادة قيد أهملوه، أو تحقيقا تركوه أو نحو ذلك مما هو مرام المحققين. ومما اعتقد به عظمة الشيخ الإمام رحمه الله "يقصد والده" أن عامة تصانيفه اللطاف في مسائل نادرة الوقوع مولدة الاستخراج لم يسبق فيها للسابقين كلام، وإن تكلم في آية أو حديث أو مسئلة سبق الكلام فيها اقتصر على ذكر ما عنده مما استخرجته فكرته السليمة ووقعت عليه أعماله القويمة، غير جامع كلمات السابقين كحاطب ليل يحب التشبع بما لم يعط، حظه من التصانيف جمع كلام من مضى، فإن ترقت رتبته وتعالت همته لخص ذلك الكلام، وإن ضم إلى التلخيص أدنى بحث أو استدراك، فذاك عند أهل الزمان الحبر المقدم والفارس المبجل، وعندنا أنه منحاز عن مراتب العلماء البزل، والأذكياء المهرة، وإنما الحبر من يملي عليه قلبه ودماغه، وتبرز التحقيقات التي تشهد الفطر السليمة بأنها في أقصى غايات النظر، مشحونة باستحضار مقالات العلماء مشارا فيها إلى ما يستند الكلام إليه من أدلة المنقول والمعقول يرمز إلى ذلك رمز الفارغ منه، الذي هو عنده مقرر واضح لا

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٦ وما بعدها، عبد القاهر الجرجاني صححه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزي، دار المنار، مصر، الطبعة الثالثة ١٣٦٦هـ .

(٢) نكت في العلم، بموافقة فلان أو مخالفة فلان: أشار، ومنه قول العلماء في قول أبي الحسن الأخفش، قد نكت فيه بخلاف خليل. لسان العرب ١٠١/٢ مادة نكت لابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت ١٣٧٤ - ١٩٥٥

تفيده إعادته إلا السآمة والملالة ولا يعيده إعادة الحاشد الجماعة الولاج الخراج المحب أن يحمد بما لا يفعل"[١] وهذا كلام نفيس، غال يدل على أن السبكي كان على بينة وبصيرة من المنهج السديد الذي يثري المعرفة ويدفع بها إلى الأمام بل هو يؤسس في قوة لما يطالب به الباحث في يومنا هذا من الاستفادة والاستنارة بجهود الذين سبقوه على طريق البحث في توجيه بحثه، ثم الإضافة النيرة التي تتجاوز الجمع والحشد فتدفع بالمعرفة خطوات إلى الأمام ولعمري ما عدا رجال المنهج والبحث ما قال قيد أنملة.

تاج الدين الأديب:

من الطبقات تتجلى موهبته الأدبية في الذوق والنقد والإنشاء، أسلوبه يتميز بالسلاسة خال من التقعر والتعقيد، سجعه حلو لا فيه قلق ولا استكراه، يبين عن نفسه في يسر. ومما يدل على سعة اطلاعه على الشعر وكثرة محفوظه منه كثرة استشهاداته الشعرية التي وشع بها كتابه، واقتباساته التي نثرها من خلال رسائله وترجماته. هذا إلى جانب مروياته الشعرية الغزيرة.

وقد كان في علمه باللغة يكره التقعر في الألفاظ والتنطع بحوشي اللغة وغريبها. ويحمد من يعرف لكل مقام مقاله، ويخاطب الناس حسب ما أوتوا من علم وإدراك. وفي ذلك يسوق قصة طالب أتى ليقرأ على أبي عمرو بن العلاء، فمر به أبو عمرو وهو يتكلم مع العامة من جنس عاميتهم، فنقص الفتى في عينه ..... ثم تبعه أبو عمرو فدخل الجامع فأخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان فعظم في عينه، وعلم أنه كلم كل طائفة بما يناسبها[٢].

ويورد تاج الدين أخبارا لبعض المغربين في الكلام العربي، ثم يلتمس

---

(١) طبقات الشافعية ٩٩/١، ١٠٠

(٢) معيد النعم ص ١٢٧ في شيء من التصرف

لبعضهم العذر بأنهم بحكم ملازمتهم لفن من فنون اللغة يصدرون عنه لأنه اختلط بلحمهم ودمهم وسبق لسانهم إليه[١].

كما يشير السبكي إلى الذين شغلوا أنفسهم بالألفاظ وأعرضوا عن معانيها بحيث انتهى بهم الحال إلى ضرب غريب من الخطأ[٢] وإلى طائفة راعت الألفاظ فأتيت من قبل المعاني[٣].

ويتكلم عن النحويين فيقول: " ومن العلماء طائفة استغرقها حب النحو واللغة وملأ فكرها فأداها إلى التقعر في الألفاظ وملازمة حوشي اللغة بحيث خاطب به من لا يفهمه ونحن لا ننكر أن الفصاحة فن مطلوب واستعمال غريب اللغة عزيز حسن ولكن مع أهله ومن يفهمه"[٤].

شـــعـــره:

كلف تاج الدين بالأدب منذ نعومة أظفاره، وقرض الشعر. وقد كان لصلاح الدين الصفدي أثر عليه. في ذلك يقول تاج الدين: "كنت أصحبه منذ كنت دون سن البلوغ وكان يكاتبني وأكاتبه وبه رغبت في الأدب، فربما وقع لي شعر ركيك من نظم الصبيان فكتبه عني إذ ذاك، وأنا ذاكر بعض ما كان بيننا مما كان في صغري[٥] كان الصفدي يقوم منه مقام المشجع"، وربما ساجله الأشعار فيكتب إليه ويرد تاج الدين، فربما وقع لتاج الدين شعر ركيك من نظم الصبيان فكتبه الصفدي عنه تشجيعا له[٦]. وكان لهذه المكاتبات والتشجيع أثر في شحذ قريحته، وصقل شاعريته. ويورد تاج الدين طرفا مما كان بينه وبين الصفدي من مطارحات شعرية فيقول:

---

(١) معيد النعم ص ١٢٧
(٢) المصدر السابق ص ١٢٧
(٣) المصدر السابق ص ١٤٣
(٤) المصدر السابق ص ١٢٧
(٥) طبقات الشافعية ٦/١٠
(٦) المصدر السابق ٦/١٠

"كتب إلي مرة وقد سافر إلى مصر ولم يودعني:

يـا سـيداً سـافرتُ عنـه ولـم أجـدْ جَلَـدِي يُطـاوِعُني علـى تَوْدِيعِـهِ
إن غِبْـتُ عنـك فـإنَّ قَلْبِـيَ حـاضِرٌ يَصِـفُ اشـتياقِي للحِمَـى ورُبُوعِـهِ

في أبيات أخر. فكتبت الجواب:

يا راحـلاً بحشـا المُقيـمِ علـى الوَفـا ما الطَّـرْفُ بَعْـدَك مُؤْذِنـاً بهُجُوعِـهِ
إن غبـتَ عنـه فمـا تغـيَّر منـه إلا (م) جِسـمُه سَـقَمًا ولـونُ دُمُوعِـهِ
والقلـبُ بيـتُ هـواكَ راح كأنَّـه بيـتُ العَروضيِّيـن مـن تَقْطِيعِـهِ

في أبيات أخر أنسيتها.

وكتب إلي مرة وقد ولد له ولد يدعوني إلى حضور عقيقته:

عَبْـدُكَ هـذا الجديـدُ أضحـى يقـولُ فاسـمع لـه طَرِيقَـهْ
يـا جوهـرًا فـي الزمـانِ فَـرْدًا مـا ضَـرَّ أن تَحْضُـرَ العَقِيقَـهْ

فكتبت إليه:

هُنِّيـتَ ذا الجَوْهَـرُ المُفـدَّى بـالعَرَضِ الكُنْـهِ والحَقِيقَـهْ
لـو لـم تكُـنْ حازمـاً مصيبـاً لـم تَفْتَـدِ النَّفْـسَ بالعقِيقَـهْ

وكتبت له من القاهرة سنة ثلاث وستين وسبعمائة أبياتا مطلعها:

لا تَبْكَيَـنْ مـاءً تَسَـنَّهْ ودَعِ الرُّسُـومَ المُسْـتَجِنَّهْ

وهي أبيات اكتملت فيها شاعريته ونضجت، وقد رد عليه الصفدي بقصيدة من البحر والقافية[1]. وقد شهد له مترجموه بالبراعة في الأدب، يقول ابن العماد: "وبرع وشارك في العربية وكان له يد في النظم والنثر."[2] ويقول ابن حجر:

---

(١) انظر طبقات الشافعية ٩/١٠، ١١، وقصيدة الصفدي في المصدر نفسه من ص ٢٠-٢٥
(٢) شذرات الذهب ٢٢٢/٦

"..... وأجاد في الخط والنظم والنثر ..... وكان ذا بلاغة وطلاوة لسان."[١] وأسلوبه أدبي فيه تدفق، ومسجوع ليس في سجعه تكلف أو استكراه، ويكثر في نثره من تضمين الأشعار مما يدل على سعة محفوظه من الشعر، يأتي بها أحيانا بنصها، وأحيانا يضمنها منثورة من مثل قوله: "... ويفصح عن خضوع لفضله، فإذا أنشد منشده بين يديه "بلغنا السما"[٢] تلا هو: فلن أبرح الأرض،وأنشد:

مـن أجْلِـهِ جَعَلْـتُ نَفسِـي أرْضـًا للصّـادِرِ والـوارِدِ حَتَّـى يَرْضَـى

وينهي بعد وصف حب اعتده دينا فتسلم كتابه باليمين، ثابت يزيد حلاوة إيمانه في القلب مر السنين، باق لا يبدل إذا ما غير النأى المحبين"[٣]. وهو مأخوذ من بيت لذي الرمة:

إذا غـير النـأى المحبيـن لـم يكـد رسيس الهوى مـن حـب ميـة يـبرح

ويقول في رسالته للصفدي: " ..... فأصدرت هذه الواردة مدلا بأني منهم وهم مني وهذا المنى. وقلت: اسألي عنهم وخبري عني، حاشاك من عنا وبادري مولاك، ولا تخشي أن يقال: "ما أتى بك هاهنا".، وهو مأخوذ من قول المنذر بن درهم الكلبي[٤]:

فقـالتْ جنـان مـا أتـى بـك هاهنـا أذُو نَسَـبٍ أمْ أنـتَ بـالحيِّ عَـارِفُ

ويقول في الرسالة نفسها "وكوني ممن إذا سمع صالحا أذاعه، وإن سمع طالحا أو يرى ريبة دفن، وأطلقي الدمع ولا تخافي أن يقال: "ما هاج العيون الذرفن"[٥]. وقد

---

(١) الدرر الكامنة ٤٢٦/٢

(٢) هذا من قول النابغة الجعدي:
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

(٣) ديوان ذي الرمة ص ٢٨ عني بتصحيحه كارليل هنري هيس مكارنتي، طبعة كلية كمبردج سنة ١٣٣٧-١٩١٩

(٤) خزانة الأدب ١١٢/٢

(٥) انظر الرسالة في طبقات الشافعية ٨/١٠ وما بعدها

نظر فيما تقدم إلى قول قعنب[١]:

إن يسمعوا سيِّئًا طاروا به فَرَحاً منِّى وما سَمِعوا من صالحٍ دَفَنُوا

وإلى قول العجاج:

يا صاحِ ما هاجَ الدُّموعَ الذُّرَّفا[٢]

وهذا غيض من فيض. فالتضمين والاستشهاد بالشعر شائع في نثره مما يدل على كثرة إطلاعه على الأشعار وقوة استحضاره لها. وتاج الدين شاعر تجلت شاعريته فيما أورده لنفسه من قصائد وأشعار في كتابه الطبقات، فقد رثى شيخه الذهبي وأباه، ونظم في الخلاف، ورد على الزمخشري وراسل أقرانه بالشعر.

المناصب التي شغلها:

ناب تاج الدين عن أبيه في الحكم، ثم استقل به باختيار أبيه، وولي دار الحديث الأشرفية بتعيين أبيه، وولي توقيع الدست[٣] في سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وولي خطابة الجامع، وانتهت إليه رئاسة القضاء بالشام[٤] ودرس بمصر والشام بالعزيزية، والعادلية الكبرى، والغزالية، والعذراوية، والشاميتين والناصرية، والأمينية، وتدريس الشافعي بمصر ومشيخة دار الحديث الأشرفية، والشيخونية، والجامع الطولوني وغير ذلك[٥].

---

(١) عيون الاخبار ٨٤/٣

(٢) ديوانه ص ٤٨٨

(٣) كتاب الدست هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل في المواكب على ترتيب جلوسهم، ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر وسموا كتاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابة بين يديه، وهؤلاء هم أحق كتاب في ديوان الإنشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم. صبح الأعشى في كتابة الإنشا ١٣٧/١ للقلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٢٠

(٤) الدرر الكامنة ٤٢٦/٢

(٥) شذرات الذهب ٢٢١/٦

محنة تاج الدين:_

تعرض تاج الدين للعزل من منصب القضاء مرات، وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة مرة بعد مرة[١]. وهو على ذلك في غاية الثبات. يقول ابن العماد: "ثم اشتغل بالقضاء بسؤال والده في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة ثم عزل مدة لطيفة، ثم أعيد ثم عزل بأخيه بهاء الدين وتوجه إلى مصر على وظائف أخيه ثم عاد إلى القضاء على عادته الأولى وولي الخطابة بعد ابن جملة. ثم عزل وحصل له فتنة شديدة وسجن بالقلعة نحو ثمانين يوما ثم عاد إلى القضاء"[٢] ثم يقول "وحصلت له محنة بسبب القضاء وأوذي فصبر وسجن فثبت وعقدت له مجالس فأبان عن شجاعة وأفحم خصومه مع تواطئهم عليه ثم عاد إلى مرتبته وعفا وصفح عمن قام عليه، وكان سيدا جوادا كريما مهيبا"[٣].

ويورد ابن العماد قول ابن كثير: "جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله وحصل له من المناصب ما لم يحصل لأحد قبله."[٤] ولم يذكر ابن العماد شيئا عن أسباب ما حصل له من فتنة شديدة.

ونجد عند ابن حجر سببين لهذه الفتنة التي تعرض لها، يقول ابن حجر "كان من أقوى الأسباب في عزله المرة الأخيرة أن السلطان رسم بأخذ زكوات التجار في جمادى الأولى سنة تسع وستين وسبعمائة ووجد عند الأوصياء جملة مستكثرة، لكنها بعلم القاضي بوصولات ليس فيها تعيين اسم القابض، فأريد من ناظر الأيتام أن يعترف أنها وصلت للقاضي فامتنع، فآل الأمر إلى عزل القاضي. والثاني: قرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري لما قتل يلبغا طلب الأشرف أمير علي

---

(١) الدرر الكامنة ٤٢٦/٢
(٢) شذرات الذهب ٢٢١/٦
(٣) المصدر السابق ٢٢٢/٦
(٤) المصدر السابق ٢٢١/٦

الماردیني ومنكلى بغا أتابك العساكر، فكان أول شيء تكلم فيه أمير على عزل تاج الدين وقرر في القضاء عوضا عنه الشيخ سراج الدين البلقيني فولي القضاء والخطابة وحكم ابن قاضي الجبل بحبس تاج الدين سنة"[١].

وربما أتاح كلام أمير علي عن عزل تاج الدين الفرصة[٢] لمنافسيه للنيل منه لما كان يتمتع به من مكانة عند الحكام وجمهور الناس. وبعيد – في رأيي – عن من كان في مثل علمه وما أثر عنه من حسن السيرة ونقاء السريرة واستقامة السلوك أن يأتي ما يدنس عرضه ويقدح في أمانته. ولعل من يقرأ كتابه "معيد النعم" يلمس ما فيه من نقد واع لأحوال المجتمع إذ ذاك، مع تشخيص أدواء كل طائفة، وتوضيح ما ينبغي أن تكون عليه من سيرة قياما بحق الشكر لمن أولى النعم. ويتناول المجتمع في كتابه من الحاكم إلى أدنى مستوى في المجتمع وأظهر الأسى والأسف على عالم يطلب بعلمه حطام الدنيا ويرخص قدر علمه ليتخذه مطية لأغراض زائلة. وليس بعيدا في التصور ما قاله المحققان إن نقده لأخطاء المجتمع وما نذر له نفسه من دراسة لأحوال الأمة الإسلامية في عصره ونقده لطوائف الناس ربما يكون من أقوى الأسباب في عزله واختلاق هذه الأحداث حوله[٣].

ومما يدل على أن ما حيك حوله مرده إلى أنه كان محسدا، وأن الأمر كله يرجع إلى من ينفسون عليه مكانه صفة المجلس الذي عقد له. يقول ابن كثير عن هذا المجلس وكنت ممن طلب إليه فحضرته فيمن حضر. وقد اجتمع فيه القضاة الثلاثة وخلق من المذاهب الأربعة وآخرون من غيرهم، بحضرة نائب الشام سيف الدين منكلى بغا وكان قد سافر هو إلى الديار المصرية إلى الأبواب الشريفة واستنجز كتابا إلى نائب السلطنة لجمع هذا المجلس ليسأل عنه الناس، وكان قد كتب فيه

---

(١) الدرر الكامنة ٤٢٧/٢

(٢) انظر طبقات الشافعية ١٠/١ مقدمة التحقيق

(٣) المصدر السابق ١٠/١ بتصرف

محضران متعاكسان أحدهما له والآخر عليه، وفي الذي عليه خط القاضيين المالكي والحنبلي، وجماعة آخرين، وفيه عظائم وأشياء منكرة جدا ينبو السمع عن استماعه وفي الآخر خطوط جماعات من المذاهب بالثناء عليه، وفيه خط بأني ما رأيت إلا خيرا"[١].

وحكى مقالة القاضي الغزي للقاضي الحنبلي "أنت ثبتت عداوتك لقاضي القضاة تاج الدين. فكثر القول وارتفعت الأصوات وكثر الجدال والمقال ..."[٢].

ثبت تاج الدين أمام هذه المحن ثبات العلماء العاملين بعلمهم ولم يحن رأسه للعاصفة. وأبان عن شجاعة وأفحم خصومه مع تواطئهم عليه، كما يقول ابن العماد.

ويصف ابن كثير وداع الناس له يوم خرج من دمشق وهو وداع حار يدل على ما كان يتمتع به من مكانة وحب في قلوب الناس. "ركب من بستانه بعد العصر ..... متوجها إلى الديار المصرية، وجاء الناس ليودعوه ويستوحشوا له. وقد سار معه قضاة القضاة والأعيان ..... حتى ردهم قريبا من الجسور ومنهم من جاوزها"[٣]. كما يصف عودته بعد انتهاء الفتنة إلى دمشق، وقد تلقاه جماعة من الأعيان وخلائق لا يحصون كثرة، وأشعلت الشموع حتى مع النساء والناس في سرور عظيم[٤].

ورجل هذا قدره لا بد أن يكون محسودا من الأقران والنظراء من الفقهاء.

وفـــاتـــه:

يقول ابن حجر: إنه مات في سابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين

---

(١) البداية و النهاية ٣١٨/١٣
(٢) المصدر السابق ٣١٨/١٣
(٣) المصدر السابق ٣١٨/١٣
(٤) المصدر السابق ٣١٨/١٣

وسبعمائة، خطب الجمعة، فطعن ليلة السبت ومات ليلة الثلاثاء[١]. وفي شذرات الذهب "توفي شهيدا بالطاعون في ذي الحجة خطب يوم الجمعة وطعن ليلة السبت ومات ليلة الثلاثاء ودفن بتربتهم بسفح قاسيون عن أربع وأربعين سنة"[٢] ويذكر ابن تغرى بردى[٣] أنه توفي بالدهشة ظاهر دمشق في يوم الثلاثاء سابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، ودفن بسفح قاسيون عن أربع وأربعين سنة. وذكر أنه ولد سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. وكان يتعين على ابن تغرى بردى أن يقول توفي عن ثلاث وأربعين سنة كما يقتضي الحساب.

وبوفاة تاج الدين انطوت صفحة من تاريخ العلم النافع المنيف خطها عالم نحرير. وجبل من جبال العلم كما كان يصف أهل العلم، وقد كانت حياته القصيرة حافلة بنشاط فكري دفاق تجلى في التصنيف والتأليف وإلقاء الدروس رحمه الله.

---

(١) الدرر الكامنة ٤٢٨/٢

(٢) شذرات الذهب ٢٢٢/٦

(٣) المنهل الصافي ٢/ ورقة ٣٦٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني

السبكي والرواية والترجمة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

رواياته الأدبية وقيمتها العلمية

الراوية في اللغة هو الجمل نفسه، فهو حامل المزادة، فسميت المزادة باسم حامل المزادة، ولهذا سموا حامل الحديث راوية[١]. والراوية تؤثر بالإسناد "وهو شهادة الزمن على اتصال النسب العلمي بين راوي الشيء وصاحب الشيء المروي حتى يثبت العلم بذلك على وجه من الصحة كالدعوة التي تتلقى بثبتها من البينة"[٢] ويرد الرافعي نشأة الإسناد في الأدب إلى الخوف على اللسان العربي من الفساد حين مست الحاجة إلى الكتابة عن العرب لصيانة اللغة والاستعانة على فهم القرآن والحديث وما ورد فيهما من غريب. ولما كان الأمر متعلقا بالحديث والقرآن رأوا أن يرووا شواهد تفسيره بسند كما يروى متنه حتى ينفوا تهمة الوضع والتزيد في الأشعار للاحتيال على شرح وتوجيه النصوص القرآنية والحديثية وقد كان الإسناد في الأدب يرفع إلى حماد الراوية وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما وبهذا تحقق معنى الإسناد وبدأت صلته بالأدب[٣]. ويفهم مما تقدم أن الإسناد نشأ بتأثير من رواية الحديث. ويذهب أحد الباحثين[٤] إلى أن الرواية الأدبية أصل قائم بذاته، وقد وجدت عند العرب منذ الجاهلية، وعد ما كان يفعله علماء النسب من أخذ هذا العلم عن شيوخه، وما فعله رواة الأشعار والأخبار الجاهلية صورة من صور الرواية الأدبية أما الإسناد في رواية الحديث فقد طلبه الناس بعد أن وقعت الفتنة وظهر أهل البدع. يروي عاصم

---

(١) الجاحظ في كتابه الحيوان ٣٣٣/١ تحقيق عبد السلام هارون ط الحلبي ١٣٥٦-١٩٣٨

(٢) تاريخ آداب العرب ٢٩٥/١، مصطفى صادق الرافعي – مطبعة الاستقامة مصر ط ٢ ١٣٥٩ - ١٩٤٠

(٣) المرجع السابق ٢٩٥/١

(٤) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. ص ٢٥٥ د. ناصر الدين الأسد دار المعارف ط ٣، ١٩٦٦.
يقول الدكتور صبحي الصالح "حتى لو عدت الشواهد القليلة المروية حجة على سراية روح الإسناد بين الجاهليين ... فمن ذا الذي قال: إن طريقة رواية تلك الشواهد ظلت ساذجة أولية على النحو الذي حكيت به قبيل الإسلام أو في عهد الراشدين المهديين فهل يتيسر لأحد من العلماء أن ينقل تلك الشواهد كلها من غير أن يتأثر قليلا أو كثيرا بطريقة المحدثين في إسناد الروايات" بتصرف علوم الحديث ومصطلحه ص ٣٢٣ و ٣٢٤، طبعة دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة عشر بيروت سنة ١٩٨٢ م

الأحول عن ابن سيرين قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة. فلما وقعت نظروا من كان من أهل البدعة تركوا حديثه."[١]

ولقد أفاد المتأخرون من رواة الأدب من مناهج علم الحديث لما استقرت ونضجت فقلدوها، أما بادئ الأمر فقد كانت أسانيد الأدباء في الرواية الأدبية تنتهي إلى رواة القرن الثاني كأبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية، وخلف الأحمر، والمفضل الضبي، ولا تكاد ترفع رواية متصلة السند بالجاهلية، فقد كانوا يكتفون بأنهم أخذوا أكثر ما يروونه عن أقوام أدركوا عرب الجاهلية[٢]. ومن ثم كان هذا الإسناد في مصطلح علم الحديث إسنادا منقطعا، لأنه ينتهي إلى رواة لمن يأخذوا كفاحا عن الشعراء الجاهليين، أو ليس لهم سند متصل بمن يروون عنهم الشعر.

ويقول ناصر الدين الأسد إن أكثر الشعراء الجاهليين حظا من الروايات المسندة المتصلة حسان بن ثابت، ويعلل ذلك بصلته برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكي يكن الكلام أكثر دقة – في رأيي – إن حسان بن ثابت لم تحظ رواياته بالسند المتصل بوصفه شاعرا جاهليا ولكن بوصفه شاعرا صحابيا روى عنه الصحابة ما أخرجه أهل الحديث في كتب الحديث والسنة[٣]. أما رواياته نفسه عن الجاهلية – فهي كما لحظ الباحث – ذات إسناد منقطع. كرواية خبر قدوم النابغة الذبياني إلى المدينة ودخوله السوق[٤]. وكذلك النابغة الجعدي حظي شعره بالسند المتصل لأنه

---

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣/١ للذهبي، عيسى الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٢ - ١٩٦٣

(٢) تاريخ آداب العرب ٢٩٧/١

(٣) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤١٦/٧، باب مرجعه من الأحزاب لابن حجر العسقلاني دار الفكر، المكتبة السلفية بإشراف محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، باب فضائل حسان بن ثابت ٤٦/١٦، للإمام النووي ط ١ مصر ١٣٤٩ – ١٩٣٠، وانظر الروايات المرفوعة في ترجمته الأغاني ١٣٨/٤ – ١٧٤ لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق عبد الستار فراج بيروت ١٩٧٥

(٤) الأغاني ٨/٣، ٩ والخبر أنه دخل السوق فنزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم

====

شاعر صحابي، وقليلا ما يروي العلماء عن الجاهلية روايات متصلة الإسناد كرواية الأصمعي في تحقيق اسم تأبط شرا وبيتا له عن أبي طرفة الهذلي ويقول: كان أبو طرفة الهذلي أعلمهم بتأبط شرا وأمره[١]، ويروي أبو عبيدة في سند متصل إلى الجاهلية خبرا عن شأس بن زهير[٢].

ومهما يكن من مشابه في منهج الرواية بين الرواية الأدبية ورواية الحديث إلا أن الفرق في التحقيق والتدقيق والضبط بين الروايتين عظيم. إذ أن المحدثين ينظرون في أحوال الرواة من حيث العدالة والضبط، واصطنعوا لذلك علم نقد الرجال القائم على الجرح والتعديل وتبيين درجات المحدثين من "ثبت حجة، وثبت حافظ وثقة متقن ... إلى وضاع، متهم بالكذب، متروك ليس بثقة ..."[٣].

أما الرواية الأدبية فحسبنا فيها الإسناد من حيث الانقطاع والاتصال، لا من حيث نقد الرجال وتمحيصهم لنميز الصادق من الكاذب، وتعليل ذلك واضح. ذلك لأن مرويات الأدب لا يترتب عليها استنباط أحكام شرعية، أو مسائل فقهية، فمن ثم ترخص الرواة في الروايات الأدبية، حتى ضرب بعض العلماء المتأخرين عن الإسناد صفحا تخفيفا على القراء، فقد أسقط المبرد[٤] الأسانيد من رواياته وأهملها ونراه

== اعتمد على عصاه ثم أنشأ يقول: عرفت منازلا بعريتنات × فأعلى الجزع للحي المبن
انظر بقية النص في الأغاني

(١) الشعر والشعراء ٢٧١/١ لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر ١٩٦٦

(٢) الأغاني ٧٠/١١ و٧١ والخبر: "حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله قال حدثني أبي عبد الواحد، وعمي صفوان، عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمن أدرك شأس بن زهير قال: ... " ثم يورد خبرا عن شأس.

(٣) ميزان الاعتدال ٤/١

(٤) انظر الكامل حيث استعمل كلمات مثل "ومما يحكى ١٩٤/٣، ويروى له (لبشار) ١٩٢/٣، وحدثني إبراهيم ... في إسناد ذكره ١٩٠/٣، وذكر أهل العلم من غير وجه ١٦٥/٣، ويروى عن الأصمعي ١٢٩/٣". وقد ذكر د. ناصر الدين الأسد أن المبرد حذف الإسناد في كتابه (الفاضل) وأعطى شواهد على ذلك، انظر مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ٢٧٨ ويقول ياقوت عن كتابه "معجم الأدباء"

====

يقدم بين يدي مروياته: يروى، ومما حكي، وذكر أهل العلم من غير وجه وكذلك فعل الصولي في أدب الكتاب[١] ويتتبع عثمان موافي منهج ثلاثة من أدباء القرنين الثالث والرابع في الرواية وتطبيق أصولها وظاهرة الإسناد: وهم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وابن قتيبة في المعاني الكبير وعيون الأخبار، وثعلب في مجالسه، وخلص من ذلك إلى أن الخبر "إذا كان أدبيا تاريخيا وتغلب عليه الندرة والطرافة التزموا إلى حد ما الإسناد في الرواية والنقد. كدليل على صحة مضمون الخبر المروي، وكذا إذا كان الخبر أدبيا خالصا ومرويا للاستشهاد على صحة قضية لغوية أو أدبية التزموا الإسناد أيضا في الرواية والنقد. أما إذا كان الخبر المروي أدبيا والغرض من روايته ليس إلا التسلية والإمتاع وإزجاء الفراغ، تساهلوا في الرواية والنقد، ولم يلتزموا الإسناد غالبا."[٢]

أما ما نحن بصدده من روايات تاج الدين السبكي الأدبية في كتابه الطبقات وهو العالم المحدث فإننا نجد أنه حرص على ألا يذكر حكاية ولا أثرا ولا شعرا إلا مسندا على طريقة جهابذة الحفاظ وكلمة جهابذة الحفاظ توضح لنا شدة تحريه في تطبيق منهج المحدثين الحفاظ في رواياته الأدبية. وإذا كان الجاحظ

== (وحذفت الأسانيد إلا ما قل رجاله وقرب منا له مع الاستطاعة لإثباتها سماعا وإجازة، إلا أنني قصدت صغر الحجم وكبر النفع) انظر معجم الأدباء ٢١/١ و٢٢ ياقوت الحموي، نشر دافيد مرجليوث دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأخيرة، مطبوعات دار المأمون، إشراف د. أحمد فريد الرفاعي. وحذفه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن مع أن موضوع الكتاب يقتضيه. وقال: "ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى ما له أصل في التفسير." ص ٢٣ لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ط ٢ ١٣٩٣-١٩٧٣

(١) أدب الكتاب، للصولي ص ٢٨ تصحيح الأثري، ط بغداد ١٣٤١ هـ حيث نص الصولي على أنه ألغى الأسانيد لتسهل الاستفادة من كتابه، ولم يذكر من الأسانيد إلا ما لا بد من ذكره.

(٢) منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي ص ٢٣٥-٢٥٣ د. عثمان موافي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ط ٢، ١٩٧٦ م، في كتاب المعاني الكبير أكثر ابن قتيبة في رواياته من "قال فلان من غير إسناد" ط ١ مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد ١٣٦٨ - ١٩٤٩

وابن قتيبة وغيرهما قد تساهلوا في الروايات التي تساق للتسلية والإمتاع، فإن تاج الدين لم يخل هذا النوع من الروايات من الأسانيد. فكتابه "الطبقات" يمثل مصدرا ثرا فياضا لكثير من النصوص والأخبار الأدبية التي أفاد تاج الدين في رواياتها من ثقافته الحديثية، ورسوخ قدمه في علم الرجال وطرق التحمل، فقد حرص على استعمال منهج المحدثين في الأسانيد في تخريج رواياته الأدبية، فهو محدث متحر نحرير يقول تاج الدين: "حرصت أن لا أذكر حكاية ولا أثرا ولا شعرا إلا مسندا على طريق جهابذة الحفاظ"[١] وقد كان – رحمه الله – يدرك أنه حشد الأسانيد لمروياته واستكثر منها، ومن ثم فهو يحذر حاملي طبقاته وقراءها من استثقال ما اشتملت عليه من كثرة الأسانيد "فهي – كما يقول – لعمر الله بهجة هذا الكتاب، وزينة هذا العقد الآخذ بعقول أولي الألباب – ولقد يعز على أبناء الزمان جمعها، ويبعد منهم – وقد ركبوا الهوينى وركنوا إلى الدعة – وضعها، ويتعذر عليهم – وهم الذين قنع الفاضل منهم بحاجة في نفسه من اسم التصنيف قضاها – صنعها."[٢] ثم يورد أن الأئمة تحدثوا عن أهمية الإسناد قال سفيان الثوري: "الإسناد زين الحديث فمن اعتنى به فهو السعيد." وقال ابن المبارك" لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" وقال الأوزاعي "ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد"[٣].

ويتعرض تاج الدين السبكي في مفاتح الجزء الثاني من الطبقات لقاعدة تتعلق بفن التاريخ، والتاريخ رواية فهو يحذر الهوى والتعصب اللذين يوقعان المؤرخين في الحيف في حق من يترجمون لهم، ولي عنق الحقيقة وتحريف الكلم. ويسرد عن والده الشيخ تقي الدين شروطا ينبغي تحققها في المؤرخ ليكون كلامه على جهة الإنصاف خاليا من الانحراف "فإن أهل التاريخ ربما وضعوا من أناس،

---

(١) طبقات الشافعية ٢١٧/١
(٢) المصدر السابق ٣١٤/١
(٣) المصدر السابق ٣١٤/١

ورفعوا أناسا إما لتعصب أو لجهل، أو لمجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به، أو غير ذلك من الأسباب، والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل، وكذلك التعصب قل أن رأيت تاريخا خاليا من ذلك"[1] يقول تاج الدين: "فالرأي عندنا ألا يقبل مدح ولا ذم من المؤرخين إلا بما اشترطه إمام الأئمة وحبر الأمة، وهو الشيخ الإمام الوالد رحمه الله حيث قال ونقلته من خطه في مجاميعه: يشترط في المؤرخ الصدق، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وألا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة وكتبه بعد ذلك، وأن يسمى المنقول عنه. فهذه شروط أربعة فيما ينقله."[2] فهو يشير إلى التمكن من معرفة مدلولات الألفاظ حتى يكون دقيقا فيما يطلقه فلا يخل اللفظ بالمعنى الذي يريد. ويوصي بالكتابة الفورية لما يسمعه حتى لا تخونه الذاكرة إذا أجل تدوينه وتسمية من ينقل عنه لها أهميتها في توثيق الرواية.

ويشترط فيه أيضا لما يترجمه من عند نفسه ولما عساه يطول في التراجم من النقول ويقصر أن يكون عارفا بحال صاحب الترجمة، علما ودينا وغيرهما من الصفات وهذا عزيز جدا، وأن يكون حسن العبارة، عارفا بمدلولات الألفاظ، وأن يكون حسن التصور، حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه، وأن لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه، والتقصير في غيره، بل إما أن يكون مجردا عن الهوى وهو عزيز، وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك طريق الإنصاف.

فهذه أربعة شروط أخرى ولك أن تجعلها خمسة: لأن حسن تصوره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف، فيجعل حضور التصور زائدا على حسن التصور والعلم. فهي تسعة شروط في المؤرخ وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم فإنه يحتاج إلى المشاركة في علمه والقرب منه، حتى يعرف مرتبته.

---

(١) طبقات الشافعية ٢/٢٢

(٢) المصدر السابق ٢/٢٣

انتهى"[1].

ويقول السبكي تعليقا على ما ساق من كلام أبيه: "وما أحسن قوله: ولما عساه يطول في التراجم من النقول ويقصر. فإنه أشار به إلى فائدة جليلة، يغفل عنها كثيرون، ويحترز منها الموفقون، وهي تطويل التراجم وتقصيرها، فرب محتاط لنفسه لا يذكر إلا ما وجده منقولا ثم يأتي إلى من يبغضه فينقل جميع ما ذكر من مذامه، ويحذف كثيرا مما نقل من ممادحه، ويجيء إلى من يحبه فيعكس الحال فيه ويظن المسكين أنه لم يأت بذنب، لأنه ليس يجب عليه تطويل ترجمة أحد، ولا استيفاء ما ذكر من ممادحه، ولا يظن المغتر أن تقصيره لترجمته بهذه النية استزراء به، وخيانة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين في تأدية ما قيل في حقه، ومن حمد وذم، فهو كمن يذكر بين يديه بعض الناس فيقول: دعونا منه، وإنه عجيب، أو الله يصلحه، فيظن أنه لم يغتبه بشيء من ذلك وما يظن أن ذلك من أقبح الغيبة"[2] في قوله "يأتي إلى من يبغضه فينقل جميع ما ذكر من مذامه ويحذف كثيرا مما نقل من ممادحه، ويجيء لمن يحبه فيعكس الحال فيه" إشارة إلى عدم الأمانة في ترجمة من يترجم له، ليغلب هوى النفس فيركز على معايبه، ومثالبه، وما عليه، ولا يستقصي في المقابل محاسنه ومناقبه وما له وهذا خلل في الأمانة العلمية.

وهكذا يرسي السبكي معلما في الكتابة المنهجية التي تقوم على استقصاء الترجمة وما يدور في فلكها من أخبار، من غير هوى ولا ميل لترسم صورة أقرب إلى واقع صاحبها في حيدة تامة. وهذه أهم خصيصة في التاريخ الموضوعي الذي يتسم بالدقة في النقل، والأمانة في الرواية، وينأى عن الذاتية التي تصبغ الواقع بصبغة الهوى فتطمس وجه الحقيقة ولا يستبين منها الحق الصراح. وهذا الذي ينبه إليه السبكي كم جنى على أحداث ورجال في تاريخ البشرية القديم والحديث حين

---

(١) طبقات الشافعية ٢/٢٣

(٢) المصدر السابق ٢/٢٣ و ٢٤

تغدو الحقائق نهبا تتقسمها الأهواء ويحتربها الخلاف العقائدي. ومن أخطر ما يصم التاريخ أن يكتب من موقف منحاز. يضخم المؤرخ من شأن من يواليهم، ويقلل من شأن من يعاديهم ويثير بين هذا وذاك أضاليل تصدر عن الهوى والغرض. ويعد السبكي حشد المذام وحذف ما نقل من الممادح خيانة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين. ويبين لنا خطورة آفة الهوى وما يتبعها من دخل يفري ويفسد كبد الحقائق، وذلك حين يعلق على كلمة أبيه: "فإما أن يتجرد عن الهوى أو يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه"[١] فيقول: "قد لا يتجرد عن الهوى ولكنه لا يظنه هوى، بل يظنه لجهله وبدعته حقا، وذلك لا يتطلب ما يقهر هواه لأن المستقر في ذهنه أنه محق، وهذا كما يفعل كثير من المتخالفين في العقائد بعضهم في بعض، فلا ينبغي أن يقبل قول مخالف في العقيدة على الإطلاق، إلا أن يكون ثقة، وقد روى شيئا مضبوطا عاينه أو حققه. وقولنا: مضبوطا احترزنا به عن رواية ما لا ينضبط من الترهات، التي لا يترتب عليها عند التأمل والتحقق شيء. وقولنا عاينه أو حققه ليخرج ما يرويه عمن غلا أو رخص ترويجا لعقيدته، وما أحسن اشتراطه العلم ومعرفة مدلولات الألفاظ، فلقد وقع كثيرون لجهلهم بهذا"[٢] فهو يوضح خطورة استيلاء الهوى على المؤرخ بحيث يضرب على سمعه وقلبه فلا يعرف أنه هوى. وبهذا ينبه إلى جنايات المتخالفين في العقائد، وقد يذكرنا هذا بإشارة ابن سلام إلى أثر العصبية في وضع الأشعار ودس الأخبار، وإن اختلف المقام فمرد هذه الآفة إلى بؤرة واحدة: هي الهوى في نصرة ما تميل إليه النفس وتنحاز"[٣].

ويضرب السبكي بشيخه الذهبي مثلا لآفة الهوى وتأثيرها في التاريخ والرواية فيقول: "وهذا شيخنا الذهبي -- رحمه الله – من هذا القبيل وله علم

---

(١) طبقات الشافعية ٢/٢٤

(٢) المصدر السابق ٢/٢٤

(٣) طبقات فحول الشعراء ١/٤٦، محمد بن سلام، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٤

وديانة، وعنده على أهل السنة تحمل مفرط فلا يجوز أن يعتمد عليه"[١] ثم يقول: "ولقد وقعت في تاريخ الذهبي رحمه الله على ترجمة الشيخ الموفق ابن قدامة الحنبلي، والشيخ فخر الدين بن عساكر وقد أطال تلك وقصر هذه، وأتى بما لا يشك لبيب أنه لم يحمله على ذلك إلا أن هذا أشعري وذاك حنبلي. وسيقفون بين يدي رب العالمين"[٢].

ويعلق على كلام أبيه: "وأن يكون حسن العبارة عارفا بمدلولات الألفاظ" فيقول "ما أحسن اشتراط العلم ومعرفة مدلولات الألفاظ فلقد وقع كثيرون لجهلهم بهذا، وفي كتب المتقدمين جرح جماعة بالفلسفة ظنا منهم أن علم الكلام فلسفة، إلى أمثال ذلك مما يطول عده، فقد قيل في أحمد بن صالح الذي نحن في ترجمته إنه يتفلسف والذي قال هذا الكلام لا يعرف الفلسفة، وكذلك قيل في أبي حاتم الرازي وإنما كان رجلا متكلما، وقريب من هذا قول الذهبي في المزي، إنه يعرف مضايق المعقول[٣] ولم يكن المزي ولا الذهبي يدريان شيئا من المعقول[٤].

ينبه السبكي بهذه الكلمات اللماحة إلى خطورة إطلاق عبارات وصفات من غير معرفة بما تدل عليه، لأن هذا يورث المعلومات فوضى فعلى الكاتب أن يحيط علما وفهما محددا بما يستعمله من كلمات. وهذه نظرة متقدمة من السبكي إذ هو ينبه إلى ما يشترطه رجال المنهج في تحديد معاني المصطلحات التي يستعملونها في معالجة قضايا الفكر والأدب، فإن لم تكن مدلولاتها واضحة محددة في ذهن من يستخدمها فسيقع في أخطاء ويوقع غيره في أخطاء، فهذه لفتة بارعة من السبكي.

---

(١) طبقات الشافعية ١٣/٢

(٢) المصدر السابق ١٤/٢

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ٢٩١/٤ الذهبي، اعتنى بطبعه السيد مصطفى علي، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، عبارة الذهبي "... ومع ذلك فله عمل كثير في المعقول" وردت في ترجمة المزي

(٤) طبقات الشافعية ٢٤/٢ و ٢٥

ويبين هذا الكلام عن التاريخ بعامة عن نفاذ بصر، وحسن دراية بالنقل والتأريخ مع تبيين مقاتل روايات المؤرخين الذين يؤتون من جهة الهوى والتعصب والشروط التي ينبغي توفرها في المؤرخ والتي نقلها عن أبيه وفرع عليها القول تجعلنا بإزاء راوية اجتمعت له آلة الرواية فهو محدث يجل أمر الأسانيد، وقاض يتوخى القصد والعدل في شهاداته ومروياته، وعدل يستنزه من أن يشان بما يقدح في صدقه، ويخل في مروءته، ويجرح في عدالته، ولما كان السبكي قد ترجم لكتاب وشعراء في كتابه الطبقات فلنا أن نتساءل إلى أي مدى طبق السبكي هذه المعايير التي يذكر أنها تقربنا إلى الحق وتضبط الرواية والترجمة؟

أمثلة من رواياته الأدبية:

نلحظ أن السبكي يحشد الأسانيد لرواياته الأدبية، وقد يعدد الطرق التي جاءت بها الأخبار. فربما أورد الخبر بأكثر من إسناد ورواية، ذلك حين يكون في الرواية الإضافية زيادة مفيدة.

(أ) *في خبر قدوم كعب بن زهير على رسول الله صلى الله عليه وسلم* يروي السبكي الخبر من بدايته موثقا بالأسانيد:

أخبرنا محمد بن إسماعيل الحموي[١] قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي الأبهري[٢] أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن بختيار بن علي بن المندائي[٣] وأبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن

---

(١) هو محمد بن إسماعيل ولد سنة ثمانين وستمائة، سمع من الفخر بن البخاري وجماعة فوق المائة، وأجاز له جماعة منهم ابن أبي عمر، وأحضر على الرشيد العامري. الدرر الكامنة ٣٨٩/٣

(٢) القاضي عبد الواسع بن عبد الكافي الشافعي، ولد بأبهر مدينة نحو يوم من قزوين سنة تسع وتسعين وخمسمائة، أجاز له أبو الفتح المندائي، وسمع منه الحافظ المزي توفي بدمشق سنة تسعين وستمائة. شذرات الذهب ٤١٤/٥

(٣) المندائي الواسطي القاضي، مسند العراق ولد بواسط سنة سبع عشرة وخمسمائة سمع

طبرزد[١]، قال أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن عمر الحريري سماعا، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن جعفر، المعروف بابن زوج الحرة[٢] أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان[٣] حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي[٤] أخبرنا أحمد بن يحيى[٥] عن محمد بن سلام[٦] قال: أخبرني محمد بن سليمان[٧] عن يحيى بن سعيد الأنصاري[٨] عن سعيد

== سمع الكثير وروى وكان جيد السماع صحيح الأصول وهو آخر من حدث بمسند الإمام أحمد توفي بواسط سنة خمس وستمائة، وفيات الأعيان ٦٧/٤، الوافي بالوفيات ١١٦/٢

(١) ابن طبرزد المحدث المشهور البغدادي، كان عالي الإسناد في سماع الحديث، طاف البلاد، وأفاد أهلها، وألحق الأصاغر بالأكابر، وطبق الأرض بالسماعات والإجازات، وكان فيه صلاح وخير، مولده سنة ست عشرة وخمسمائة وتوفي سنة سبع وستمائة ببغداد، وفيات الأعيان ٤٥٢/٣ وما بعدها

(٢) أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة، روى عن أبي لولو وطائفة توفي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، شذرات الذهب ٢٦٩/٣

(٣) أبو بكر أحمد بن إبراهيم البغدادي البزاز، المحدث المتقن، كان يتجر في البز إلى مصر وغيرها، روى عن البغوي وطبقته، توفي سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة، شذرات الذهب ١٠٤/٣

(٤) الواسطي، أبو عبد الله بن نفطويه، النحوي قيل إنه من ولد المهلب بن أبي صفرة سكن بغداد، وصنف التصانيف، وكان متفننا في العلوم، أخذ العربية عن المبرد وثعلب ومحمد بن الجهم، وكان دينا، من تصانيفه "غريب القرآن" و"المصادر" و"الملح" و"الرد على من قال بخلق القرآن" ولد سنة أربع وأربعين ومائتين بواسط وقيل سنة خمس ... توفي سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة الوافي بالوفيات ١٣٠/٦ و١٣٣

(٥) أحمد بن يحيى بن زيد، أبو العباس ثعلب النحوي، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان ثقة حجة صالحا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم صنف كتاب "الفصيح" وصاحب كتاب المجالس المنسوبة إليه "مجالس ثعلب" ولد سنة مائتين، وقيل أربع ومائتين وقيل إحدى ومائتين رجح ابن خلكان أنه ولد سنة مائتين، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين، الوافي بالوفيات ١٠٢/٣

(٦) محمد بن سلام الجمحي مصنف كتاب "طبقات الشعراء" وله كتاب "الفاضل في الأخبار ومحاسن الشعراء" وعامة المحدثين على صدقه، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين، الوافي بالوفيات ١١٤/٣

(٧) أبو سهل محمد بن سليمان المعروف بالصعلوكي، الفقيه الشافعي، المفسر المتكلم الأديب النحوي الشاعر العروضي الأصبهاني أصلا ومولدا. كانت ولادته سنة ست وتسعين ومائتين، توفي سنة تسع وستين وثلثمائة بنيسابور، وفيات الأعيان ٢٠٤/٤

(٨) يحيى بن سعيد الأنصاري المدني الفقيه، ولي قضاء المنصور على المدينة روى عن

====

ابن المسيب[1] قال: قدم كعب بن زهير متنكرا حين بلغه أن رسول الله أوعده فأتى أبا بكر رضي الله عنه، فلما صلى الصبح أتاه به، وهو متلثم بعمامته، فقال: يا رسول الله، رجل يبايعك على الإسلام، فبسط يده، فحسر عن وجهه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا مكان العائذ بك أنا كعب بن زهير فتجهمته الأنصار، وأغلظت له، لما كان من ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ولانت له قريش، وأحبوا إسلامه فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأنشده مدحته التي يقول فيها:

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... متيّمٌ عندها لم يُشفَ مكبولُ

حتى انتهى إلى قوله:

وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آملُه ... لا أُلهينَّك إنِّي عنك مَشغولُ

كلُّ ابنِ أُنثى وإنْ طالتْ سلامتُهُ ... يوماً على آلةٍ حدباءَ محمُولُ

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوْعَدني ... والعفوُ عندَ رسولِ الله مأمُولُ

في فتيةٍ من قُريشٍ قال قائلُهمْ ... ببطنِ مكَّةَ لمَّا أسلموا زُولُوا

زالُوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللِّقاءِ ولا مِيلٌ مَعازيلُ

لا يقطعُ الطَّعنُ إلا في نُحورِهمُ ... وما لهمْ عن حِياضِ الموتِ تَهْليلُ

فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قريش كأنه يومي إليهم أن اسمعوا، حتى قال:

== أنس وخلق، كان يحيى القطان يفضله على الزهري قال الثوري كان من الحفاظ وقال ابن المديني له نحو ثلثمائة حديث توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين، شذرات الذهب ٢١٢/١

(١) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي، كان أبوه وجده صحابيين، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، قال عنه أحمد بن حنبل: أفضل التابعين، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علما منه. وإذا قال سعيد مضت السنة. روى عن أبي بكر مرسلا، وسمع من عمر وعثمان وأبي هريرة وزيد بن ثابت وعائشة رضي الله عنهم، وغيرهم وروى عن سالم بن عبد الله، والزهري وقتادة وشريك وغيرهم، كانت وفاته سنة أربع وتسعين للهجرة، وفيات الأعيان ٣٧٥/٢

يمشُونَ مشْيَ الجمالِ الزُّهـــرِ يعصِمُـــهمْ ضـــربٌ إذا عَـــرَّدَ السُّـــودُ التَّنَـــابيلُ

يعرض بالأنصار، لغلظتهم عليه. فأنكرت قريش ما قال وقالت: لم تمدحنا إذ تهجوهم. فلم يقبلوا ذلك حتى قال:

مـــن ســـرَّه كـــرمُ الحيـــاةِ فـــلا يـــزَلْ فـــي مِقْنَـــبٍ[1] مِـــن صـــالحِ الأنْصـــارِ
البَـــاذلينَ نفوسَـــهُمْ ودمـــاءَهُمْ يـــومَ الـــهِياج وســـطْوةِ الجبَّـــارِ
يَتطـــهَّرون كأنَّـــه نُسُـــكٌ لـــهُمْ بدمـــاءِ مَـــن عَلِقُـــوا مـــن الكفَّـــارِ
صدَمُـــوا قُريشًـــا يـــومَ بـــدرٍ صدمـــةً زالـــتْ لوقْعتِـــها جميـــعُ نِـــزارِ

فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردة، اشتراها معاوية بن أبي سفيان من آل كعب بن زهير بعده بمال كثير، فهي البردة التي يلبسها الخلفاء في العيدين زعم ذلك أبان."[2]

ثم يورد إسنادا آخرا يستفاد منه أن مقدم كعب كان بعد منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف، وكانت بين يدي مقدم كعب مكاتبات شعرية بينه وبين أخيه بجير رضي الله عنه الذي كتب إليه يحذره مغبة الصدود عن الإسلام ويخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش: ابن الزبعرى، وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه ويطلب قدومه تائبا ويقول له: "فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض. وكان قد قال:

---

(١) مقنب: من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلثمائة. وقنبوا صاروا مقنبا. القاموس المحيط، فصل القاف باب الباء

(٢) طبقات الشافعية ٢٢٩/١ و ٢٣٠ و ٢٣١

ألا أبلغـــا عنِّـــي بُجـــيراً رســـالةً ... فهل لك فيما قلـــتُ ويحـك هـل لكـا[1]
فبيِّـنْ لنـا إن كنـتَ لسـتَ بفـاعلٍ ... علـى أيِّ شـيءٍ غـير ذلـك دلَّكـا
علـى خُلُـقٍ لـم تُلـفِ أمـاً ولا أبـاً ... عليـه ولـم تُـدركْ عليـه أخـاً لكـا
فـإن أنـت لـم تفعـلْ فلسـتُ بآسـفٍ ... ولا قـائلٍ إمَّـا عَـثْرتَ لعـاً لكـا
سـقاك بـها المـأمون كأسـا رَوِيَّـةً ... فأنـهلك المـأمونُ منـها وعلَّكـا

قال ابن هشام: ويروى: "المأمور" – قلت أنا: ويروى: "أبو بكر" – قال وبعث إلى بجير، فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنشده إياها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع: سقاك بها المأمون: "صدق وإنَّه لَكَذُوبٌ، أنا المأمونُ" ولما سمع: "على خُلُقٍ لم تُلفِ أماً ولا أباً عليه." قال: "أجلْ لم يُلفِ عليه أباه ولا أمَّهُ".

ثم قال بجير لكعب:

من مبلـغٌ كعبـاً فـهل لـك فـي التـي ... تلـومُ عليـها بـاطلاً وهـي أحـزمُ
إلـى الله لا العُـزَّى ولا الـلاَّتِ وحـدَهُ ... فتنْجُـو إذا كـان النَّجـاةُ وتَسْـلَمُ
لـدَى يـوم لا ينجُـو وليـس بمُفْلـتٍ ... مـن النَّـاس إلا طـاهرُ القلـب مُسـلِمُ
فديـنُ زُهَـيْر وهـو لا شـيءَ دينُـهُ ... ودينُ أبـي سُـلْمى علَـيَّ مُحَـرَّمُ

قال ابن إسحاق: إنما يقول كعب "المأمون" لقول قريش الذي كانت تقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2]. فلما بلغه الكتاب، ضاقت به الأرض، وأشفق على

---

(١) رواية الأغاني: ألا أبلغـا عنـي بجـيرا رسـالة ... على أيّ شيء ويْبَ غيرك دلَّـكا
على خلـق لـم تلـق أمـا ولا أبـا ... عليـه ولـم تـدرك عليـه أخـا لكـا
سـقاك أبـو بكـر بكـأس رويـة ... فأنـهلك المـأمون منـها وعلكـا

الأغاني ١٧/٤١ و٤٢ ط٣ سنة ١٩٧٥

(٢) طبقات الشافعية ١/٢٣١ وما بعدها، نقل المصنف هذا الخبر عن ابن هشام ما قاله ابن إسحاق في أمر كعب بن زهير، انظر سيرة ابن هشام ٤/١٠٧-١١٨، تحقيق طه عبد الرؤوف. مطبعة دار الجيل، بيروت ١٩٧٥

نفسه ثم جاء مسلما[١]. ويحرص السبكي على تبيين نوع التحمل في كل مرحلة من مراحل سلسلة السند الذي يروي به الخبر الأدبي، مما يدل على حرصه على تطبيق شروط الرواية في الحديث على الخبر الأدبي فهو يقول في السند الذي خرج به الرواية المتقدمة:

(أخبرنا عبد القادر بن الملك المغيث عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب[٢]، قراءة عليه وأنا حاضر في أواخر الثالثة، أو أوائل الرابعة بالقاهرة، والمسند أحمد بن علي بن الحسن بن داود الحنبلي[٣]، بقراءتي عليه مرة، وقراءة عليه وأنا أسمع أخرى بدمشق، قالا: أخبرنا محمد بن إسماعيل خطيب مردا[٤] قال الأول سماعا، وقال الثاني: حضورًا في الخامسة، أخبرنا صنيعة الملك أبو محمد هبة الله بن يحيى بن حيدرة[٥]، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي[٦] أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين الخلعي[٧] أخبرنا أبو محمد

---

(١) طبقات الشافعية ٢٣٣/١

(٢) عبد القادر بن الملك المغيث عبد العزيز روى السيرة وأجزاء عن خطيب مردا، وتفرد وكان ممتعا بحواسه مليح الشكل، توفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، شذرات الذهب ١١٥/٦

(٣) المسند أحمد بن علي ولد سنة تسع وأربعين وستمائة، وأحضر على أبي على البكري وخطيب مردا، حدث كثيرا وسكن حماة ثم دمشق. توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة. الدرر الكامنة ٧٠٧/١

(٤) الفقيه المقدسي النابلسي الحنبلي ولد بمردا سنة ست وستين وخمسمائة ظنا وتفقه بدمشق وسمع من يحيى الثقفي، وأحمد بن الموازيني وبمصر من البوصيري وغير واحد، توفي سنة ست وخمسين وستمائة، شذرات الذهب ٢٨٣/٥

(٥) صنيعة الملك القاضي المصري راوي كتاب السيرة، توفي سنة ستمائة، شذرات الذهب ٣٤٨/٤

(٦) الشافعي السعدي المصري قاضي الجيزة، كان فقيها ماهرا في الفرائض، تفقه على القاضي الخلعي ولازمه وهو آخر من حدث عنه، ثم ترك القضاء واعتزل في القرافة مشتغلا بالعبادة، توفي سنة إحدى وستين وخمسمائة، شذرات الذهب ١٩٨/٤

(٧) هو القاضي المعروف بالخلعي الموصلي الأصل، المصري الشافعي، ذكره القاضي أبو بكر بن العربي، فقال له علو في الرواية، وعنده فوائد، ولد سنة خمس وأربعمائة بمصر وتوفي بها سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة حدث عنه الحميدي

عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن النحاس البزار، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد، أخبرنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي[١] أخبرنا أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي البصري[٢] حدثنا زياد بن عبد الله البكائي[٣] عن محمد بن إسحاق المطلبي[٤] قال: ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه من الطائف)[٥].

وقد أورد صاحب الأغاني، خبر كعب بن زهير بهذا الإسناد:

(أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة[٦] قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي[٧] قال حدثني الحجاج بن ذي

== وفيات الأعيان ٣١٧/٣ و٣١٨

(١) عبد الرحيم بن عبد الله مولى الزهريين روى السيرة عن ابن هشام وكان ثقة، توفي سنة ست وثمانين ومائتين. شذرات الذهب ١٩٣/٢

(٢) النحوي البصري صاحب المغازي، هذب السيرة ونقلها عن البكائي صاحب ابن إسحاق. كان أديبا إخباريا نسابة سكن مصر وبها توفي سنة ثماني عشرة ومائتين. شذرات الذهب ٤٥/٢

(٣) البكائي كوفي روى السيرة عن محمد بن إسحاق وعنه رواها عبد الملك بن هشام، كان صدوقا ثقة، خرج عنه البخاري في كتاب الجهاد، ومسلم في مواضع من كتابه، وذكر البخاري في تاريخه عن وكيع قال زياد أشرف من أن يكذب في الحديث توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة

(٤) المطلبي بالولاء، صاحب المغازي والسير، كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلبي بن عبد مناف القرشي، كان ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها توفي ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة وقيل سنة خمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين. وفيات الأعيان ٢٧٦/٤ وما بعدها

(٥) طبقات الشافعية ٢٣١/١

(٦) عمر بن شبة النميري البصري، كان صاحب أخبار ونوادر ورواية، صنف تاريخ البصرة سئل عنه أبو حاتم الرازي فقال صدوق، وروى عن الحافظ محمد بن ماجة صاحب السنن. ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة، توفي سنة اثنتين ومائتين أو ثلاث وستين ومائتين بسر من رأى. وفيات الأعيان ٤٤٠/٣

(٧) إبراهيم بن المنذر من أئمة المحدثين روى عنه البخاري وابن ماجة وروى عنه الترمذي والنسائي بواسطة، وثعلب النحوي وبقي بن مخلد، وابن أبي الدنيا. قال صالح جزرة: صدوق، توفي سنة ست وثلاثين ومائتين، الوافي بالوفيات ١٥٠/٦

الرقيبة بن عبد الرحمن بن مضرب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده "....."[١] قال عمر بن شبة، فحدثني الحزامي، قال حدثني محمد بن فليح[٢] عن موسى بن عقبة[٣] وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعد، قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي[٤] قال حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة قال: أنشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده، فلما بلغ قوله: إن الرسول لسيف ... أشار إلى الخلق أن يسمعوا شعر كعب، قال الحزامي: قال علي بن المديني[٥]: "لم أسمع في خبر كعب حديثا قط أتم ولا أحسن من هذا، ولا أبالي أن لا أسمع من خبره غير هذا"[٦].

ورواية يشيد بها علي بن المديني هذه الإشادة وهو أحد حفاظ الحديث – ولا يخفى هذا على السبكي – كان أحرى بالسبكي أن يوردها ولكن نراه قد أضرب عنها واستقل بطريقين مستقلين ليس في إسنادهما واحد من رجال إسناد صاحب الأغاني في خبر كعب بن زهير ولعله عدل عن ذلك لأنه لم يتصل له سند من هذا الطريق وفضل عليه طريقا يصح له فيه اتصال السند، وهذا من طموح أهل الحديث

---

(١) الأغاني ٤٤١/١٧ وما بعدها

(٢) محمد بن فليح المدني، روى عن هشام بن عروة وطبقته. قال في المغني: ثقة قال أبو حاتم ليس بذاك القوي، توفي سنة سبع وتسعين ومائة، شذرات الذهب ٣٤٩/١

(٣) موسى بن عقبة المدني صاحب المغازي روى عن أم خلد بنت خلد المخزومية ولها صحبة، وعن عروة وطبقته، وكان متقنا حافظا نبيها، وكان له ولاء في آل الزبير بن العوام، توفي سنة إحدى وأربعين ومائة، شذرات الذهب ٢٠٩/١

(٤) محمد بن إسحاق المسيبي روى عنه مسلم وأبو داود وأبو زرعة وغيرهم، توفي سنة ست وثلاثين، الوافي بالوفيات ١٨٩/٢

(٥) علي بن المديني الإمام أحد الأعلام، البصري الحافظ صاحب التصانيف، قال البخاري ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند ابن المديني، قال أبو داود ابن المديني أعلم باختلاف الحديث من أحمد بن حنبل، وقال عبد الرحمن بن المهدي ابن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة بحديث سفيان بن عيينة، توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين، شذرات الذهب ٨١/٢

(٦) الأغاني ٤٣/١٧

في علو الإسناد. ومهما يكن فبعدوله عن طريق إسناد صاحب الأغاني يكون قد أضاف إلى الخبر أسانيد وطرقا تقويه، ونلحظ أنه قد حافظ على منهجه في الإسناد وأربى على صاحب الأغاني بإشارته الدقيقة إلى صور التحمل: سماعا كان أو قراءة أو إجازة، وفي هذا – بلا شك – توثيق فيه قوة يضيفه السبكي إلى رواياته الأدبية.

(ب) خبر إنشاد النابغة الجعدي النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته الرائية والتي يقال إنها أحسن شعر قيل في الفخر بالشجاعة[1].

أورد السبكي هذا الخبر بأكثر من إسناد وسنورد أسانيده ليستبين لنا حرصه على ذكر صور التحمل – الذي سلفت الإشارة إليه من قبل – مع ذكر دقائق تتعلق بالإسناد، فهو يسمي أحيانا المكان الذي سمع فيه ويحدد الزمان، وهل الأخذ إجازة، أو قراءة، وهو يسمع، مع محافظته على الفرق بين "حدثنا" و"أخبرنا" إذ أن "حدثنا" لا يجوز إطلاقه إلا لما سمعه الراوي من لفظ الشيخ خاصة. و"أخبرنا" لما قرئ على الشيخ، وهذا الفرق هو مذهب الشافعي وأصحابه وجمهور أهل العلم بالمشرق[2] يقول السبكي: "أخبرنا المشايخ: حافظ الزمان أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن الكلبي[3] والمحدث أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة[4]

---

(١) طبقات الشافعية ٢٤٧/١

(٢) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ٢١/١ و٢٢ ط١ القاهرة ١٣٤٧ – ١٩٢٩
وذهب جماعات إلى أنه يجوز أن يقال فيما قرئ على الشيخ حدثنا وأخبرنا وهو مذهب الزهري ومالك وسفيان بن عيينة والبخاري وغيرهم

(٣) الشيخ أبو الحجاج المزي "أحد مشايخ السبكي" ولد سنة أربع وخمسين وستمائة بظاهر حلب. سمع الكتب الطوال: كالسنة، والمسند، والمعجم الكبير، وتاريخ الخطيب، وصنف وجمع له الدراية والرواية وعلو الإسناد، توفي سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة. طبقات الشافعية ٣٩٥/١٠ وما بعدها

(٤) ابن نباتة المحدث، شمس الدين المصري، ولد سنة ست وستين وستمائة، سمع من العز الحراني وأبي خطيب المزة وغيرهم، ثم سكن دمشق، وحدث بالكثير وولي دار الحديث النورية بعد المزي، وهو والد الشاعر المشهور جمال الدين بن نباتة، توفي سنة خمسين وسبعمائة، الدرر الكامنة ١٧٣/٤

وأبو سليمان داود بن إبراهيم بن داود بن العطار[١]، الشافعيون، قال الأول والثالث أخبرنا أبو حامد محمد بن علي بن الصابوني[٢] وقال ابن نباتة: أخبرنا عبد الرحيم بن عبد المنعم بن الدميري[٣] قالا: أخبرنا ابن أحمد بن ملاعب[٤] قال ابن الصابوني سماعا وقال الدميري إجازة، أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر الزاغوني[٥] قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي[٦] وأبو القاسم علي بن أحمد بن محمد البسري البندار[٧] إجازة.

أ. قال ابن ملاعب: وأخبرنا الحاجب الأجل أبو منصور نوشتكين بن عبد الله قراءة عليه، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد البسري، قالا: أخبرنا أبو طاهر[٨]

---

(١) داود بن إبراهيم، ولد سنة خمس وستين وستمائة، أجاز له ابن عبد الدائم والنجيب والنوري وغيرهم، سمع بإفادة أخيه علاء الدين الدمشقي من أبي عمر وابن شيبان وغيرهم. توفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، الدرر الكامنة ٩٥/٢

(٢) ابن الصابوني، أبو حامد محمد، ولد سنة أربع وستمائة، سمع من القاضي أبي القسم بن الحرستاني وابن ملاعب وغيرهم ثم طلب الحديث وبالغ وكتب وجمع، روى عنه الدمياطي والمزي والبرزالي. توفي سنة ثمانين وستمائة ودفن بسفح قاسيون، تذكرة الحفاظ ٢٥٥/٤ و ٢٥٦

(٣) الدميري المصري، أخذ من الحافظ علي بن المفضل وأبي طالب بن حديدة، وكان إماما فاضلا دينا، توفي سنة خمس وتسعين وستمائة. شذرات الذهب٤٣١/٥

(٤) زين الدين أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب، روى عن الأرموي، وابن ناصر وطائفة. توفي بدمشق سنة ست عشرة وستمائة. شذرات الذهب ٦٧/٥

(٥) الزاغوني البغدادي المجلد، سمع أبا القاسم البسري وأبا نصر الزينبي وصار مسند العراق، وكان صالحا، اصطفاه الخليفة لتجليد خزانة كتبه توفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، شذرات الذهب ١٦٤/٤

(٦) أبو نصر الزينبي الهاشمي العباسي، مسند العراق، وآخر أصحاب المخلص ومحمد بن عمر الوراق، كان ثقة خيرا. توفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة شذرات الذهب ٣٦٤/٣

(٧) البسري البندار البغدادي، قال أبو سعد السمعاني كان صالحا ثقة ورعا مخلصا عالما، سمع المخلص وجماعة وأجاز له ابن بطة ونصر المرجي، كان متواضعا حسن الأخلاق ذا هيبة ووقار. توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة، شذرات الذهب ٣٤٦/٣

(٨) أبو طاهر المخلص البغدادي، مسند وقته سمع أبا القاسم البغوي وطبقته كان ثقة، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة. شذرات الذهب ١٤٤/٣

محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص[١].

ب. أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتي عليه، أخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي[٢] بقراءتي أخبرنا أبو علي الحسن بن إسحاق بن موهوب بن أحمد الجواليقي[٣] أخبرنا الوزير العادل عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة[٤] قراءة عليه وأنا أسمع سنة ست وخمسين وخمسمائة، قال قرأت على مولانا المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد بن المستظهر أبي العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم[٥]، سنة اثنتين وخمسين، حدثكم أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله بن أحمد السيبي[٦]، لفظا، سنة خمسمائة، أخبرنا

---

(١) طبقات الشافعية ٢٤٥/١

(٢) الأبرقوهي نسبة إلى أبرقوه بلدة بأصبهان حدث عن الفتح بن عبد السلام وابن صرما وابن أبي نعمة، وكان مقرئا صالحا متواضعا فاضلا. توفي بمكة سنة إحدى وسبعمائة، شذرات الذهب ٤/٦

(٣) أبو علي الجواليقي روى عن ابن ناصر وعن أبي بكر الزاغوني وجماعة وكان ذا دين ووقار. توفي سنة خمس وعشرين وستمائة، شذرات الذهب ١١٧/٥

(٤) أبو المظفر عون الدين من قرية من بلاد العراق تعرف بقرية بني أزقر، ودخل بغداد في صباه واشتغل بالعلم وجالس الأدباء والفقهاء حدث عن الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين، وسمع منه خلق كثير منهم الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي وكانت قراءته الأدب على أبي منصور الجواليقي وتفقه على أبي الحسين محمد بن محمد الفراء، وله تصانيف منها "الإفصاح عن شرح معاني الصحاح" يشتمل على تسعة عشر كتابا، ولد سنة سبع وتسعين وأربعمائة توفي سنة ستين وخمسمائة. وفيات الأعيان ٢٣٠/٦ وما بعدها

(٥) أمير المؤمنين، كان عالما فاضلا دينا حليما شجاعا مهيبا خليقا بالإمارة، كان في أول أمره مشتغلا بالدين ونسخ العلوم وقراءة القرآن، لم ير بعد المعتصم مع سماحته ولين جانبه خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته، مع ما خص به من زهده وورعه وعبادته، ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت، قال ابن الجوزي من أيام المقتفي عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء كانت دولته خمسا وعشرين سنة، توفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة. شذرات الذهب ١٧٢/٤

(٦) أحمد بن عبد الوهاب، كانت له معرفة بالأدب والشعر تولى تأديب أولاد المستظهر سمع الحديث من عبد الله الصريفيني وغيره وروى عنه المقتفي لأمر الله، توفي سنة أربع عشر وخمسمائة. الوافي بالوفيات ١٦٢/٧

أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الصريفيني[١]، حدثنا أبو طاهر المخلص"[٢].

ج. أخبرنا عبد المحسن بن أحمد الصابوني[٣] وأبو بكر بن عبد الغني بن أبي الحسن الصعبي، قراءة عليهما وأنا حاضر أسمع في الرابعة بالقاهرة قال الأول: أخبرنا المعين أحمد بن القاضي أبي الحسن علي بن يوسف الدمشقي[٤]، وإسماعيل ابن عزون[٥]، وأحمد بن أبي النحاس[٦]، قال المعين وابن عزون أخبرنا إسماعيل بن صالح بن ياسين[٧] وقال النحاس: أخبرنا عبد الرحمن بن مكي بن موقا[٨]، وقال الثاني – أعني الصعبي – أخبرنا عبد العزيز بن أبي الفتوح بن أبي الروس أخبرنا

---

(١) هو أبو محمد الصريفيني منسوب إلى صريفين، قرية قرب بغداد، روى عن أصحاب البغوي، وأصحاب ابن صاعد وغيرهم، وروى عنه الخطيب، وابن خيرون توفي سنة تسع وتسعين وأربعمائة. اللباب لابن الأثير ٥٤/٢

(٢) طبقات الشافعية ٢٤٦/١

(٣) عبد المحسن بن أحمد الصابوني، حفيد الحافظ أبي حامد بن الصابوني، ولد سنة سبع وخمسين وستمائة، سمع من ابن عزون، والمعين الدمشقي، وابن علان وغيرهم بالقاهرة، ومن ابن أبي اليسر وجماعة بدمشق، توفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة. الدرر الكامنة ٤١١/٢

(٤) الدمشقي الأصل المصري الشافعي، ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة، سمع من أبيه وعمه أبي حفص والبوصيري وابن ياسين، روى عنه الشيخ شرف الدين وقاضي القضاة ابن جماعة، وكان آخر من روى صحيح البخاري عن هبة الله البوصيري توفي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة. الوافي بالوفيات ٢٤٠/٧

(٥) ابن عزون الغزي ثم المصري الشافعي، ولد قبل التسعين والخمسمائة، سمع الكثير من البوصيري وابن ياسين والعماد الكاتب، وروى الكثير وروى عن الدمياطي وابن جماعة وغيرهم توفي سنة سبع وستين وخمسمائة الوافي بالوفيات ١٤٤/٩

(٦) أبو البركات أحمد بن عبد الله بن محمد الأنصاري المالكي الإسكندراني بن النحاس سمع من عبد الرحمن بن موقا وغيره توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة شذرات الذهب ٣٣٣/٥

(٧) ابن ياسين، روى عن أبي عبد الله الرزاز مشيخته، توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة، شذرات الذهب ٣٢٣/٤

(٨) عبد الرحمن بن مكي، الطرابلسي المغربي ثم الإسكندراني. ولد سنة سبعين وخمسمائة وسمع من جده السلفي الكبير ومن غيره، وانتهى إليه علو الإسناد بالديار المصرية. توفي سنة إحدى وخمسين وستمائة. شذرات الذهب ٢٥٤/٥

ابن موقا قالا – ابن ياسين وابن موقا – : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي[١] أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي[٢] بمصر، أخبرنا عبيد الله ابن محمد بن بطة العكبري[٣] بها قالا – المخلص وابن بطة – : أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي[٤]، حدثنا داود بن رشيد[٥]، حدثنا يعلى بن الأشدق قال: سمعت النابغة يقول: أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال: "أين المظهر يا أبا ليلى؟" قلت: الجنة. قال: "أجل، إن شاء الله تعالى" ثم قلت:

ولا خيرَ في حِلمٍ إذا لم يكن له بوادرُ تحمي صفوَه أن يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمرَ أصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أجدتَ لا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ" قال مرتين. اللفظ لرواية

---

(١) الرازي ثم المصري المعدل، يعرف بابن الخطاب، مسند الديار المصرية وشيخ الإسكندرية، توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وله إحدى وتسعون سنة النجوم الزاهرة ٥/٢٤٧

(٢) السعدي البغدادي الفقيه الشافعي تلميذ أبي حامد الإسفرايني، وراوي معجم الصحابة للبغوي عن ابن بطة، وقد روى عن جماعة كثيرة بالعراق والشام ومصر توفي سنة إحدى وأربعين وأربعمائة. شذرات الذهب ٣/٢٦٧

(٣) الحافظ ابن بطة، الفقيه، الحنبلي، العبد الصالح، روى عن البغوي وخلق وصنف كتابا في السنة، من مصنفاته "الإبانة في أصول الديانة" لازم بيته أربعين سنة فلم ير في سوق ولا رؤي مفطرا إلا في يوم الفطر والأضحى والتشريق توفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة. شذرات الذهب ٣/١٢٢

(٤) البغوي كان محدثا حافظا مجودا مصنفا انتهى إليه علو الإسناد في الدنيا سمع في الصغر بعناية جده لأمه أحمد بن منيع وعمه علي بن عبد العزيز وحضر مجلس عاصم بن علي، وروى الكثير على علي بن الجعد، وعلي بن المديني وغيرهم. كان ناسخا مليح الخط. توفي ببغداد سنة سبع عشرة وثلثمائة وله مائة وثلاث وشهر. شذرات الذهب ٢/٢٧٥

(٥) داود بن رشيد الخوارزمي، سمع إسماعيل بن جعفر وطبقته، وكان ثقة واسع الرواية. توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين ببغداد. شذرات الذهب ٢/٩١

ابن بطة[١].

أورد السبكي خبر النابغة بأكثر من إسناد فأسانيده، التي بدأ بها تنتهي عند أبي طاهر بن المخلص، وإسناد أعلى ينتهي إلى يعلى بن الأشدق الذي سمع من النابغة. ويعلل السبكي إيراده الإسناد الأنزل فيقول: "والإسناد الثاني وإن كان أنزل، فإنما ذكرناه لما فيه من اجتماع خليفة ووزيره، الخليفة المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن المستظهر أبي العباس أحمد والوزير العادل عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة – ومثل هذا – كما يقول تاج الدين –: مستغرب مستطرف[٢]. وهذا الاستطراف من أعراف المحدثين، فهم يأتون بروايات ويعلقون مستطرفين، كأن يقولوا: هذا الإسناد اجتمعت فيه مثلا رواية الأبناء عن الآباء .....[٣].

ويقول تاج الدين "وأبيات النابغة هذه من قصيدة له، أولها:

خليليَّ غُضَّا ساعةً وتَهجَّرا ولُومَا عليَّ ما أحدث الدهرُ أوْ ذَرَا

وهي نحو مائتي بيت. قيل إنها أحسن شعر قيل في الفخر والشجاعة[٤] ثم يورد هذه الأبيات:

تذكرتُ والذكرى تَهيجُ على الفتى ومن حاجةِ المحزونِ أن يتذكَّرا
ندامايَ عند المُنذر بنِ مُحَرّقٍ أرَى اليومَ منهم ظاهرَ الأرضِ مُقْفِرا
تقَضَّى زمانُ الوصل بيني وبينها ولم ينقضِ الشوقُ الذي كان أكْثرا
وإني لاَسْتَشْفِي برُؤْيةِ جارِها إذا ما تَلَقَّيها عليَّ تعذَّرَا

---

(١) انظر طبقات الشافعية ٢٤٥/١ و ٢٤٧
(٢) المصدر السابق ٢٤٧/١ وانظر الشعر والشعراء ٢٨٩/١ حيث أورد ابن قتيبة إنشاد النابغة الجعدي الرائية بين يدي النبي ولم يوردها بإسناد
(٣) انظر مصطلح الحديث: فصل لطائف الإسناد ص ١٣١ وما بعدها ٥- محمود الطحان دار التراث العربي، بيروت ١٤٠١ - ١٩٨١
(٤) طبقات الشافعية ٢٣٤/١

وأُلْقِي على جيرانِها مِسْحةَ الهوى ... وإن لم يكونُوا لي قبيلاً ومَعْشرا
تَرَدَّيتُ ثوبَ الذُّلِّ يومَ لقيتُها ... وكان ردائي نَخْوةً وتجبُّرا
حسِبْنا زماناً كلَّ بيضاءَ شحمة ... ليالِيَ إذ نغزُو جُذاماً وحِمْيَرَا
إلى أن لَقِينَا الحيَّ بكرَ بنَ وائلٍ ... ثمانينَ ألفاً دَارِعِينَ وحُسَّرَا
فلمَّا قرعْنا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بعضَهُ ... ببعْضٍ أبتْ عيدانُه أن تَكسَّرَا
سقيناهُمُ كأساً سَقَوْنا بمثْلِها ... ولكنَّنا كنا على الموت أصْبَرَا
بنفْسِي وأهْلي عُصبةً سلميةً ... يُعِدُّون للهَيْجَا عَنَاجِيجَ ضُمَّرَا
وقالوا لنا أحيُوا لنا من قتلتُمُ ... لقد جئتمُ أمراً من الأمرِ مُنكَرَا
ولسنا نردُّ الرُّوحَ في جسمِ ميِّتٍ ... ولكِنْ نسلُّ الرُّوحَ مِمَّن تنشَّرَا
نُميتُ ولا نُحْيِي كذاك صَنِيعُنا ... إذا البطلُ الحامي إلى الموت هَجَّرَا
ملكْنا فلمْ نكشِفْ قِناعاً لحُرَّةٍ ... ولم نستلبْ إلا الحديدَ المُسَمَّرَا
ولو أنَّنا شِئْنا سوى ذاك أصبحتْ ... كرائمُهم فينا تُباع وتُشْتَرَى
ولكنَّ أحساباً نمَتْنا إلى العلا ... وآباءَ صِدقٍ أن نرومَ المُحَقَّرَا
وإنَّا لَقَوْمٌ ما نُعوِّد خيلَنا ... إذا ما التقينا أن تَحيدَ وتنْفِرَا
وننكرُ يومَ الرَّوْع ألوانَ خيلنا ... من الطَّعنِ حتى نحسِبَ الجَوْنَ أشْقَرَا
وليس بمعروف لنا أن نردَّها ... صِحاحاً ولا مُستنكرا أن تُعَقَّرَا
أتينا رسولَ اللهِ إذْ جاء بالهدى ... ونتلُوا كتاباً كالمَجرَّةِ نَيِّرَا[1]

د. ويروي السبكي أبيات قتيلة بنت الحارث بن النضر – بسنده – التي أنشدتها، وسمعها النبي صلى الله عليه وسلم بعدما قتل النضر وهي:

يا راكباً إنّ الأُثَيْل مَظِنَّةٌ ... من صبحِ خامسةٍ وأنت موفَّقُ[2]
أبلغ بها مَيْتاً بأن تحيةً ... ما إن تزالُ بها النجائبُ تخفِقُ

---

(١) طبقات الشافعية ٢٤٨/١ وما بعدها

(٢) انظر الأبيات في طبقات الشافعية ٢٥١/١ وزهر الآداب ٢٧/١ و٢٨ لأبي إسحاق القيرواني. تحقيق د. زكي مبارك، القاهرة ١٩٢٥، وشرح ديوان الحماسة ٩٦٣/٢ للمرزوقي. تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ط١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧١ - ١٩٥١

مِنِّـــي إليـــكَ وعـــبرةً مســـفوحةً ... جـادتْ بواكِفـــها وأخـــرى تَخنُـــقُ
هـل يســـمعنِّي النضـــرُ إن ناديتُـــه ... أم كيـف يســـمعُ ميّـــتٌ لا ينطِـــقُ
أمحمـدٌ ولأنـتَ ضِـنـــوُ كريمـــةٍ ... فـي قومِـها والفحـلُ فحـلٌ مُعـــرِقُ
مـا كـان ضـرَّكَ لـو منـنتَ وربَّمـا ... مـنَّ الفتـى وهـو المَغِيـظُ المُحنَـــقُ
أو كنـتَ قـابلَ فِدْيـــةٍ فَلْيُـنْـــفَقَنْ ... بـأعزِّ مـا يغلُـو بِـــهِ مـــا يُنْفِـــقُ
والنضـرُ أقـربُ مـن أسـرتَ قرابـــةً ... وأحقُّـــهم إن كـــان عتـــقٌ يُعتَـــقُ
ظلَّـتْ سـيوفُ بنـي أبيـــه تنوشُـــه ... لله أرحـــامٌ هنـــاك تُشـــقَّقُ
صـبرا يُقـادُ إلـــى المَنيَّـــةِ مُتْعبـــاً ... رَسْـفَ المقيَّـدِ وهـو عـانٍ موثَـــقُ

ويورد ما قاله ابن هشام: "فيقال، والله أعلم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال: "لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه"[1] يقول السبكي: "وفي كتاب الزبير بن بكار[2] في النسب أن بعض أهل العلم ذكر أن هذه الأبيات مصنوعة، ونحن قد تكلمنا على قوله صلى الله عليه وسلم: "لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه" في مسألة التفويض، في كتابنا "شرح المختصر" و"شرح المنهاج" بما يغني عن الإعادة."[3]

٥. يروي السبكي مناشدة أبي صرد للرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين ليرد إليهم السبي وكان عليه الصلاة والسلام استأنى بالسبي يتوكف إسلامهم ولكنهم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٨٥/٢ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية

(٢) هو أبو بكر عبد الله بن أبي بكر القرشي الأسدي المكي قاضي مكة، حدث عن سفيان بن عيينة، وأبي ضمرة أنس بن عياض وعبد الله بن نافع، قال الدارقطني ثقة، وقال الخطيب: كان ثقة ثبتا عالما بالنسب، وأخبار المتقدمين، له مصنف في نسب قريش، تذكرة الحفاظ ١٠٩/٢

(٣) انظر طبقات الشافعية ٢٥٢/١ وانظر زهر الآداب ٢٨/١ مقالة الزبير بن بكار، قال ابن كثير في السيرة النبوية "كان هذان الرجلان – عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث – من شر عباد الله وأكثرهم كفرا وعنادا وبغيا وحسدا وهجاء للإسلام وأهله لعنهما الله، وقد فعل" ٤٧٤/٢، السيرة النبوية لابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد، عيسى الحلبي ١٣٨٤ – ١٩٦٤ القاهرة

تأخروا. يورد السبكي هذا الخبر بإسناد يبدأه بأربعة أشخاص ينتهي إسنادهم آخر الأمر إلى عبد الرحمن بن مكي بن موقا وإسماعيل بن صالح اللذين قالا: أخرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي أخبرنا أبو الحسن علي بن بقي بن محمد الوراق بمصر، حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر اليمني التنوخي[1]، حدثنا خلف الواسطي الحافظ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن إسماعيل بن القاسم بن عاصم، حدثنا أبو محمد عبيد الله بن رماحس بن محمد بن خالد بن حبيب بن قيس، من رمادة، من الرملة على بريدين في ربيع الآخر من سنة ثمانين ومائتين، حدثنا أبو عمرو زياد بن طارق الجشمي، حدثنا زهير أبو جرول، وكان سيد قومه، وكان يكنى أبا صرد، قال: لما كان يوم حنين أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا هو يميز بين الرجال والنساء وثبت حتى قعدت بين يديه، أذكره حيث شب ونشأ في هوازن، وحيث أرضعوه فأنشأت أقول[2]:

امنُن علينا رسولَ اللهِ في كرمٍ ... فإنك المرءُ نرجوه وننتظرُ

امنُن على بيضةٍ قد عاقها قدرٌ ... مُفرَّقٌ شملُها في دهرها غِيَرُ

أبقتْ لنا الحربُ هُتَّافاً على حزَنٍ ... على قلوبهمُ الغمَّاءُ والغِمَرُ

إن لم تداركهُمُ نعماءُ تنشرُها ... يا أرجحَ النَّاسِ حلماً حين يُختَبَرُ

امنُن على نسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُهَا ... إذ فُوكَ تملأهُ من مخضها الدِّرَرُ

إذ أنت طفلٌ صغيرٌ كنتَ تَرضَعُها ... وإذ يرينك ما تأتي وما تذر

يا خيرَ مَن مرحَتْ كُمْتُ الجيادِ به ... عند الهياجِ إذا ما استَوْقَدَ الشَّرَرُ

لا تجعلَنَّا كمن شالتْ نعامتُهُ ... واستبق منا فإنا معشر زُهُر

---

(١) أبو عبد الله النحوي الأديب كان مقيما بمصر، صنف أخبار النحويين، ومضاهاة أمثال كليلة ودمنة، توفي سنة أربعمائة، روى عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن علي النحوي ... وجماعة. روى عنه أبو الحسن أحمد بن محمد الصيفي، وعلي بن بقا وأبو ذر الهروي وقال فيه صحيح السماع حسن الأصول، بغية الوعاة ٩٣/١ السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١، الحلبي ١٣٨٤ - ١٩٦٤

(٢) طبقات الشافعية ٢٤٤/١

إنـا نُؤمِّـل عفـــواً منـــك تُلبِسُـــه هُـدَى البَرِيَّـــةِ أن تعفُـــو وتنتصـــرُ
إنّـا لَنشـكرُ للنَّعمـــا وقـــد كُفِـــرَتْ وعندنـا بعـد هـذا اليـــومِ مُدَّخـــرُ
فألبس العفـوَ مـن قـد كنـتَ تَرْضَعُـه مـن أُمَّـــهاتِك إن العفـــوَ مُشـــتَّهرُ
واعـفُ عفـا اللهُ عمَّـا أنـتَ واهبُـــه يـوم القيامـةِ إذ يُـهدَى لـك الظَّفَـــرُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فلله ولكم" وقالت الأنصار ما كان لنا فلله ولرسوله، فردت الأنصار ما كان في أيديها من الذراري والأموال[1].

يروي ابن إسحاق[2] الواقعة المتقدمة ولم يرد ذكر للشعر في روايته: قال ابن إسحاق حدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن وفد هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا: فقالوا يا رسول الله إنا أهل وعشيرة. وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك قال: وقام رجل من هوازن ثم أحد بني سعد بن بكر يقال له زهير: يكنى أبا صرد فقال يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك (يشير إلى حليمة السعدية التي أرضعته – ورهطها من بني سعد بن بكر) اللاتي كن يكفلنك ... وذكر خطبته النثرية ولم يرد ذكر الأبيات في رواية ابن هشام.

و. يقدم السبكي لقصيدة ابن زريق فيقول: "وروى الحافظ أبو سعد في الذيل أن الإمام أبا محمد بن حزم، قال: من تختم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقه للشافعي، وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل ظرفه"[3].

قلت – أي تاج الدين – وقصيدة علي بن زريق الكاتب البغدادي غراء

---

(١) طبقات الشافعية ٢٤٤/١ وما بعدها
(٢) سيرة ابن هشام ٩٨/٤ مطبعة دار الجيل ١٩٧٥
(٣) طبقات الشافعية ٣٠٨/١

بديعة أخبرنا بها أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الخباز[١] قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو الحسن بن البخاري وأبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب الشيباني[٢] وزينب بنت مكي بن علي الحراني[٣] إجازة، قالوا أخبرنا عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن نبهان الغنوي[٤] أنشدنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي[٥] أنشدني الأمير أبو الهيجا محمد بن عمران بن شاهين، أنشدني علي بن زريق أبو الحسن الكاتب البغدادي لنفسه[٦]:

لا تعذُليه فإن العذل يولعه ... قد قلت حقا ولكن ليس يسمعُهُ
جاوزتِ في لُومِهِ حداً يُضِرُّ به ... من حيثُ قدَّرتِ أن اللومَ ينفعُهُ
فاستعملي الرفقَ في تأنيبِهِ بدلاً ... من عنفهِ فهو مُضنى القلبِ مُوجَعُهُ
قد كان مُضطلعاً بالبَيْنِ يحملُه ... فضلَعتْ بخطوبِ البَيْنِ أضلُعُهُ
يكفيه من رَوْعةِ التَّفنيدِ أنّ له ... من النَّوى كلَّ يومٍ ما يُرَوِّعُهُ
ما آبَ من سفرٍ إلا وأزعجه ... رأيٌ إلى سفرٍ بالعَزْمِ يُجْمِعُهُ
كأنَّما هو من حِلٍّ ومُرتَحلٍ ... مُوكَّلٌ بفضاءِ الأرضِ يَذْرَعُهُ

---

(١) الخباز الدمشقي الأنصاري من ولد عبادة بن الصامت، ولد سنة سبع وستين وستمائة، فبكر به أبوه فأحضره على أحمد بن عبد الدائم والكمال بن عيد وإسماعيل بن أبي اليسر وغيرهم، وتفرد بالرواية عن أكثرهم، وتفرد برواية مسلم بالسماع المتصل، توفي سنة ست وسبعمائة، الدرر الكامنة ٣٨٤/٣

(٢) ابن شيبان راوي مسند الإمام أحمد، أجاز له أبو جعفر الصيدلاني وخلق كثر عن حنبل وطبرزد وجماعة توفي سنة خمس وثمانين وستمائة شذرات الذهب ٣٩٠/٥

(٣) الشيخة المعمرة العابدة سمعت من حنبل وطبرزد ... وطائفة وازدحم عليها الطلبة عاشت أربعا وتسعين سنة توفيت سنة ثمان وثمانين وستمائة شذرات الذهب ٤٠٤/٥

(٤) الغنوي نسبة إلى غني بن العصر، الصوفي والفقيه الشافعي، سمع رزق الله التميمي، وتفقه على الغزالي وغيره وكان ذا سمت ووقار وعبادة وهو راوي خطب ابن نباتة، توفي عن خمس وثمانين سنة، سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة شذرات الذهب ١٣٥/٤

(٥) أبو عبد الله الحميدي الأندلسي الحافظ المشهور، أصله من قرطبة، روى عن أبي محمد بن حزم الظاهري، وعن ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب، سمع بمكة ومصر والشام والعراق وبأفريقية والأندلس، كانت ولادته قبل العشرين وأربعمائة، توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ببغداد، وفيات الأعيان ٢٨٢/٤

(٦) انظر القصيدة في طبقات الشافعية ٣٠٨/١ وما بعدها

إذا الزِّمــاعُ أراه فــي الرَّحيـلِ غِنـــىً ... ولو إلى السِّـــندِ أضْحَـى وهــو يُزْمِعُــهُ
تـــأْبَى المطامِـــعُ إلا أن تُجَشِّـــمَهُ ... للـــرِّزْقِ كـدّاً وكـم ممَّـــن يُوَدِّعُـــهُ
ومـا مجـــاهدةُ الإنســـانِ واصلـــةً ... رزْقـاً ولا دَعَـــةُ الإنســـانِ تَقْطَعُـــهُ
واللهُ قسَّـمَ بيـــن الخلـــق رزقَـــهُمُ ... لـم يخلُـــق اللهُ مخلوقـــاً يُضَيِّعُـــهُ
لكنـهمْ مُلِئُـوا حِرْصـاً فلسـتَ تـــرى ... مُسـترزقاً وسـوى الفاقـــاتِ تُقْنِعُـــهُ
والحرصُ في الـرِّزقِ والأرزاقُ قـد قُسِمتْ ... بَغْـيٌ ألا إن بَغْـيَ المـــرءِ يصْرَعُـــهُ
والدَّهرُ يُعطِي الفتـــى مـا ليـس يطلبُـه ... يومـاً ويُطعِمُـهُ مِـن حيـثُ يَمْنَعُـــهُ
أسـتودِعُ اللهَ فـي بغـدادَ لـي قمـــراً ... بـالكَرْخِ مـن فَلَـــكِ الأزرارِ مطلعُـــهُ
ودَّعْتُـــهُ وبـــوُدِّي أن يُوَدِّعَنـــي ... صَفْـوُ الحيـــاةِ وأنِّـــي لا أُوَدِّعُـــهُ
وكـــم تشـــفَّعَ بـــي أن لا أفارقَـــهُ ... وللضَّـــرُورات حـــالٌ لا تُشَـــفِّعُهُ
وكم تشبَّثَ بـــي يـومَ الرَّحيـلِ ضُحًـى ... وأدْمُعـــي مُســـتهِلاَّتٌ وأدمُعُـــهُ
لا أُكـذِبُ اللهَ ثـوبُ العُـــذْرِ مُنْخَـــرِقٌ ... عنِّـــي بفُرْقَتِـــه لكـــنْ أُرَقِّعُـــهُ
إنِّـي أُوَسِّـعُ عُـذْرِي فـــي جنايتِـــهِ ... بـالبَيْنِ عنِّـــي وقلبـــي لا يُوَسِّـــعُهُ
أُعطِيـتُ مُلكـاً فلـم أُحْسِـنْ سياسـتَهُ ... وكـلَّ مـن لا يسـوسُ المُلْـكَ يُخْلَعُـــهُ
ومَـن غَـدَا لابسـاً ثـوبَ النَّعيـمِ بِـلا ... شـــكرٍ عليـــه فعَنْـــهُ اللهُ يَنْزَعُـــهُ
اعتضتُ مِـن وجـهِ خِلِّـي بعـد فُرْقَتِـهِ ... كأسـاً تجـرَّعَ منـها مـــا أُجرِّعُـــهُ
كم قـــائلٍ لـيَ ذُقْـتَ البَيْـنَ قلـتُ لـه ... الذَّنْـبُ واللهِ ذَنْبـــي لسـتُ أرْقَعُـــهُ
إنِّـــي لأقطَـــعُ أيَّـــامِي وأُنْفِذُهـــا ... بحَسْـرَةٍ منـه فـي قلبـــي تُقَطِّعُـــهُ
بمَـن إذا هَجَـعَ النُّـوَّامُ أُبْـــتُ لـــه ... بلَوْعَـةٍ منـه لَيْلِـي لَسْـــتُ أهجَعُـــهُ
لا يطمئـنُّ بجنْبـي مضجـــعٌ وكـــذا ... لا يطمئـنُّ لـه مُـذْ بِنـــتُ مضجعُـــهُ
ما كنتُ أحسِـبُ رَيْـبَ الدَّهـرِ يفجعُنـي ... بـــه ولا أنَّ بـــي الأيـــامُ تفجعُـــهُ
حتـى جـرى البيـنُ فيمـا بيننَـا بيَـدٍ ... عَسْـرَاءَ تمْنعُنـي حظِّـــي وتَمْنَعُـــهُ
باللهِ يـا مـنزلَ القصـرِ الـذي درَسـتْ ... آثـارُه وعفَـتْ مُـــذْ بِنْـــتُ أربُعُـــهُ
هـل الزَّمـانُ مُعيـــدٌ فيـــك لذَّتَنـــا ... أم الليـالي التـي أمضـــتْ تُرَجِّعُـــهُ
فـي ذِمَّـةِ اللهِ مَـن أصبحـتَ منزلَـــه ... وجـادَ غيـثٌ علـى مغْنـاكَ يُمْرِعُـــهُ
مَـن عنـدَهُ لـيَ عـــهدٌ لا يضيِّعُـــه ... كَمـا لَـهُ عـهدُ صـــدقٍ لا أُضَيِّعُـــهُ

ومَـن يصـــدِّعُ قلبـــي ذكـــرُه وإذا جـرى علـى قَلبِـهِ ذِكْـرى يُصَدِّعُـــهُ
لأصـــبرنَّ لدهـــرٍ لا يُمَتِّعُنـــي بـــه كمـــا أنَّـــه بِـــي لا يُمَتِّعُـــهُ
علِمـاً بـأن اصْطِبـاري مُعْقِـبٌ فرجـاً فـأضْيَقُ الأمـرِ إن فكَّـرْتَ أوْسَـعُهُ
عسـى الليـالي التـي أضْنَـتْ بفُرقَتِنـا جسـمِي تُجَمِّعُنـي يومـاً وتجْمَعُـهُ
وإنْ يَنـلْ أحـدٌ مِـنَّا مَنِيَّتَـهُ فمـا الـذي فـي قضـاءِ اللهِ يَصْنَعُـهُ

ويروي السبكي أن ابن السمعاني ذكر لهذه القصيدة قصة عجيبة، فروى بسنده، أن رجلا من أهل بغداد قصد أبا عبد الرحمن الأندلسي، وتقرب إليه بنسبه، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلوه ويختبره فأعطاه شيئا نزرا، فقال البغدادي: إنا لله وإنا إليه راجعون، سلكت البراري والقفار والمهامه والبحار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر، فانكسرت إليه نفسه فاعتل ومات، وشغل عنه الأندلسي أياما، ثم سأل عنه، فخرجوا يطلبونه، فانتهوا إلى الخان الذي هو فيه وسألوا الخانية عنه فقالت: إنه كان في هذا البيت، ومذ أمس لم أبصره، فصعدوا فدفعوا الباب، فإذا هو ميت وعند رأسه رقعة فيها مكتوب:

لا تعذليـــه فـــإن العـــذل يولعـــه قـد قلـت حقـا ولكـن ليـس يسـمعه

وذكر أبياتا من القصيدة غير تامة ...[1].

ولم ينص تاج الدين فيما رواه عن السمعاني إن كان الرجل متمثلا بالأبيات أم منشئا لها. وظاهر أن السبكي مطمئن إلى نسبتها إلى ابن زريق الذي يعرف به عقب ذلك فيقول[2]: "وعلي بن زريق الكاتب صاحب هذه القصيدة هو القائل ..."

ز. أورد السبكي في أثناء رواياته الأدبية طائفة من الطرائف الأدبية أراد بها إمتاع القارئ ومن بين ما أورده قصة نصر بن حجاج، رغم أن السبكي حافظ على

---

(١) انظر طبقات الشافعية ٣١١/١
(٢) المصدر السابق ٢١٣/١

منهجه في الإسناد بين يدي هذه القصة إلا أن فيها ما يستحق الوقوف عنده تمحيصا وتحقيقا: والقصة هي[١]: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بينا هو يطوف في سكة من سكك المدينة إذ سمع امرأة في خدرها وهي تقول:

هل مـــن سـبيلٍ إلـى خمـرٍ فأشـربَها ... أم من سـبيلٍ إلـى نصـرِ بـنِ حَجَّـاجِ

إلـى فتًـى مـاجدِ الأعـراقِ مُقْتَبِـلٍ ... سـهلِ المُحيَّـا كريـمٍ غـيرِ مِلْجـاجِ

تَنْميـهِ أعـراقُ صِـدقٍ حيـن تنسـبُه ... أخـى حفـاظٍ عـن المكـروب فـرَّاجِ

سامِي المواطنِ مـن بَـهْزٍ لـه نَهَـلٌ ... تضيءُ صورتُه للحـالكِ الدّاجِـي

فقال عمر رضي الله عنه: أرى معي في المصر من تهتف[٢] به العواتق في خدورها عليَّ بنصر بن حجاج – وهو نصر بن حجاج بن علاط، كان والده من الصحابة – فأتي به، فإذا هو أحسن الناس وجها وعينا وشعرا، فأمر بشعره فجز، فكأن الراوي يقول: إن عمر أراد بذلك أن يخفف من وضاءته، ويحد من فتنته، وكانت النتيجة أن ازداد جمالا حين بدت له جبهة كأنها شقة قمر، فأمره عمر أن يعتم لعل هذا يخفف من فتنته. فإذا النساء قد افتتن بعينيه!! ويستشعر القارئ لهذه القصة أن فيها صنعة القصاص فمهما يكن من شيء فهل تعد جريرة لنصر في الإسلام أن رزقه الله وسامة وقسامة؟ ثم إن المرأة الهاتفة كانت أولى بعتاب عمر وتعذيره من نصر لأنها جهرت برغبتها في الخمر وفي نصر وسمعها عمر، فهل يعقل أن يعدل عمر عنها وهو من هو عدالة وإنصافا وهي البادئة ليعاقب نصرًا وهو المهتوف به. والأمر في الإسلام (ألا تزر وازرة وزر أخرى)[٣]. ومن تظرف الراوي أن عمر كلما حاول محاولة لإخفاء جمال نصر جاءت النتيجة على غير مراده، فازداد حسنا وهذا تظرف ظاهر فيه الوضع.ثم يقسم عمر ألا يساكنه نصر في بلدة وسيرء إلى البصرة فإذا سلمنا أن نصرا

---

(١) طبقات الشافعية ٢٨٠/١ وما بعدها، والقصة في عيون الأخبار ٢٣/٤ وفي تزيين الأسواق ص ١٨٠

(٢) فلانة يهتف بها، تذكر بالجمال، القاموس المحيط باب الفاء فصل الواو والهاء

(٣) سورة النجم الآية ٣٨

كان فتنة ماحقة على النساء بالمدينة فهل يحل المشكلة ويقضي على الفتنة أن ينتقل نصر وفتنته إلى مصر آخر من أمصار المسلمين فلا يخشى أن يسبب فتنة للنساء فيه؟ أم أن نساء المدينة أشد استجابة للفتنة من نساء البصرة؟ ثم يقبل عمر – كما تصور الرواية – في بساطة اعتذار المرأة الهاتفة[١] التي جرت بهتافها النفي على نصر.

قل للإمام الذي تُخشى بوادرُه ... مالي وللخمرِ أو نصرِ بن حجّاجِ
إني مُنيبٌ أبا حفصٍ بغيرهما ... شربِ الحليبِ وطرفٍ فاترٍ ساجِ
إن الهوى زمَّه التقوى فحبَّسه ... حتى أقرَّ بإلجامٍ وإسراجِ
ما مُنْيةٌ لم أُرَبْ فيها بضائرةٍ ... والناسُ من صادقٍ فيها ومن داجِ
لا تجعلِ الظنَّ حقاً أو تَيَقَّنُهُ ... إن السبيلَ سبيلُ الخائفِ الرّاجي

فيبكي عمر رضي الله عنه ويقول الحمد لله الذي حبس التقوى الهوى، ولا يسمع المرأة نصيحة ولا زجرا.

وفي البصرة يأتي مشهد آخر من مسرحية نصر: وذلك أن نصر بن حجاج لما نفاه عمر إلى البصرة، كان يدخل على مجاشع بن مسعود السلمي[٢] وكان به معجبا، وكانت له امرأة يقال لها الخضيرا، وكانت من أجمل النساء، وكان لا يصبر عنها وهو يومئذ أمير على البصرة نيابة عن أبي موسى الأشعري، فكان لشغفه بها يجمعهما في مجلسه، فحانت يوما من مجاشع التفاتة، ونصر بن حجاج يخط في الأرض خطوطا فقالت الخضيرا: وأنا والله. فعلم مجاشع أنه جواب كلام فقال: ما قال لك؟ قالت: ما أصفى لقحتكم هذه! فقال مجاشع: ما أصفى لقحتكم هذه[٣]، وأنا والله. ما هذه لهذه! أعزم عليك لَمَا أخبرتني. قالت: أما إذ عزمت فإنه قال ما أحسن شُوار

---

(١) طبقات الشافعية ٢٨١/١

(٢) قال البخاري وغيره له صحبة، وله رواية في الصحيحين وغيرهما وغزا كابل من بلاد الهند "الإصابة في تمييز الصحابة" ٣٦٢/٣

(٣) الناقة الحلوب، القاموس المحيط (لقح)

بيتكم[١]، فقال: ما أحسن شوار بيتكم، وأنا والله. ما هذه لهذه! وكان مجاشع لا يكتب وهي تكتب. فدعا بإناء فكفاه على الخطوط، ودعا كاتبا فقرأه فإذا هو: إني لأحبك حبا لو كان فوقك لأظلك، أو تحتك لأقلك. فقال مجاشع: هذه لهذه. وبلغ نصرا ما صنع مجاشع فاستحيا ولزم بيته، وضنى حتى صار كالفرخ. فينسى مجاشع الحرام والحلال وهو صحابي أو الحد الأدنى من غيرة الرجل على أهله، فيلح على امرأته[٢] أن تذهب إلى العاشق المضنى فتسنده إلى صدرها، وتطعمه الطعام بيدها حتى يبل من مرضه وتأبى القصة إلا أن تؤكد أن مجاشعا عزم عليها حين تأبت حتى ذهبت وهو الوالي الذي ينوب عن أبي موسى الأشعري، ثم يعلم هذا عنه، وينجو من غضب عمر رضي الله عنه الذي نفى نصرا لمجرد أن هتفت به امرأة، ثم تجعل القصة من تمام مأساة نصر أن يخرجه أبو موسى رضي الله عنه من البصرة فيأتي فارس فيأمره الوالي عثمان بن أبي العاص، أن يخرج عنه، فأصبح ملهدا بالأبواب. فيقول نصر مهددا: "والله لئن فعلتم لألحقن بالشرك" فظاهر في القصة الوضع والنسج القصصي المشوق.

ولنا أن نتساءل: لماذا لم يناقش السبكي هذه القصة متنا ولا سندا وما دام متنها قد لانت مقاتله تحت النقد فهذا يجعلنا على شك عظيم من سلامة سندها. ثم

---

(١) الشوار: متاع البيت، القاموس المحيط مادة (شار)

(٢) في عيون الأخبار ٢٤/٤ لابن قتيبة، دار الكتب، القاهرة ١٣٤٨-١٩٣٠، ذكر ابن قتيبة أن مجاشعا أخرج نصرا وطلق زوجته. وقال بعد إيراده الأبيات التي يقال إن نصر بن حجاج كتب بها إلى عمر وهي:

أإن غنّتِ الذَّلفاءُ يوماً بمُنيةٍ	وبعضُ أمانّي النساءِ غَرامُ
ظننتَ بيَ الظنَّ الذي ليس بعده	بقاءٌ فما لي في النَّدِيِّ كلامُ
فأصبحتُ منفياً على غيرِ ريبةٍ	وقد كان لي بالمكّتين مُقامُ
.....	..... الأبيات

قال ابن قتيبة "وأنا أحسب هذا الشعر مصنوعا".

إن هذه القصة من روايات كتب الأدب[١] وأهل الحديث – والسبكي منهم – لهم موقف من روايات كتب الأدب المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته فهم لا يعتدون بروايات الأدباء لأنهم ليسوا من أهل هذا الشأن ولأنهم يتساهلون فيما يروون. بعد هذا كله بقي تعليل واحد لسكوت السبكي عن هذه القصة: وهو أنه كان أديبا في رواياتها أكثر منه محدثا، فقد سكت عنها لأنه يريدها طرفة أدبية وزهرة من "رياض الآداب التي تحرك فاقد الحركة"[٢] كما يقول في مقدمة كتابه وصفة منهجه فيه. وإن كنا نلحظ أنه حرص على طريقته في الإسناد بين يديها.

ح. تحقيق السبكي لأبيات تنسب للشيخ محمد بن عبد الملك الكرجي: والكرجي شيخ من مشايخ الشافعية ترجم له السبكي في طبقاته[٣] وكانت له وقفة في أثناء ترجمته مع أبيات تنسب للشيخ الكرجي فيها هجوم على أهل السنة ونيل من الإمام أبي الحسن الأشعري والسبكي – كما وضح لي في أثناء رحلتي معه في طبقاته – لا يحتمل كلمة صغيرة ولا كبيرة جلية أو خفية، تصريحا أو تلميحا تمس من قريب أو بعيد عقائد أهل السنة، فهو عنيف في رده على كل منتقد أو معترض على

---

(١) القصة في عيون الأخبار ٢٣/٤ وتزيين الأسواق ١٨٠، وربما يكون للقصة أصل ولكن نسجت حوله أكاذيب موضوعة تفنن في حبكها وحوكها خيال القصاص وذكر المبرد نصر بن حجاج في الكامل وقال: كان نصر بن حجاج جميلا، فعثر عليه عمر بن الخطاب في أمر – الله أعلم به – فحلق رأسه، وكان أصلع لم يبق من شعره إلا حفاف (شعر حول الصلعة) كذلك قال الأصمعي فقال نصر:

لضنَّ ابن خطاب علي بجُمّةٍ ... إذا رُجِّلت تهتزُّ هزَّ السلاسلِ
فصلّع رأساً لم يُصلِّعْه ربُّهُ ... يرِفُّ رفيفا بعد أسودَ حائلَ
لقد حسد الفُرعان أصلع لم يكن ... إذا ما مشى بالفرع بالمتخايلَ

وقد أحال المبرد العلم في حقيقة الواقعة التي من أجلها حلق رأس نصر إلى الله مما يدل أن أمرا قد حدث ولم يسلم من تزيد الرواة. الكامل ١٧٦/٢

(٢) طبقات الشافعية ٢٠٩/١

(٣) المصدر السابق ١٣٧/٦

شيء من عقيدة أهل السنة. فلا عجب أن يستجمع السبكي قوة بيانه في نفي نسبة هذه الأبيات ويحشد الأدلة لتضعيفها وتوهينها وتبيين سقطاتها. وهذا يخالف موقفه السالف من قصة نصر بن حجاج ويؤيد ما ذهبنا إليه من أنه تعامل معها من وجهة أدبية، فهو لا تعوزه القدرة على التفنيد إن أراد تفنيدا. ولما كان الموضوع هنا يتعلق بالعقيدة فلا بد من جلاء الشك والريب.

يقول السبكي "ثم قال السمعاني: وله قصيدة بائية في السنة شرح فيها اعتقاده واعتقاد السلف، تزيد على مائتي بيت، قرأتها عليه في داره بالكرج" قلت – أي تاج الدين – ثبت لنا بهذا الكلام إن ثبت أن ابن السمعاني قاله، أن لهذا الرجل قصيدة في الاعتقاد على مذهب السلف، موافقة للسنة وابن السمعاني كان أشعري العقيدة، فلا نعترف بأن القصيدة على السنة، واعتقاد السلف إلا إذ وافقت ما نعتقد أنه كذلك، وهو رأي الأشعري. إذا عرفت هذا فاعلم أنا وقفنا على قصيدة تعزى إلى هذا الشيخ، وتلقب "بعروس القصائد في شموس العقائد" نال فيها من أهل السنة، وباح بالتجسيم فلا حيا الله معتقدها ولا حيا قائلها كائنا من كان، وتكلم فيها في الأشعري أقبح كلام، وافترى عليه أي افتراء، ثم رأيت شيخنا الذهبي حكى كلام ابن السمعاني الذي حكيته، ثم قال: قلت أولها:

محاسنُ جسمي بُدِّلت بالمعايب ... وشيَّب فَوْدِي شوبُ وصلِ الحبائب

ومنها:

عقائدُهم أن الإله بذاته ... على عرشه مع علمِه بالغوائب

ومنها:

ففي كَرَجٍ واللهِ من خوفِ أهلها ... يذوب بها البِدْعِيُّ يا شرَّ ذائب

يموت ولا يقوى لإظهار بدعة ... مخافة حَزِّ الرأس من كل جانب

انتهى ما حكاه الذهبي"[١].

يقول تاج الدين السبكي: "وكان يتمنى – أي الذهبي – فيما أعرفه منه أن يحكي الأبيات الأخر، ذات الطامات الكبر التي سأذكرها لك، ولكن يخشى صولة الشافعية، وسيف السنة المحمدية"[٢] ويبدو أن أهل السنة كانوا مرهوبي الجانب لا يجرؤ أحد على أن يجاهر بآراء تناقض آراءهم. ثم يقول: "وأقول أولا إني ارتبت في أمر هذه القصيدة وصحة نسبتها إلى هذا الرجل، وغلب على ظني أنها إما مكذوبة عليه أو بعضها والذي يرجح أنها مكذوبة عليه كلها أن ابن الصلاح ترجم هذا الرجل – أي الكرجي – وحكى كلام ابن السمعاني إلا فيما يتعلق بهذه القصيدة فلم يذكره، فيجوز أن يكون ذلك قد دس في كتاب ابن السمعاني، ليصحح به نسبة القصيدة إلى الكرجي، وقد جرى كثير مثل ذلك ويؤيد هذا أيضا أن ابن السمعاني ساق كثيرا من شعره ولم يذكر من هذه القصيدة بيتا واحدا، ولو كان قد قرأها عليه، لكان يوشك أن يذكر ولو بعضها ويحتمل أن يكون له بعضها، ولكن زيدت الأبيات المقتضية للتجسيم وللكلام في الأشاعرة ويؤيد ذلك أن القصيدة المشار إليها تزيد على المائتين وأربعين، وابن السمعاني قال: تزيد على المائتين وظاهر هذه العبارة أنها تزيد بدون عقد، وأنها لو كانت مائتين وأزيد من أربعين لقال: تزيد على المائتين وأربعين ..."[٣]

ولي ملاحظات على كلام السبكي: يبدو أن تاج الدين نفى وجودها أصلا في كتاب ابن السمعاني لأن ابن الصلاح حين ترجم للكرجي حكى كلام ابن السمعاني ولم يشر من قريب أو بعيد إلى هذه القصيدة ومن ثم يرجح تاج الدين أن يكون الكلام عن هذه القصيدة قد دس في كتاب ابن السمعاني ليصحح به نسبة

---

(١) طبقات الشافعية ٦/١٤٠ وما بعدها
(٢) المصدر السابق ٦/١٤١
(٣) المصدر السابق ٦/١٤١ وما بعدها

القصيدة إلى الكرجي، ويؤيد ذلك عنده أن ابن السمعاني ساق كثيرا من شعر الرجل ولم يذكر من هذه القصيدة بيتا واحدا. ويبدو من هذا الكلام أن السبكي لم يطلع على كتاب السمعاني وإنما عول في تقريره أن ابن السمعاني لم يذكر من هذه القصيدة بيتا – على ابن الصلاح الذي ترجم للشيخ الكرجي وحكى كلام ابن السمعاني إلا فيما يتعلق بهذه القصيدة فلو أن تاج الدين اطلع على كتاب ابن السمعاني لاستبان له إن كانت الرواية التي رواها وحكاها شيخه الذهبي وهي: "وله قصيدة بائية في السنة ..." – موجودة في كتاب ابن السمعاني أم غير موجودة. ونلحظ أن السبكي لم يشر إلى مصدر هذه الكلمة التي حكاها وحكاها شيخه الذهبي. ثم يقول تاج الدين باحتمال أن للكرجي بعض هذه القصيدة – إذا صحت نسبتها إليها – ولكن زيدت فيها الأبيات المقتضية للتجسيم وللكلام في الأشاعرة. ويؤيد هذا الاحتمال عنده أن القصيدة المشار إليها تزيد على المائتين وأربعين، وابن السمعاني ذكر في الرواية التي لم يوثقها لنا السبكي أنها تزيد على المائتين، وظاهر هذه العبارة أنها تزيد بدون عقد، وأنها لو كانت مائتين وأزيد من أربعين، لقال تزيد على المائتين وأربعين[1]. فما دامت القصيدة المشار إليها تزيد على المائتين وأربعين وابن السمعاني ذكر أنها تزيد على المائتين بدون عقد، فهذا يرجح احتمال تاج الدين أن للكرجي من القصيدة ما يزيد على المائتين بدون عقد، أما ما زاد على ذلك إلى ما بعد الأربعين فهو ما زيد فهيا ونسب إليه وهي الأبيات المقتضية للتجسيم المشتملة على الكلام في الأشاعرة. ثم يستدل بمستوى الشعر على صحة احتماله السابق فيقول "ويؤيده أيضا أن أبياتها غير متناسبة، فإن بعضها شعر مقبول، وأظنه شعره، وبعضها وهو المشتمل على القبائح في غاية الرداءة، لا يرضى به من يحسن الشعر"[2] ثم يستعرض شيئا من أبياتها:

---

(١) طبقات الشافعية ١٤٣/٦

(٢) المصدر السابق ١٤٢/٦

محاسنُ جسمِي شانَها بالمعايبِ وشَيَّبَ فَوْدِي شَوْبُ وصلِ الحبائبِ
وأقبل شيبي والشَّبِيبةُ أدْبَرَت وقُرِّب من أحزانِنا كلُّ غارِبِ

وقد اختلفت رواية المطلع عما أورده تاج الدين حكاية عن شيخه الذهبي[1] ومنها أيضا:

وليس يَرُدُّ العمرَ ما قلتُ آهةٌ ولا الحزنُ يُدْنِي قاصياتِ الشبائبِ

يقول تاج الدين: "وهذا كله شعر مقبول، لا يصل إلى درجة الحسن، ولا ينزل إلى درجة الرداءة، كما يعرف ذلك من يذوق الأدب".

ومنها أيضا:

عقائدُهم أن الإلهَ بذاتِه على عرشِه مع علمه بالغوائبِ

يقول: "وهذا من أسهل ما فيها، وليس فيها ما ينكر معناه إلا قوله (بذاته) وهي عبارة سبقه إليها ابن أبي زيد المالكي، في الرسالة، إلا أنه بيت سمج مردود، فإن قوله "على عرشه مع علمه بالغوائب" كلام لا ارتباط لبعضه ببعض فإنه لا ارتباط لعلم الغيب بمسألة الاستواء. ويتناول البيت من ناحية اللغة فيقول: وقوله "بالغوائب" إن أراد جمع غيب، فهو لحن، فإن "الغيب لا يثنى ولا يجمع لأنه اسم جنس، ولئن جمع فجمعه غيوب، وإن أراد جمع غائبة لحن عليه"[2] ثم يتتبع أبياتا من القصيدة ويعلق على ما فيها من اجتراء على الأشعري وسباب، ويكذب ما اتهم به، ثم يوضح أن بيتا أشار إلى موته بالأحساء. وهو – أي الأشعري – لم يمت بالأحساء. ويدعو السبكي بأخرة على قائل هذه القصيدة فيقول في غيرة السني: "قبح الله قائلها كائنا من كان وإن يكن هذا الكرجي فنحن نبرأ إلى الله منه، إلا أني على قطع بأن ابن السمعاني لا يقرأ هذه الأبيات ولا يستحل روايتها وقد بينت لك من القرائن الدالة

---

(١) طبقات الشافعية ١٤١/٦ ما حكاه عن الذهبي: محاسن جسمي بدلت بالمعايب
(٢) المصدر السابق ١٤٢/٦ و١٤٣

على أنها موضوعة ما فيه كفاية[١] وتنبئ مناقشته المتقدمة لهذه القصيدة عن قوة عارضة وملكة فاحصة ناقدة في تحقيق النصوص وتمحيص الروايات.

ط. مما رواه السبكي الأبيات التي تنسب للفرزدق في علي بن الحسين رضي الله عنهما لما دخل الطواف فتنحى له الناس هيبة واحتراما عن الحجر حتى قبله ، وهشام بن عبد الملك مع أهل الشام ينظرون إلى هذا المشهد، وكان قد أعياه بلوغه من شدة الزحام، فسأل رجل من أهل الشام عن هذا الرجل الذي تنحى له الناس، فقال هشام: لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق حاضرا، فقال أنا أعرفه ورد على السائل بالأبيات[٢]

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

وروى صاحب الأغاني هذه الأبيات وقصتها بسند يلتقي مع سند تاج الدين في "محمد بن زكريا" الذي سمع من ابن عائشة، يقول أبو الفرج: "وأما الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها، فحدثني أحمد بن محمد بن الجعد ومحمد بن يحيى قالا: حدثنا محمد بن زكريا[٣] قال: حدثنا ابن عائشة[٤]: حج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ... القصة"[٥]

ولكن أبا الفرج أخرج من القصيدة بيتين وقال إنهما للحزين الكناني في

---

(١) طبقات الشافعية ١٤٦/٦

(٢) المصدر السابق ٢٩١/١ وما بعدها

(٣) هو محمد بن زكريا بن الحسين النسفي، كان حافظا مجودا توفي سنة أربع وأربعين وثلثمائة، شذرات الذهب ٣٦٩/٢

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام المعروف بابن عائشة، وعائشة جدته أم أبيه، وهي عائشة بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وأمها من نسل الحسن بن علي رضي الله عنهم. بويع لإبراهيم هذا سرا سنة تسع ومائتين فنمى الخبر إلى المأمون فقبض على ابن عائشة وعلى من بايعه. فحبسهم وضربت عنقه، الوافي بالوفيات ١٠٦/٦

(٥) الأغاني ٢٦١/١٥ وما بعدها

عبد الله بن عبد الملك وهما[١]:

فـي كَفِّـه خَـيْزُرانٌ رِيحُـها عَبِـقٌ مِـن كـفِّ أروعَ فـي عِرْنِينِـهِ شَـمَمُ
يُغْضِـي حَيـاءً ويُغْضَـى مِـن مَهابَتِـهِ فمـا يُكَلَّـمُ إلا حيـنَ يَبْتَسِـمُ

وزعم أن ابن عائشة قد غلط[٢] في إدخاله البيتين في تلك الأبيات، والبيتان – في رأيه – ليس مما يمدح بمثلهما علي بن الحسين رضي الله عنهما، لأنهما من نعوت الجبابرة والملوك ولا هذا من صفته، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد"[٣]

ولا أحسب أن في البيتين ما يشتم منه أنه نعت جبار، فالحياء والمهابة والشمم من صفات الكرام الموطئين أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ولا تكفي "الخيزران التي في كفه" لإخراج هذه النعوت من نعوت الكرام إلى نعوت الجبابرة من أهل الكبر والعجرفية.

والحق أن الرواة اختلفوا في نسبة هذه الأبيات أيما اختلاف وقد نبه محققا ديوان الحماسة لهذا الاختلاف في حواشي الديوان[٤].

ي. مقارنة بين رواية السبكي لبعض النصوص ورواية مصادر أخرى لها:

قام المحققان الفاضلان بمقارنة بين رواية السبكي لبعض أشعار كعب بن زهير ورواية الديوان، وكذلك فعلا في روايته لأشعار الإمام الشافعي ورواية المناقب للرازي وبين روايته لقصيدة ابن زريق ورواية ثمرات الأوراق لابن حجة، وبين روايته لبعض أبيات من قصيدة لحميد بن ثور ورواية الديوان. وهو جهد مشكور رأيت بعد

---

(١) الأغاني ١٥/٢٥٩ و ٢٦٠
(٢) المصدر السابق ١٥/٢٦٢
(٣) المصدر السابق ١٥/٢٥٩ و ٢٦٠
(٤) انظر شرح ديوان الحماسة ٤/١٦٢١ – هامش التحقيق وجاء في الأغاني "ومن الناس من يروي هذه الأبيات لداود بن سلم في قثم بن العباس ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه ... وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلا من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه: يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
والصحيح أنها للحزين في عبد الله بن عبد الملك، الأغاني ١٥/٢٦١ ط ٣

مراجعته في مظانه إثباته – مع ما بدا لي من إضافات وملاحظات – في فصل الرواية فهو يمثل تتمة للفصل.

(أ) مقارنة بين رواية السبكي للامية كعب بن زهير ورواية ديوانه بشرح السكري:

رواية السبكي:	متيَّمٌ إثرها لم يُفدَ مكبـــول	الطبقات ٢٣٤/١
رواية الديوان:	... . لم يجز...	ديوانه ص ٦
رواية السبكي:	تنفي الريـــاح القـــذى عنـــه	الطبقات ٢٣٥/١
رواية الديوان:	تجلو الرياح	ديوانه ص ٧
رواية السبكي:	أكرم بها خُلَّةً لو أنها صدقت	الطبقات ٢٣٥/١
	موعودَها	
رواية الديوان:	يا ويحها خلة لو أنها صدقت	ديوانه ص ٧
	ما وعدت	
رواية السبكي:	ولا تمسّك بالعهد الذي زعمت	الطبقات ٢٣٥/١
	إلا كما يُمسكُ الماءَ الغرابـــيل	
رواية الديوان:	وما تمسك بالوصل	ديوانه ص ٨
	....	
رواية السبكي:	أرجو وآمل أن تدنو مودتُـــــها	الطبقات ٢٣٦/١
	وما إخالُ لدينا منك تنويـــــل	
رواية الديوان:	أرجو وآملُ أن يعجلنْ في أبـــد	الديوان ص ٩
	وما لهن طوال الدهر تعجيـــل	
رواية السبكي:	أمست سعادُ بأرض ما يُبلِّغـــها	الطبقات ٢٣٦/١
	إلا العِتاقُ النجيبات المراسيـــل	

رواية الديوان: ... ... لا يبلغها الديوان

....

رواية السبكي: ولــن يُبــلِّغــها إلا عُــذافِــرةٌ الطبقات ٢٣٦/١

لها على الأين إرقال وتبليـــــغ

رواية الديوان: ... ... الديوان ص ٩

فيها على الأين ... ...

رواية السبكي: وجِلدها من أطُوم لا يُــؤيِّــســه الطبقات ٢٣٧/١

طِلْحٌ بضاحيةِ المتْنَيْنِ مَهــزولُ

رواية الديوان: ... ... ما يؤيسه الديوان ص ١٠

... ...

رواية السبكي: عَيْرانةٌ قُذِفتْ بالنَّحْضِ عن عُرُضٍ الطبقات ٢٣٦/١

مِرْفقُها عن بناتِ الزَّورِ مفتولُ

رواية الديوان: ... قذفت في اللحم... ... . الديوان ص ١٢

... ...

رواية السبكي: كأن أَوْبَ ذِراعَيْها إذا عَرِقَتْ الطبقات ٢٤٠/١

وقد تَلَفَّعَ بالقُورِ العَسَاقــيــلُ

رواية الديوان: ... ... وقد عرقت الديوان ص ١٦

... ...

رواية السبكي: يَوماً يَظَلُّ بِهِ الحِرْباءُ مُصْطَخِداً الطبقات ٢٤٠/١

كأنَّ ضاحِيَهُ بالشَّمس مَمْلُولُ

رواية الديوان: ... ... مصطخما الديوان ص ١٥

... ...

رواية السبكي: يسعى الوُشاةُ جَنَابَيْها وقَوْلُهُم الطبقات ١/٢٤٠
إنك يا ابنَ أبي سُلْمى لَمَقْتُولُ

رواية الديوان: ... ... بجنبيها ... ... الديوان ص ١٩
... ...

رواية السبكي: وقال كلُّ خليـــلٍ كنتُ آمـــلـــه الطبقات ١/٢٤٠
لا أُلهِيَنَّكَ إنِّي عَنْكَ مشغولُ

رواية الديوان: ... ... الديوان ص ١٩
لا ألفينك ... ...

رواية السبكي: فقلتُ خَلُّوا سبيلي لا أبا لـــكُم الطبقات ١/٢٤١
فكل ما قدَّرَ الرحمنُ مفعول

رواية الديوان: ... ... خلوا طريقي ... ... الديوان ص ١٩
... ...

رواية السبكي: لا تأخُذَنِّي بأقوالِ الوشاةِ ولمْ الطبقات ١/٢٤١
أُذْنبْ وإن كثُرَتْ عنِّي الأقاويلُ

رواية الديوان: ... ... الديوان ص ٢٠
أذنب ولو كثرت ... ...

رواية السبكي: لَذاك أهْيَـــبُ عنـــدي إذ أُكَلِّمُه الطبقات ١/٢٤١
وقيل إنك منسوب ومسئول

رواية الديوان: ... ... الديوان ص ٢١
... ... مسبور ... ...

رواية السبكي: من خادرٍ من لُيوثِ الأُسدِ مسكنُه الطبقات ١/٢٤١
من بطنِ عَثَّر غِيلٌ دونه غِيلُ

قلت وقد نص تاج الدين أنه يروى من ضيغم.

رواية الديوان: من ضيغم من ضراء الأسد مخدره **الديوان ص ٢١**

ببطن ... ...

رواية السبكي: لا يفرحــون إذا نالــتْ سيــوفُهُمُ **الطبقات ٢٤٣/١**

قوما وليسوا مَجازيعاً إذا نِيلوا

رواية الديوان: ... ... إذا نالت رماحهـــــم **الديوان ص ٢٥**

... ...

رواية السبكي: لا يقطع الطعنُ إلا في نحورهـــم **الطبقات ٢٤١/١**

وما لهم عن حِياض الموت تهليل

رواية الديوان: ... ... **الديوان ص ٢١**

ما إن لهم ... ...

أبيات كعب في مديح الأنصار:

رواية السبكي: من سرَّه كرمُ الحياةِ فلا يزل **الطبقات ٢٣١/١**

في مِقْنَبٍ من صالحِ الأنصار

رواية الديوان: ... ... **الديوان ص ٢٥**

... ... من صالحي ...

رواية السبكي: الباذليــن نفوسَهُمْ ودماءَهُــمْ **الطبقات ٢٣١/١**

يوم الهِياجِ وسطْوةِ الجــبَّار

رواية الديوان: والباذليـــــن نفوسهم لنبيهــم **الديوان ص ٢٧**

يوم الهياج وقبة ... .

رواية السبكي: صدموا قريشاً يومَ بدرٍ صدمةً **الطبقات ٢٣١/١**

زالت لوقعتِها جميعُ نِزارِ

رواية الديوان: صدموا عليا .. .. **الديوان ص ٣٤**

دانت عليٌّ بعدها لــنزار

مراسلات كعب وأخيه بجير:

رواية السبكي: ألا أبلغا عني بُجيراً رسالة **الطبقات ٢٣٢/١**

فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

رواية الديوان: ... ... **الديوان ص ٣**

... ... بالخيف ... ...

رواية السبكي: فبين لنا إن كنت لست بفاعل **الطبقات ٢٣٢/١**

على أي شيء غير ذلك دلكا

رواية الديوان: وخالفت أسباب الهدى وتبعته

... ... ويـــــب ذلك دلكا

رواية السبكي: سقاك بها المأمون كأسا روية **الطبقات ٢٤١/١**

فأنهلك المأمون منها وعلكا

رواية الديوان: شربت مع المأمون ... ...[1]

... ...

يقول تاج الدين: قال ابن هشام: يروى: "المأمون – قلت أنا – أي تاج الدين ويروى أبو بكر"[2]

أبيات بجير لكعب:

رواية السبكي: إلى الله لا العُزَّى ولا اللاّتِ وحدَهُ **الطبقات ٢٣٢/١**

فتنجو إذا كان النجاةُ وتَسْلَمُ

---

(١) الأبيات في ديوانه ص ٣ و ٤ وليس فيها البيت الذي رواه السبكي وهو:

فإن أنت لم تفعل فلست بآسفٍ ولاقائلٍ إمَّا عثرت لعًا لكا

انظر طبقات الشافعية ٢٣٢/١

(٢) انظر رواية الأغاني ٤١/١٧ و ٤٢ البيت:

سقاك أبو بكر بكأس روية فأنهلك المأمون منها وعلكا

رواية الديوان: ... ... الديوان ص ٤

... ... النجاء .....

رواية السبكي: لدى يوم لا ينجو وليس بمُفلتٍ الطبقات ٢٣٣/١

من الناس إلا طاهرُ القلبِ مُسلِمُ

رواية الديوان: ... ... الديوان ص ٤

من النار ... ...

قلت: لم ينبه المحققان إلى الاختلاف بين رواية الديوان ورواية الطبقات في ترتيب بعض الأبيات:

في رواية السبكي في الطبقات ٢٣٥/١ بعد البيت:

ولا تَمسَّك بالعهدِ الذي زعمت إلا كما يُمسِك الماءَ الغرابيلُ

فلا يَغُرَّنْك ما منَّتْ وما وعدت إن الأمانيَّ والأحلامَ تضليل

وفي رواية الديوان ص ٩ جاء البيت: فلا يغرنك ما منت ... ... بعد قوله:

أرجو وآمُلُ أن يعجلن في أبد ولهن طوال الدهر تعجيل

وفي رواية الطبقات ٢٤٠/١ بعد:

سُمْرُ العُجاياتِ يتركنْ الحصا زِيَماً لم يَقِهِنَّ روءسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ

كأن أوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفع بالقور العساقيل

وفي رواية الديوان ص ١٥ بعد:

سُمْرُ العُجاياتِ يتركنْ الحصا زِيَماً لم يَقِهِنَّ روءسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ

يوما يظل به الحرباء مصطخما كأن ضاحيه بالنار مملول

كأن أوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفع بالقور العساقيل

في رواية الطبقات ٢٤٠/١ بعد:

يوما يظل به الحِرْباءُ مُصطَخِدًا كأن ضاحيَه بالشمسِ مملول

وقال للقوم حاديهم وقد جَعَلَتْ وُرْقُ الجنادبِ يَرْكُضْنَ الحصا قيلوا

في رواية الديوان ص ٢١ بعد:

من ضيغمٍ من ضِراءِ الأُسد مُخدَرةً ببطن عثَّر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضِرغامين عيشُهما لحمٌ من القوم مَعفور خَراذيل
إذا يُساور قرنا لا يحل له أن يتركَ القرن إلا وهو مفلول
منه تظل حميرُ الوحش ضامِزةً ولا تَمشَّى بواديه الأراجيلُ
ولا يزال بواديه أخو ثقةٍ مطرح البز والدُرسان مأكولُ
إن الرسول لسيفٌ يُستضاءُ به مهند من سيوفِ اللهِ مسلولُ

وفي رواية الطبقات ٢٤٢/١ بعد:

من خادر من ليوث الأسد مسكنه من بطن عثَّر غيل دونه غيل
إن الرسول لسيفٌ يُستضاءُ به مهند من سيوفِ اللهِ مسلولُ

في رواية الطبقات ٢٤٢/١ بعد:

شمُّ العَرانينِ أبطالٌ لَبُوسُهُمُ من نسج داودَ في الهيجا سرابيل
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عَرَّد السود التنابيل

وفي رواية الديوان ص ١٢٧ بعد:

شمُّ العَرانينِ أبطالٌ لَبُوسُهُمُ من نسج داودَ في الهيجا سرابيل
بيضٌ سوابغُ قد شلت لها حلَقٌ كأنها حلق القفعاءِ مَجدول

(ب) مقارنة بين رواية السبكي لقصيدة علي بن زريق البغدادي ورواية ابن حجة في ثمرات الأوراق:

رواية السبكي: لا تعذُليه فإن العذل يُولعه
قد قلتِ حقًّا ولكن ليس يسمعه[1]

---

(١) انظر في القصيدة طبقات الشافعية ٣٠٨/١ وما بعدها، والقصيدة في ثمرات الأوراق ج ٢ ذيل المستطرف ص ٦٠ وما بعدها.

رواية الثمرات: ... ... فإن العذل يوجعه

... ...

رواية السبكي: جاوزتِ في لومه حدًّا يُضِرُّ به

من حيثُ قدَّرتِ أن اللومَ ينفَعُهُ

رواية الثمرات: ... ... حدا أضر به

... ...

رواية السبكي: يكفيه من روعــةِ التفنيد أن له

من النوى كلَّ يوم ما يُروِّعُهُ

رواية الثمرات: ... ... لوعة ... ...

... ...

رواية السبكي: ما آب من سفــرٍ إلا وأزعجه

رأيٌ إلى سفرٍ بالعزم يُجمِعُــهُ

رواية الثمرات: ... ...

... ... بالرغم يتبعه

رواية السبكي: كــأنما هــو من حِلٍّ ومُرْتَحلٍ

مُوكّلٌ بفضاءِ الأرضِ يذرَعُهُ

رواية الثمرات: ... ... هو في حل ... ...

... ...

رواية السبكي: إذا الزِّماعُ أراه في الرَّحيل غِنىً

ولو إلى السِّنْدِ أضحى وهو يُزْمِعُهُ

رواية الثمرات: ... ... بالرحيل غنى

إلى الســد ... ...

رواية السبكي: والله قـــسَّـــمَ بين الخلقِ زرقَهُمُ
لم يخلُق الله مخلوقاً يُضَـــيِّـــعُـــهُ

رواية الثمرات: ... ... بين الناس ... ...
... ...

رواية السبكي: لكنهم مُلِئوا حِرصاً فلست ترى
مُسترزِقا وسوى الفاقاتِ تُـــقْـــنِعُهُ

رواية الثمرات: ... ...
..... وسوى الغايات .....

رواية السبكي: والحرصُ في الرِّزقِ والأرزاقُ قد قُسِمتْ
بَغْيٌ ألا إن بَغْيَ المرْءِ يَصْرَعُهُ

رواية الثمرات: والحرص في المرء ....
... ...

رواية السبكي: والدهرُ يُعطي الفتى ما ليس يطلُبه
يوماً يُطعِمُه من حيـــثُ يَـــمْنَعُهُ

رواية الثمرات: ... ...
حقا ويطمعه من ....

رواية السبكي: ودَّعْتُـــهُ وبـــودِّي أن يُوَدِّعَني
صَفْوُ الحياةِ وأنِّي لا أُوَدِّعُـــهُ

رواية الثمرات: ... ... لو يودعني
... ...

رواية السبكي: وكم تشفَّعَ بـــي أن لا أُفارقَـــهُ
وللضَّرُوراتِ حالٌ لا تُـــشَـــفِّعُهُ

رواية الثمرات: كم قد تشفَّــعَ بـــي ألا أفارقــه

... ...

رواية السبكي: لا أكذِبُ اللهَ ثوبُ العُذْرِ مُنْخَرِقٌ
عنِّي بفُرْقَتِهِ لــكــن أُرَقِّــعُــهُ

رواية الثمرات: ... ...
عني برقته ....

رواية السبكي: إنِّي أُوسِّعُ عُذْرِي في جنايتِــهِ
بالبَيْنِ عــنِّي وقلبي لا يُوَسِّعُهُ

رواية الثمرات: ... ...
بالبَيْنِ عنه ... ...

رواية السبكي: ومن غَدَا لابساً ثوبَ النَّعيم بِلا
شكرٍ عليــه فــعَنْهُ اللهُ يَنْزَعُــهُ

رواية الثمرات: ... ...
.... فــإن الله ينزعــه

رواية السبكي: كــم قائلٍ ذُقْتَ البَيْنَ قــلتُ لــه
الذَّنْبُ واللهِ ذَنــبي لســتُ أَرْقَعُهُ[1]

رواية الثمرات: ... ... ذنب البين ... ...
... ... أدفعه

وبعد هذا البيت في ثمرات الأوراق:

ألا أقمــت مــكان الرشد أجمعــه
لو أنني يوم بــان الرشــد أتبعه

---

[1] في طبعة الحسينية "لست أوقعه"

رواية السبكي: إنِّـــي لأقطعُ أيَّامِي وأُنْـــفِـذُهـــا

بحَسْـــرَةٍ منه في قلبي تُقَطِّـــعُـــهُ

رواية الثمرات: إن لا أُقطِّع ....

....

رواية السبكي: بـــمن إذا هَـــجَعَ النُّوَّامُ أُبْتُ لـــه

بلَوْعَةٍ منه لَيْلِـــي لســـت أهجعه

رواية الثمرات: ... ... بـــت بـــه

....

وبعد هذا البيت:

حتى جرى البين فيما بيننا بـــيـــد

عسراء تمنعني حظي وتمنـــعـــه

في ثمرات الأوراق:

وكنتُ من رَيْبِ دهري جازعاً فَرِقاً

فلم أُوَقَّ الذي قد كنـــتُ أَجْزَعُـــهُ

*** قلت: ولم يرو السبكي هذا البيت**

رواية السبكي: بـــالله يا منزل القصر الذي درست

آثاره وعفت مـــذ بنـــت أربعـــه

رواية الثمرات: ... يا منزل الإنس ....

....

رواية السبكي: من عندهُ ليَ عهدٌ لا يضـــيِّـــعُهُ

كما لَـــهُ عهدُ صدقٍ لا أُضَيِّـــعُهُ

رواية الثمرات: ... ... لا يضيع كما

عندي له عهد وُدٍّ لا أُضَيِّـــعُـــهُ

رواية السبكي: لأصبـــرنَّ لـــدهرٍ لا يُمَـــتـــعُـــني
به كـــما أنَّـــه بـــي لا يُمـــتِّعُـــهُ

رواية الثمرات: ... ...
... ولا بـــي في حـــالٍ يمتـــعه

رواية السبكي: عسى الليالي التي أضنتْ بفُرْقَتِنا
جسمي تُجَمِّعني يوما وتَجْمَعُهُ

رواية الثمرات: ... ...
..... ستجمعني يوما ... ...

رواية السبكي: وإن ينـــل أحـــدٌ مـــنَّا مَنِـــيَّـــتَهُ
فما الذي في قضاءِ اللهِ يَصْـــنعُهُ

رواية الثمرات: وإن تُنِلْ أحدا ... ...
.... بقضاء الله ... ...

(ج) مقارنة بين رواية السبكي لأبيات من شعر حميد بن ثور[1] ورواية ديوانه:

رواية السبكي: مُطـــوّقةٌ خَطْبـــاءُ تَسجَـــعُ كُلَّما
دنا الصيفُ وانجابَ الربيعُ فأنْجَمَا

رواية الديوان: .... تصـــــدح ...
.... وانجال ....

رواية السبكي: إذا زعزعته الريحُ أو لَعِـــبَتْ به
تغنَّتْ علـــيه مـــائـــلاً ومُقَـــوَّمـــا

---

(1) الأبيات في طبقات الشافعية ١/ ٢١٠ و ٢١١ وهي في الديوان ص ٢٤ – ٢٧ صنعة الميمني، دار الكتب، القاهرة ١٣٧١ – ١٩٥١.

رواية الديوان: ... هزهزته ....

أرنت عليه ماثلا ... ...

رواية السبكي: مُحلأَةُ طوْقٍ لم يكنْ من تميمةٍ

ولا ضربِ صوّاغ بكفَّيهِ درْهَما

رواية الديوان: تَطَوَّقَ طَوْقًا لم يكُنْ عن .....

... ...

رواية السبكي: فلما اكتسى الوبلُ السُّخامَ ولم تَجِدْ

لها معه في ساحةِ العيشِ مَرْتِمَا

رواية الديوان: .... ريشا سُخَاماً ولم يجد

له معها في باحةِ العُشِّ مَجْثِما

رواية السبكي: فلم أر مِثلي شاقَه صوتُ مثلِها

ولا عربياً شَاقَه صوتُ أعجما

رواية الديوان: ..... مَحْزُوناً لَهُ مثلُ صَوْتِها

... ...

وقد نص المحققان[1] على أن الأبيات في ديوانه بغير الترتيب الذي به في الطبقات ما عدا البيت الحادي عشر[2] في ترتيب الطبقات وهو:

تنحَّت قريبا فوق غصنٍ تداءبتْ به الريحُ صَرْفا أيَّ وجهٍ تيمَّما

وقد سقط من الديوان البيتان:

تروح عليه والهاً ثم تَغْتَدِي مُوَلَّهةً تبغي لهُ الدهرَ مَطْعَمَا

تُؤمِّلُ فيه مُؤنِساً لانفرادِها وتَبْكي عليه إن زَقَا أو ترنَّمَا

---

(1) طبقات الشافعية ٢١٠/١ هامش رقم ٣

(2) المصدر السابق ٢١١/١

وذكر الميمني أنهما في طبقات الشافعية[1].

(د) مقارنة بين رواية السبكي لطرف من أشعار الإمام الشافعي ورواية الرازي في كتابه "مناقب الإمام الشافعي":

رواية السبكي: أأنـــثر دُرًّا بيـــن راعيةِ الغنـــم **الطبقات ٢٩٤/١**

وأنـــثر منظوما لراعيةِ النَّـــعـــمْ

رواية الرازي: أأنـــثر دُرًّا بيـــن سارحةِ النعـــم **المناقب ص ١١١**

أأنـــظم منثورا لراعيةِ الغـــنـــم

رواية السبكي: فـــإن فرَّجَ اللهُ الكريـــمُ بلطفـــه **الطبقات ٢٩٤/١**

وأدركـــتُ أهـــلا للعلوم وللحِكَـــم

رواية الرازي: ... . الله اللطيف .... **المناقب ص ١١١**

... ...

رواية السبكي: بثثـــت مفيدا واستفدت ودادهـــم **الطبقات ٢٩٤/١**

وإلا فـــمخـــزون لـــدي ومكتتـــم

رواية الرازي: ... ... **المناقب ص ١١١**

وإلا فمكنون ....

*** قلت: وليس فيها البيت الذي في الطبقات:**

لئن كنت قد ضُيِّعتُ في شر بلدة

فلست مضيعا بينهم غرر الكلـــم

ولم ينص على ذلك المحققان.

رواية الطبقات لأبيات الشافعي أنشأها لما سئل عن القدر (الطبقات ٢٩٥/١):

---

[1] طبقات الشافعية ٢١١/١

فمـا شـئتَ كـــان وإن لـــم أشـــأ ... ومـا شـئتُ إن لـم تَشَـأ لـم يكـــنْ
خلقـتَ العبـادَ علـــى مـــا علمـــتَ ... ففـي العلـم يجـري الفتـى والمُسِـــنَ
علـــى ذا مننْـــتَ وهـــذا خذلْـــتَ ... وهـــذا أعنْـــتَ وذا لـــم تُعِـــنْ
فمنـــهم شـــقيٌّ ومنـــهم ســـعيدٌ ... ومنـــهم قبيـــحٌ ومنـــهم حســـنْ

رواية المناقب (المناقب ص ٤٢):

فمـا شـئتُ كـــان وإن لـــم أشـــأ ... ومـا شـئتَ إن لـم أشَـأ لـم يكـــنْ
خلقـتُ العبـادَ علـــى مـــا علمـــتُ ... ففـي العلـم يجـري الغنـى والمنـــن
علـــى ذا مننْـــتُ وهـــذا خذلْـــتُ ... وهـــذا أعنْـــتُ وذا لـــم يُعَـــنْ
فمنـــهم شـــقيٌّ ومنـــهم ســـعيدٌ ... ومنـــهم قبيـــحٌ ومنـــهم حســـنْ

وأنشد وهو في مرضه الذي مات فيه:

رواية السبكي: ولمَّا قسى قلبي وضاقتْ مذاهبي ... الطبقات ٢٩٦/١
جعلتُ رجائي نحوَ عفوك سُلَّمَا

رواية المناقب: ... ... المناقب ص ١١٢
جعلت الرجا مِنِّي لعفوك سلما

رواية السبكي: فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزلْ ... الطبقات ٢٩٤/١
تَجـودُ وتعفـو مِنَّـةً وتَكـرُّمـا

رواية الرازي: وما زلت ... ... المناقب ص ١١٢
... ...

* قلت: ولم يشر المحققان إلى رواية المناقب للبيت المتقدم "وما زلت ذا ..."

رواية السبكي: وأن أبـا بكـر خلـيـفـة ربـه ... الطبقات ٢٩٦/١
وكان أبو حفص على الخير يحرص

رواية الرازي: ... ... خليفة أحمد ... المناقب ص ٤٩
... ... على الحق ... ...

رواية السبكي: شهـدت بأن الله لا شـيء غيـره **الطبقات ٢٩٦/١**
وأشهد أن البعـثَ حـقٌّ وأخلـصُ

رواية الرازي: ... ... لا رب غيره **المناقب ص ٤٨**
... ...

رواية السبكي: فـما لعتـاةٍ يشهـدون سـفاهـةً **الطبقات ٢٩٦/١**
وما لسفيهٍ لا يحيـصُ ويحـرِصُ

رواية الرازي: فـما لغـواةٍ يشتُـمون سـفاهـةً **المناقب ص ١١٢**
وما لسفيـه لا يُجـابُ فيخـرصُ

رواية السبكي لبيت من أبيات قالها الشافعي لما بلغه أن أشهب بن عبد العزيز قال في سجوده اللهم أمت الشافعي وإلا يذهب علم مالك:

رواية السبكي: وقد علموا لو ينفعُ العلـمُ عندهـم **الطبقات ٣٠٣/١**
لئن مِتُّ ما الداعي علـيَّ بمُخْلَـدِ

رواية الرازي: ... ... **المناقب ص ٢٠١**
... ... مُخلَّـد

رواية السبكي لبيت من أبيات للشافعي في الغزل:

رواية السبكي: لو أن عيني إليك الدهرَ ناظـرةٌ **الطبقات ٣٠٥/١**
جاءت وفاتي ولم أشبعْ من النَّظـرِ

رواية الرازي: ... ... **المناقب ص ١١٧**
حانت وفاتي ... ...

رواية السبكي لبيتين في التشوق إلى مصر:

رواية السبكي: لقد أصبحت نفسي تتوقُ إلى مصر **الطبقات ٣٠٥/١**
ومن دُونِها أرضُ المهامِـه والقَفْـرِ

فــوالله ما أدري أَللــفوزِ والغِنــى
أُساقُ إليها أم أساقُ إلى قبــرِي

رواية الرازي: أرى النّفسَ مني قد تتوقُ إلى مصر **المناقب ص ١١٨و١١٩**
ومن دونها أرضُ المفازةِ والقفْرِ

فــوالله ما أدري أَللخَفْضِ والغِنــى
أُساقُ إليها أم أساقُ إلى القبــرِ

رواية السبكي لبيتين أنشدهما الشافعي بعد أن قال العلم جهل عند أهل الجهل كما الجهل جهل عند أهل العلم:

رواية السبكي: ومنــزلــةُ الفقيــهِ مــن السَّفيــهِ **الطبقات ٢٩٨/١**
كمنزلــةِ السَّفيــهِ مــن الفقيــهِ

فــهــذا زاهــدٌ فــي قُربِ هــذا
وهــذا فيــه أزهــدُ منــه فيــهِ

رواية الرازي: .... **المناقب ص ١١١**
....

.... فــي علم هــذا

....

وسئل الشافعي عن مسألة، فأعجب نفسه، فأنشأ يقول:

رواية السبكي: إذا الــمشكــلاتُ تَــصدَّيْنَــنِــي **الطبقات ٣٠٠/١**
كــشــفــتُ حقائقَهــا بالــنَّظــرْ

ولســتُ بإمَّــعــةٍ فــي الرجــالِ
أســائــلُ هــذا وذا مــا الخبــرْ

ولـكـنَّـني مِـدْرَهُ الأصْـغـر
يْـنِ فـتَّاحُ خـيـرٍ وفرَّاجُ شرّ

رواية الرازي: إذا الـمشكـلاتُ تَـصدَّيْنَ لـي **المناقب ص ١١١**
كـشـفـتُ حقائقَهـا بالـنَّظـرْ

....

....

ولـكـني مـدرب الأصْـغـر
يـنِ أقيـس بما قد مضى ما غَبَرْ

وقصده رجل يطلب منه شيئا فأعطاه ما أمكنه ثم أنشأ يقول:

رواية السبكي: يا لهـفَ نفسـي على مالٍ أُفرِّقُـه **الطبقات ١/ ٣٠٠**
على المُقِلِّـين من أهلِ المـروآتِ

إنّ اعتذاري إلى مَن جاء يـسألُنـي
ما ليس عنديَ مِن إحدى المُصيباتِ

رواية الرازي: يا لهـفَ قلبـي على مالٍ أجود به **المناقب ص ١١٦**
على المُقِلِّـين من أهلِ المـروآتِ

*** قلت: رواية المناقب**

إنّ اعتذاري إلى مَن جاء يـسألُنـي
ما ليس عندي لمن إحدى المُصيباتِ

و لم يشر إلى ذلك المحققان.

*** قلت: ما رواه السبكي ولم يروه صاحب المناقب من شعر الشافعي:**

علـيَّ ثيـابٌ لـو يُبـاعُ جميعُـها بفَلْـسٍ لكـان الفلـسُ منـهُنَّ أكـثرا
وفيـهنَّ نَفْـسٌ لـو يُقـاسُ بمثلِـها نفـوسُ الـورَى كـانت أجـلَّ وأخطـرا

وما ضرَّ نَصْلَ السيفِ إخلاقُ غِمدِهِ ... إذا كان عَضْباً حيث أنفذتَه بَرَى
فإن تكُنِ الأيام أزرتْ بِبزَّتِي ... فكم من حُسامٍ في غلافٍ مُكسّرَا

الطبقات ١/٣٠٢

وأنطقتِ الدراهمُ بعد صمتٍ ... أُناسا بعد أن كانوا سُكوتا
فما عَطفوا على أحدٍ بفضلٍ ... ولا عرفوا لمَكْرُمةٍ بيوتا

الطبقات ١/٣٠٣

العلمُ من شرطه لمن خدَمَهْ ... أن يجعلَ النّاسَ كُلَّهم خدمَهْ
وواجبٌ صونُه عليه كما ... يصونُ في الناس عِرضَه ودمَهْ
فمن حوَى العلمَ ثم أودعَهُ ... بجهلِه غيرَ أهلِه ظلمَهْ
وكان كالمُبْتَنِي البناءَ إذا ... تمَّ له ما أراده هَدَمَهْ

الطبقات ١/٣٠٠

قصة فتوى الشافعي للشاب الهاشمي الذي دفع إليه برقعة فيها:

سلِ المُفتيَ المكّيَّ هل في تَزاوُر ... وضَمَّةِ مُشتاقِ الفُؤادِ جُناحُ

وقع الشافعي:

فقلتُ مَعاذَ اللهِ أن يُذهبَ التُّقى ... تلاصُقُ أكبادٍ بهنَّ جِراحُ[1]

الطبقات ١/٣٠٣ و٣٠٤

وأنزلني طولُ النَّوى دارَ غُربةٍ ... يجاورُني مَنْ ليس مثْلي يُشاكِلُهْ
أحامِقُه حتى يقال سجيةٌ ... ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أُعاقِلُهْ

الطبقات ١/٣٠٦

---

(١) روي أن شابا دفع إلى الإمام الشافعي برقعة فقرأها فوقع عليها فمضى بها الشاب فتبعه رجل كان يحرص على فتوى الشافعي فأطلعه الشاب على الرقعة ثم أنكر على الشافعي. فبين له الشافعي أن صاحب الفتوى قد عرس في هذا الشهر – يعني رمضان – فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطء، انظر طبقات الشافعية ١/٣٠٤

روى السبكي بسنده أن الإمام الشافعي قال: اشتريت جارية وكنت أحبها فقلت لها:

أليس شديداً أن تُحبَّ فلا يحبُّك من تحبُّهْ

فقالت الجارية:

ويصدَّ عنك بوجهه وتُلحَّ أنت فلا تُغِبُّهْ

الطبقات ٣٠٧/١

جنونُك مجنونٌ ولستَ بواجدٍ طبيباً يُداوي من جنونِ جنونِ

الطبقات ٣٠٧/١

كلُّ العلوم سوى القرآنِ مَشغلةٌ إلا الحديثَ وإلا الفقهَ في الدينِ

العلمُ ما كان فيه قال حدَّثَنا وما سوى ذاكَ وسواسُ الشياطينِ

الطبقات ٢٩٧/١

نخلص مما جاء في هذا الفصل إلى أن تاج الدين كان ذا إدراك واع بأهمية الأمانة في النقل. والبعد عن الهوى الذي يحمل على تحريف الكلم عن مواضعه فيشوه السير والأخبار ويؤكد تاج الدين السبكي أهمية اشتراط توفر العلم ومعرفة مدلولات الألفاظ في المؤرخ أو الكاتب، فإذا كانت مدلولات الألفاظ غائمة في ذهن من يستعملها أورث ذلك فوضى في المعلومات، وكان فيه تجن على الحقائق العلمية.

أفاد تاج الدين من ثقافته الحديثية. فلم يورد أغلب رواياته الأدبية إلا مسندة.

مع أن بعض الباحثين يرى أن الإسناد ليس أصلا من أصول الرواية الأدبية[1] ولا يلتزم بين يدي كل نص أدبي، فإننا نجد أن تاج الدين خلع على

---

(١) انظر الصفحات ٤٦ و٤٧ و٤٨ من هذا الفصل.

مروياته الأدبية من ثقافته الحديثية وطبق منهج المحدثين في الإسناد، ويتميز إسناده بالاتصال المرفوع[١] وهذا يكفي في الرواية الأدبية.

ولقد اكتملت في تاج الدين شرائط الرواية الموثق وهذا يعطي مروياته قيمة علمية عالية في التوثيق.

كما نلحظ أن تاج الدين لم يوافق غيره في طرق تخريج الآثار الأدبية إلا في القليل النادر مما يدل على أن كتابه أصيل في رواياته لا يعتمد على مصادر أخرى في النقل.

وقد وشع تاج الدين طبقاته باختيارات شعرية ونثرية تنبئ عن ذوق أدبي رفيع وسعة اطلاع على الآثار الأدبية وتجعل من كتابه مصدرا أدبيا ثرا، وسنتناول – بإذن الله – طرفا من اختياراته الشعرية والنثرية في الفصل القادم.

---

(١) المرفوع عند المحدثين لا يكون متصلا دائما. انظر توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل تحقيق محمد محي الدين ط١، ١٣٦٦ هـ، القاهرة ص ٢٥٤ ج١، وانظر قواعد في علوم الحديث لظفر أحمد العثماني ص ٣٨ تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية. دار العلم، بيروت ط ٣، ١٣٩٢ – ١٩٧٢.

الفصل الثاني

اختياراته النثرية والشعرية

أورد تاج الدين في طبقاته اختيارات نثرية وشعرية غزيرة تنبئ عن ذوق في الجمع والاختيار رفيع، وقديما قال الجاحظ: "إن شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من علمه، واختياره قطعة من عقله"[١] وإذا فتشنا عن مفتاح لخزائن الطبقات الأدبية فإنا واجدون ذلك فيما ساقه تاج الدين في مقدمة الطبقات عن مادة كتابه، فهو يقول: "فاحتوى هذا المجموع على أشعار غالية الأسعار وحكايات ليس فيها شكايات ومواعظ يصمت عندها اللافظ"[٢]، "وهذا كتاب حديث وفقه وتاريخ وأدب. ومجموع فوائد تنسل إليه الرغبات من كل حدب"[٣] ويقول: " ... فبينا الفقيه منها في عويص الفروع المشتبكة إذا به في رياض من آداب تحرك فاقد الحركة"[٤].

ولم تحظ هذه الاختيارات بتحليل، بل اكتفى تاج الدين بالتعبير عن إعجابه بكلمات مثل: "كلمة بديعة، أو غراء، أو حسنة، أو طنانة" ويمكن أن نصنف ما ورد في اختياراته على النحو التالي:

أ. اختياراته النثرية (رسائل إخوانية)

ب. الشعر التعليمي

ج. المعارضات

د. الموشحات

ه. أدب المرأة العربية

أ- اختياراته النثرية:

أظهر في اختيارات تاج الدين النثرية الرسائل الإخوانية التي دارت بينه

---

(١) البيان والتبيان ٣٤/١، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الثانية، الخانجي، القاهرة ١٩٦٨.

(٢) طبقات الشافعية ٢٠٧/١.

(٣) المصدر السابق ٢٠٧/١.

(٤) المصدر السابق ٢٠٩/١.

وبين بعض معاصريه، ولم تخرج الخصائص الفنية لهذه الرسائل عن دائرة خصائص الكتابة في العصر المملوكي بعامة. فقد شاع- كما هو معروف - في لغة العصر السجع والمحسنات البديعية، واتخذ الكتاب من مقامات الحريري الحافلة بالزخارف اللفظية مثلا[١] يحتذى في الكتابة وطرائق الأسلوب. كما كان للقاضي الفاضل أثر فعال في توجه لغة الكتابة والشعر إلى ألوان البديع والبيان. يتحدث ابن حجة الحموي عن أثر القاضي الفاضل على الأدباء من معاصريه ومن تبعهم، وقد ألمحنا من قبل إلى حديث ابن حجة الحموي عن أثر القاضي الفاضل على الأدباء من معاصريه ومن تبعهم[٢].

وفي "نهاية الإرب" يشيد النويري بالقاضي الفاضل[٣] مما يدل على شدة تأثيره على صناعة الكتابة، يقول النويري: "إليه انتهت صناعة الإنشاء ووقفت، وبفضله أقرت أبناء البيان واعترفت، ومن بحر علمه رويت رود الفضائل واغترفت، وأمام فضله ألقت البلاغة عصاها وبين يديه استقرت به نواها، فهو كان كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره، وناشر ألوية الفضل في مصره وغير مصره ورافع علم البيان لا محالة، والفاضل بغير إطالة"[٤].

ويقول عنه تاج الدين السبكي: "إمام الأدباء، وقائد لواء الترسل وصاحب

---

(١) خزانة الأدب في عصر الحروب الصليبية ص ٥٦١.

(٢) انظر ص ١٥ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) هو عبد الرحيم بن علي بن الحسن، القاضي الفاضل، العسقلاني المولد، المصري الدار، مشهود له بالبراعة والتفنن في صناعة الإنشاء. ذكر السبكي أنه كان ذا دين وتقوى وتقشف، له تهجد بالليل، كثير البر والصدقة، ذا يسار عريض بلغت كتبه التي ملكها مائة ألف مجلد، وكتب ما يربو على مائة مجلد، ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة، توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة، طبقات الشافعية ١٦٧/٧ بتصرف.

(٤) نهاية الأرب ١/٨ النويري، طبعة دار الكتب، القاهرة ١٣٥٠ ـ ١٩٣١ قال النويري "وكلام القاضي كثير ..... وأخبرني من أثق بقوله من الحكام القضاة الأعيان أنه يزيد على خمسين مجلدا قد جمعت، أما ما لم يجمعه الناس فكثير جدا" ٥١/٨ واختار من رسائله ما شغل إحدى وخمسين صفحة من ١ إلى ٥١.

صناعة الإنشاء، أجمع أهل الأدب على أن الله تعالى لم يخلق في صناعة الترسل من بعده مثله، ولا من قبله بأكثر من مائتي عام وربما زادوا ... [١].

تأسى به الكتاب في ولعه بفنون البديع وجمال التشبيه، والتضمين، والاقتباس والتورية. ويعزو بهاء الدين السبكي اهتمام المصريين بصناعة البيان إلى أنهم كانوا أصحاب ذوق، فيقول: "أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك - أي عن القواعد والمنطق التي علقت بعلم المعاني - بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم، والأذهان التي هي أرق من النسيم، وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم أكسبهم النيل تلك الحلاوة، وأشار إليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء - فضلا عن الأغمار - الأعمار، ويروق في مرآة قلوبهم الصقيلة لما احتجب من الأسرار خلف الأستار"[٢].

ويرد الدكتور عبد اللطيف حمزة إسراف الأدب المصري الوسيط في استخدام الزينة اللفظية - إلى أسباب ذكر منها ديوان الإنشاء فمنذ وجد والعناية بالكتابة الفنية في مصر تفوق حد الوصف، مما جعلهم يبالغون في التأنق في الأسلوب، وكذلك ذيوع الثقافة الدينية فالقرآن - في رأيه - هو السبب الأول في جنوح الأسلوب إلى الزينة اللفظية وأنه كان من أظهر الميزات أو الخصائص الفنية لأسلوب القاضي الفاضل الميل إلى نثر القرآن على النحو الذي فعله الأدباء من قبل في نثر الأشعار"[٣] ولا أرى أن أسلوب القرآن يبعث على الإسراف في الزينة اللفظية كما زعم الباحث، فعلماء البلاغة يعرفون أن هذه الخصائص الأسلوبية أو ما يسمى بالزينة اللفظية قد وردت في القرآن بقدر وإحكام يصدران عن الإعجاز البياني للقرآن، فالإسراف يكفي لإخراج الكتابة عن حد البلاغة والقبول.

---

(١) طبقات الشافعية ١٦٧/٧.
(٢) عروس الأفراح ٥/١، بهاء الدين السبكي، طبعة بولاق، القاهرة ١٣١٧.
(٣) الحركة الفكرية ص ٢٨ و ٢٩.

وكان ممن سار على نهج القاضي الفاضل في الكتابة ابن نباتة الذي يقول عنه صلاح الدين الصفدي: "تفرد بلطف النظم، وعذوبة اللفظ، وجودة المعنى وغرابة المقصد، وجزالة الكلام، وانسجام التركيب، أما نثره فآية الغاية في الفصاحة سلك منهج القاضي الفاضل رحمه الله، وحذا حذوه، وأطفأ نور ابن عبد الظاهر فلم يدع له في القلوب حظوة"[١].

ويذكر ابن حجة تأثير ابن نباتة على معاصريه فيقول: "والعصابة التي مشت تحت علمه النباتي، وتجلت بقطر نباته هم: الشيخ صلاح الدين الصفدي والشيخ زين الدين الوردي[٢] والشيخ برهان الدين القيراطي[٣] ومذهبي أنه أقرب الناس إلى الشيخ جمال الدين[٤] نظما ونثرا ....."[٥].

ومما تقدم يبدو لنا أن أثر منهج القاضي الفاضل في الكتابة قد امتد حتى القرن الثامن الذي ألفت فيه طبقات الشافعية فقد ذكر أن ابن نباتة قد تأثر القاضي في منهجه في نثره، ويقرر ابن حجر أن ابن نباتة نفسه أثر على معاصريه كالشيخ صلاح الدين الصفدي وزين الدين الوردي، وبرهان الدين القيراطي وليس ثمة ما يمنع أن يكون معاصرو ابن نباتة قد تأثروا بالقاضي الفاضل مباشرة كما تأثره هو، يؤيد ما ذهبت إليه من تأثرهم مباشرة به، ما جاء في أبيات الصفدي في الرسالة

---

(١) انظر ألحان السواجع، تحت رقم ١٢٧٦ ب مجموعة في الأدب، مكتبة بلدية الإسكندرية.

(٢) زين الدين عمر بن المظفر الحلبي الشافعي المعروف بابن الوردي. أديب شاعر فقيه، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة، النجوم الزاهرة ٢٤٠/١٠.

(٣) الشيخ إبراهيم القيراطي المصري كان شاعرا أديبا، يقول ابن حجر:"وكان له اختصاص بالسبكي ثم بأولاده، وله فيهم مدائح ومراث، وبينهم مراسلات"، ويقول ابن العماد وله في تاج الدين غرر المدائح، توفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة انظر الدرر الكامنة ٣٢/١ وشذرات الذهب ٢٧٠/٦

(٤) هو الشيخ جمال الدين حامل لواء الشعر في زمانه مولده بالقاهرة سنة ست وثمانين وستمائة يقول عنه السبكي: ما رأينا أشعر منه ولا أحسن نثرا ولا أبدع خطا، توفي بالقاهرة سنة ثمان وستين وسبعمائة ترجمته في طبقات الشافعية ٢٧٣/٩.

(٥) خزانة الأدب ص ٣٦٧.

التي بعث بها إلى تاج الدين السبكي، وفي الأبيات يشيد بمقدرة تاج الدين البيانية ويقدمه على القاضي الفاضل ويصف القاضي بأنه إمامهم يقول:

أسَفي على عَبْدِ الحَميـ ... ـمِ فإنه أخملتَ فِنَّهْ
وأتيتَ فيه بمُعجزا ... تٍ فُتِّنَهُ فأصاب فِتْنَهْ
هو مالكُ الإنشاءِ إن ... شاء التقدُّم لم يَنَهْنَهْ
وإمامُنا لكنَّه ... إن قِستَه بك فيه لُكِّنَهْ
لو عاش كان أولو النُّهى ... ما داهنوا في الحقِّ دُهْنَهْ
ولقال كلٌّ منهمُ ... والحقُّ لم يكُ فيه هُدْنَهْ
هذا عليكَ مُقدَّم ... فاضربْ برأسِكَ ألفَ قَرْنَهْ[1]

وبرهان الدين القيراطي الذي سلفت الإشارة إليه في حديث ابن حجة. كانت له خصوصية بالبيت السبكي، وقد كانت بينه وبين تاج الدين السبكي مراسلات أوردها في طبقاته. وهذا اللون الذي أورده تاج الدين يعرف بالرسائل الإخوانية وقد كتب في هذا الفن القاضي الفاضل وابن الأثير وابن عبد الظاهر، وجمع ابن سناء الملك ما دار بينه وبين أبيه والقاضي الفاضل من رسائل في كتاب سماه "فصوص الفصول وعقود العقول"[2] وهذه الرسائل كما هو واضح مما أورده تاج الدين يغلب عليها التعبير عن العواطف الشخصية من شوق وحب وود وثناء ومدح[3].

مراسلات تاج الدين وبرهان الدين القيراطي:

أورد الشيخ تاج الدين رسالة له موجهة إلى الشيخ برهان الدين القيراطي

---

(١) طبقات الشافعية ١٠/٢٣.
(٢) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ٣١٣.
(٣) انظر مراسلات تاج الدين وبرهان الدين القيراطي في طبقات الشافعية ٩/٣١٤ ـ ٣٩٨ ومراسلات تاج الدين وصلاح الدين الصفدي في طبقات الشافعية ١٠/٦ ـ ٣٢.

في الجزء التاسع من طبقاته، ويبدو أن مقدمتها قد سقطت، واستهلت بهذه العبارة[١] "كتب الشيخ المصنف أسبغ الله ظلاله إلى الشيخ الإمام العالم الأديب النحرير الفاضل المحدث." ويدل هذا التقديم أن كاتبه غير تاج الدين المصنف، فقد عودنا أن يصدر رسائله بقوله: "وكتبت إليه" بضمير المتكلم ويبدو أن شيئا من مقدمتها سقط وقدم لها أحد نساخ الكتاب بالعبارة المتقدمة، ومما يؤيد ذلك عندي - ما ذكره المحققان وهو أن هذه الرسائل وردت متصلة بترجمة الشيخ برهان الدين بن الفركاح وليس لها أية صلة به، ويقول المحققان بعد ذلك "ويبعد أن تكون هذه الرسائل بقية لترجمة سقط أولها لبرهان الدين القيراطي لما ثبت من أن هذا توفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة، أي بعد وفاة المصنف بعشر سنوات ولم تجر عادة المصنف أن يترجم لمعاصريه الذين عاشوا بعده"[٢].

ولا معنى - في رأيي - لكلمة المحققين "ولم تجر عادة المصنف أن يترجم لمعاصريه الذين عاشوا بعده" ولعلهما يقصدان أنه كان لا يترجم لمعاصريه إلا بعد وفاتهم.

ولما كان لبرهان الدين القيراطي خصوصية بالبيت السبكي[٣] وبينه وبين

---

(١) حمل على هذا الظن ما ذكره المحققان في هامش التحقيق أن ترجمة برهان الدين بن الفركاح وقفت في النسخة التي رمزا لها بالحرف (ص) - وهي مكتوبة بخط المؤلف - بعد قوله الروياني في العبارة (المراد بالساعات في حديث التبكير إلى الجمعة من الزوال، كما يقوله صاحب "التهذيب" والروياني" وكتب بعده "يتلوه بعد عدة كراريس إبراهيم بن عمر بن إبراهيم وهي الترجمة المذكورة عقب انتهاء الرسائل ثم صدرت الرسائل بعبارة: كتب الشيخ المصنف، أسبغ الله ظلاله إلى الشيخ الإمام العالم الأديب النحرير الفاضل المحدث المفيد، برهان الدين أبي إسحاق) بن الشيخ العالم ..... ذكر المحققان أن هذا التصدير قد ورد في النسختين ج، ك ولم يدر فيهما إلى كلمة "برهان" وما بين الخاصرتين زيادة من المطبوعة على ما في ج، ك.

(٢) طبقات الشافعية ٣١٤/٩ انظر هامش التحقيق.

(٣) يقول ابن حجر: "وكان له اختصاص بالسبكي، ثم بأولاده، وله فيهم مدائح ومراث وبينهم مراسلات" انظر الدرر الكامنة ٣٢/١، ويقول ابن العماد: "وله في تاج الدين غرر المدائح" انظر شذرات الذهب ٢٧٠/٦.

تاج الدين رسائل مطولة فلا يبعد - عندي - أن تكون هذه الرسائل بقية ترجمة سقط أولها، لبرهان الدين القيراطي، ولا يبعد أن يكون تاج الدين قد ترجم له لما كان له من اختصاص بآل السبكي وعمد من خلال ذلك إلى تسجيل هذه الرسائل الحافلة وتخليدها في طبقاته، ومما يزيد الأمر ترجيحا - في رأيي - أن برهان الدين القيراطي يأتي في الترتيب على حروف المعجم الذي اتبعه تاج الدين في طبقاته - بعد برهان الدين بن الفركاح. فقد اتفق الشيخان في (برهان الدين) والقيراطي تأتي بعد فركاح لأن القاف بعد الفاء ولم ينص تاج الدين في الحديث عن منهجه في الطبقات على ما يعده المحققان مما لم تجر به عادته: وهو الترجمة لمعاصريه الذين عاشوا بعده. وإن كان هذا الذي لحظاه هو ما ينطق به كتاب الطبقات في عمومه. ولكنا نلحظ أحيانا أن المصنفين السابقين قل أن يستمسكوا بمنهج قد نصوا عليه في مصنفاتهم ناهيك عن من لم ينص على ذلك صراحة.

رسالة تاج الدين[1]:

كتب الشيخ المصنف أسبغ الله ظلاله إلى الشيخ الإمام العالم الأديب النحرير الفاضل المحدث المفيد، برهان الدين أبي إسحاق بن الشيخ العالم شرف الدين عبد الله القيراطي المصري، من دمشق المحروسة يتشوق إليه، في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعمائة:

يقبل الأرض أدبا بين يدي قبلة الأدب، ويوجه وجهه عروض بيتها الذي رفع إبراهيم قواعده بكل وتد وسبب، ويقلب قلبه، فإذا ميلتها الذكرى له قام كأنه يتمشي هناك بالأحداق، ومد يده لكأس الطرب وأنشد:

أمـدُّ كفـي لحَمـلِ الكـأسِ مـن رشـأٍ وحـاجتي كلُّـها فـي حـاملِ الكـأسِ

لا، بل أنشد:

---

(١) طبقات الشافعية ٩/٣١٤ ـ ٣٣٦.

أمـرُّ علـــى الديـــارِ ديـــار ليلـــى أقبِّـــلُ ذا الجـــدارَ وذا الجـــدارا[١]
ومـــا حـــبُّ الديـــارِ شـــغفن قلبـــي ولكـــنْ حـــبُّ مـــن ســـكن الديـــارا

فهو والله حب امتزج بلحمه ودمه، واعتلج وهو الدواء مع دائهما، فأوجد حقيقة عدمه، واختلج لكأسه كل عضو إذا ما شارب القوم احتساه أحس له دبيبا في أعظمه، وأنشد[٢]:

كـــانت لقلبـــيَ أهـــواءٌ مفرَّقـــةٌ فاستجمعتْ مـــذ رأتـــك العيـــنُ أهـــوايَ
فصـــارَ يَحْسُـــدُنِي مَـــن كُنـــتُ أحسُـــدُه وصرتُ مَوْلَى الـــوَرَى إذ صِـــرتَ مَـــوْلايَ

لا والله، بل حُبٌّ حَلَّ منه مَحَلَّ الرُّوح، وملك يَغْدُو منه ويغدى ويريح ويَرُوح وعَدَل في الأعضاء فأباح لكُلٍّ أن يَبُوحَ بما عنده ويَنُوح، ويُنشِد:

يَجِـدُ الحمـامُ ولـو كوَجْـدِي لانْـبَرَى شَـجَرُ الأراك مـــع الحَمـــام يَنُـــوحُ

لا واللهِ، بل حُبٌّ خالط القلبَ، فما تشاكَلاَ ولا تَشابه الأمر، بل اتَّحدا فلم يقل:

رقَّ الـــزُّجـــاجُ وراقَـــتِ الخَـــمْرُ[٣]

واتَّصلا فلم يَبِتْ من حُبِّه مُتقلِّباً على الجَمْر بل أنشد[٤]:

أنـــا مَـــن أهْـــوَى ومـــن أهْـــوَى أنـــا نحـــن رُوحـــانِ حَلَلْنـــا بَدَنـــا
فـــإذا أبْصَرْتَـــهُ أبْصَرْتَنِـــي وإذا أبْصَرْتَنِـــي أبْصَرْتَـــنَـــا

وأستشهد بما أخبرناه أبو عبد الله الحافظ سماعا عليه، أخبرنا أحمد بن

---

(١) ديوان المجنون ص ١٧٠، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر القاهرة ط ١٩٧٩.

(٢) البيتان لأبي المعالي عبد الملك بن أبي نصر. أوردهما السبكي في ترجمته في طبقات الشافعية ١٨٩/٧.

(٣) الشطر للصاحب بن عباد، ديوانه ص ١٧٦، من قوله:
رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها وتشاكل الأمر
انظر البيت في معاهد التنصيص ١٤٥/١ للعباسي، المطبعة البهية المصرية ١٣٠٤.

(٤) البيتان للحلاج ديوانه ص ٩٣ تحقيق ماسينيون، المطبعة الأهلية، باريس.

إسحاق الأَبَرْقُوهِيُّ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور وأنا في الخامسة، أخبرنا محمد بن عبد العزيز الشيرازي ..... عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنني بحرب ..... الحديث" أخرجه البخاري، عن محمد بن عثمان بن كرامة العجلي الكوفي، فوافقناه بعلو. إيه والله، وحب صيره معكم فلم يشك بعدا، ورجا به أن الله يحبه فاغتبط، وإن وجد وجدا وآمل بوقوعه في الله ظل الله فلم يلق لنار الحريق وقدا. اعتمادا على ما أخبرنا به بالشيخ الإمام الوالد، تغمده الله برحمته، سماعا عليه"[١].

ونلحظ في هذه الرسالة كثرة استشهاده بالأحاديث وهو يورد هذه الأحاديث بأسانيدها التي هو أول حلقة في سلسلتها، ويعلق على درجاتها، مثال ذلك تعليقه على الحديث القدسي الذي يرويه بسنده، ولفظ الحديث: "المرء مع من أحب"[٢] يقول تاج الدين: "هذا المتن متفق على صحته، مروي عن خلق من الصحابة، منهم[٣] ..... ثم يحصي أسماءهم ذكرا، ويمضي في استشهاداته بالأحاديث الواردة في فضل الحب في الله والصلة والزيارة، وكلها أحاديث مسندة ومخرجة، ويكثر تاج الدين من تضمينه الأشعار: إما بنصها أو بمنثورها وحلها ويتفنن في الأخذ والنظر في أعطافها، فتأتي رائقة سائغة منسجمة فلا ينبو بها موضع في سياق أسلوبه من مثل قوله: "لا والله حب خالط القلب، فما تشاكلا ولا تشابه الأمر، بل اتحدا فلم يقل: رق الزجاج وراقت الخمر"[٤]. وهذا مأخوذ من قول الصاحب بن عباد[٥]:

---

(١) انظر الرسالة في طبقات الشافعية ٣١٤/٩، ٣٣٦.
(٢) المصدر السابق ٣١٧/٩.
(٣) المصدر السابق ٣١٧/٩.
(٤) المصدر السابق ٣١٥/٩.
(٥) ديوانه ص ١٧٦ تحقيق الشيخ محمد حسن آل يس، مكتبة النهضة بغداد سنة ١٩٦٥.

رقَّ الزجـــاجُ وراقـــــتِ الخمـــــرُ وتشـــــابها فتشـــــاكلا الأمـــــر

وقوله: "ويقلب قلبه، فإذا ميلتها الذكرى له قام كأنه يتمشى هناك بالأحداق" فيه نظر إلى قول القاضي الفاضل:

مثلتـــه الذكـــرى لســـمعي كـــأني أتمشَّـــى هنـــاك بـــالأحداقِ[١]

وقوله: "وينهى بعد رفع أدعية بلغن السماء ورجون فوقها مظهرا"[٢]. وهذا من قول النابغة:

بلغنـا الســـماء مجدنـــا وجدودنـــا وإنـا لـنرجو فـوق ذلـــك مظـــهرا

وهذه الكثرة في الاستشهاد والاقتباس والتضمين تدل على سعة محفوظ تاج الدين من الأشعار، وتتسع هذه الرسائل لهذا التضمين[٣] لتشابه أغراضها بأغراض الشعر الغنائي[٤] من شوق وعتاب ومدح وثناء.

ويتعرض تاج الدين في أثناء رسالته لمسائل فقهية وآراء مذهبية يفضي إليها الاستطراد، ساقه الاستشهاد إلى إيراد استفتاء ابن سرحون السلمي للإمام مالك قال له: "يا أبا عبد الله، إني قد قلت أبياتا من شعر وذكرتك فيها فأنا أسألك أن تجعلني في سعة، فقال له مالك: أنت في حل مما ذكرتني، وتغير وجهه وظن أنه هجاه ....."[٥] يقول تاج الدين: "في هذا من مالك دليل على جواز الإبراء عن الكلام

---

(١) طبقات الشافعية ٣١٤/٩.
(٢) المصدر السابق ٣١٩/٩.
(٣) فرق أهل البديع بين الاقتباس والتضمين جعلوا الاقتباس من القرآن والحديث والتضمين للشعر. جاء في البيان والتبيين للجاحظ: أن عمران بن حطان خطب خطبة عند زياد وظن أنه لم يقصر فيها عن غاية ولم يدع لطاعن علة، فمر ببعض المجالس فسمع شيخا يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن، البيان والتبيين ٦/٢ لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨.
(٤) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ٣١٣.
(٥) انظر طبقات الشافعية ٢٦٧/١ والشعر التعليمي من هذا البحث ص ١٢٨.

في العرض وإن كان مجهولا، ثم يعرض لمذهب الشافعي حتى يستوفي المسألة.

ثم يروي طرفة اللص العالم، ولا مناسبة في الحديث تحتم إيرادها غير أن تاج الدين مهد لها بقوله: "وألبسه النأي ثوبا من الحزن لا يبلى ويبلى الفؤاد وانتزع ثياب صبره، والبين لص لا غرو أن ينزع ثياب القاضي بجدال وجلاد"[١] فهو يعتسف التمهيد إليها اعتسافا، ولقد كان في مكنته - وهو ذو محفوظ غزير من الشعر - أن يجد في الشعر ما يشبه به بلي صبره وشدة جزعه وهذا معنى شائع ذائع في الأشعار وكأني بتاج الدين بما جمع في رسالته يريد أن يسلي ويمتع من يكتب إليه، وأن يقفه على فوائد علمية، وفتاوى فقهية، وأسانيد حديثية، وأسلوبه فيه تدفق خال من التعقيد والاستكراه، ويتوالى سجعه من غير تكلف، منسابا في وقفات موسيقية آسرة، فلا يجور على معنى ولا يثقل على لسان، وهو سجع ذو فقرات طويلة.

ويغلب على أسلوبه التجنيس، وقد ذكر في حديثه عن العماد الكاتب فيقول: "أكثر ما يعاب عليه كثرة استعماله للجناس ولا سيما في النثر، بحيث تضيق به الأنفاس، ويكاد لا يترك للفظة مجالا وإنما يحسن الجناس إذا خف على القلب واللسان ولم يتعد المرتين"[٢] أحسبه يعني لم يتعد المرتين في الجملة المفيدة ومن أمثلة جناسه قوله: "يقبل الأرض أدبا بين قبلة الأدب، ويوجه وجهه عروض بيتها الذي رفع إبراهيم قواعده بكل وتد وسبب، ويقلب قلبه فإذا ميلتها الذكرى له قام كأنه يتمشى هناك بالأحداق"[٣] وقوله: "واختلج لكأسه كل عضو إذا شارب القوم[١]

---

(١) انظر قصة اللص العالم في طبقات الشافعية ٣٢٨/٩ ـ ٣٣٥.

(٢) طبقات الشافعية ١٨٠/٦، يقول الجرجاني: وعلى الجملة لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه حتى تجده لا تبتغي به بدلا ولا تجد عنه حولا، ومن هاهنا كان أحلى تجنيس نسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه. أسرار البلاغة ص ١٥، عبد القاهر الجرجاني، علق حواشيه أحمد مصطفى المراغي ط ١، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨.

(٣) طبقات الشافعية ٣١٤/٩.

احتساه أحس له دبيبا في أعظمه ..... بل حب حل منه محل الروح ..... لا والله بل حب خالط القلب، فما تشاكلا ولا تشابه الأمر، بل اتحدا فلم يقل: رق الزجاج وراقت الخمر"[٢] وقوله: "ورجا به أن الله يحبه فاغتبط وإن وجد وجدا"[٣] ونلحظ أن السبكي يكثر من حل الأشعار في سياق نثره.

وأجاب الشيخ برهان الدين القيراطي على رسالة السبكي برسالة ضافية تحلت بفنون الزينة اللفظية وأكثر فيها من الاستشهاد بالأشعار، ونلحظ أنه رد على أغلب ما ورد في رسالة تاج الدين من عبارات مشيرا إليها مثال ذلك:

يقول تاج الدين واصفا ألفاظ الشيخ برهان الدين "..... لتلك الألفاظ التي عذبت، فهي - وحاشاها من التغير - ماء النيل، ورقت فهي - وحوشيت من السقم - النسيم العليل، وراقت فهي - وحاشاها من التلون - الزهر الحفيل"[٤]. يقول برهان الدين: "ووصف سيدي ألفاظ المملوك وكان من حقها أن تلفظ، ولحظها بعين العناية، وكان من شأنها أن لا تلحظ. وذكرها في مقام التنويه، وكان اللائق بها أن تنسى ولا تحفظ"[٥].

يتشوق تاج الدين فيقول: "ثم يزداد طربا ويهم أن يطير إلى تلك الديار، ولكن أين الجناح، وأن يسري في ليل الفراق، ولكن من له تلقاء الصباح، وأن يقابل الدهر، ولكنه أعزل والدهر شاكي السلاح" ثم يقول: "ولقد شرب بعدكم كأس فراق ذهب بلبه كل مذهب، وسقاه سوط عذاب، الشيب أطيب منه وأعذب، وأورث شيبه المشيب فلو قلد من قال: فانثنى بلا عينين، لقال: ضربني بشيبين، ولا لعبا مني أو ذو الشيب يلعب؟

---

(١) طبقات الشافعية ٣١٥/٩.
(٢) المصدر السابق ٣١٥/٩.
(٣) المصدر السابق ٣١٦/٩.
(٤) المصدر السابق ٣٢٢/٩.
(٥) المصدر السابق ٣٦١/٩.

إنه سطرها والقلب يملي علي أشواقا أضرم البعد سعيرها، وماء العين يتفجر عيونا، فلولا تلك النار لمحا ذلك الماء سطورها، فلله ماء ونار لو لم يتعالجا لأسمعت الأشواق والأقلام من بمصر صليلها وصريرها"[١].

يرد القيراطي: "فأما ما ذكره مولانا من الشوق، فهو يعرب عن شرح حال العبد من بعده، ويبرهن عن صب يقول من حرقه ودمعه على بعده:

في العين ماءٌ وفي القلب لهيبُ لظىً ... وقد تخوَّفتُ في الحالين من تلفي
كالعود يقطُرُ والنِّيرانُ تَحرقُهُ ... كالماءِ في طَرَفٍ والنارِ في طَرَفِ[٢]

يقول تاج الدين: "يتذكر ما مضى بين يديكم، من عيش هو المُنْيَةُ، فلا غرو أن يعزى إلى خصيب، ووقت ضحك إلى فغفرتُ ذنبَ كلِّ ضاحكٍ وإن شِيبَ بضحك المَشيبِ، وأيامٍ ناسب مولانا غُربتي فيها، لغريب فضله المرسل، وإحسانه الملائم. وكل غريب للغريب نسيب"[٣].

ويرد القيراطي: "وذكر مولانا الغربة فكان مولانا بمصر هو الغريب العزيز، وشيخ العلوم الذي ابتسمت به ثغور مصر حين بلغت سن التمييز، وما كان الغريب فيها إلا علمه و المناسب لارتقاء المناصب إلا حلمه، ولا المرسل لأغراض المعالي وقلب المعادي إلا سهمه ولا المؤثر في قلوب أهلها إلا حبه، ولا الملائم لكل ذي عقل بعيد من الخطأ إلا قربه"[٤].

ومما تقدم نلحظ أن الشيخ برهان الدين يرد على جزئيات الرسالة متتبعا أغلب ما فيها بالرد والتعليق. وقد حشد فيها من الأشعار الشيء الكثير. وقد نص فيها على أشعار من نظمه منها قصيدة ضافية يستهلها بالغزل ويتشوق فيها إلى دمشق،

---

(١) طبقات الشافعية ٣٢٢/٩ و ٣٢٣.
(٢) المصدر السابق ٣٦٢/٩.
(٣) المصدر السابق ٣٢٣/٩ وفي قوله من عيش هو المنية، فلا غرو أن يعزى إلى خصيب استخدام للموضع المسمى منية أبي الخصيب، بصعيد مصر.
(٤) المصدر السابق ٣٦٢/٩ و ٣٦٣.

ويمدح فيها قاضي القضاة تاج الدين السبكي، يقول: وقلت مادحا:

للصبِّ بعدكَ حالةٌ لا تُعجِبُ ... وتتيه من صَلَفٍ عليه وتُعجِبُ
أبكيتَه ذهباً صَبيباً أحمرا ... من عينه ويقولُ هذا المَطْلَبُ
وقتلتَه بنواظرٍ أجفانُها ... بسيوفها الأمثالُ فيها تُضرَبُ
رِفقاً بمن أجريتَ مقلتَه دماً ... ووقفتَ من جَرَياتِها تتعجَّبُ
نيرانُ بُعْدك أحرقته فهل إلى ... نحو الجِنان ببُعدِه يتقرَّبُ

ومنها:

وأرى حمى قاضي القضاة فإنه ... حِصنٌ إليه من الزمان المَهْرَبُ
ما زال للعلماء فيه تعلُّمٌ ... منه وللأدباء فيه تأدُّبُ
كم طالبٍ للعلم فيه وطالبٍ ... للمال تمَّ لذا وذا ما يطلُبُ
علماءُ أهلِ الأرض حين تعدُّهُمْ ... في الفضلِ دون مقامه تتذبذب[1]

يقول السبكي بعقب هذه الرسالة: "..... هذه الرسالة أرسلها إليَّ الشيخ برهان الدين القيراطي، وقد جاور في مكة مع الرجبية في سنة أربع وستين وسبعمائة، ثم حضر إلى القاهرة في سنة خمس وستين، وجهزها إلي، ثم عاد إلى مكة مجاورا مع الرجبية سنة خمس وستين، وكتبت إليه جوابها في شوال، سنة خمس وستين وسبعمائة، وجهَّزته إلى مكة"[2] وفي هذا الجواب يقول تاج الدين: "إيه، وحيث الطواف بالبيت حِجَّةً عقب حِجَّة، والعمرة في رمضان عاما بعد عام تعدل حَجَّةً بعد حَجَّة، والفرار إلى الله ذي الحُجَّة البالغة يا لها مِن حُجَّة"[3] وفي هذه الرسالة يتحدث تاج الدين عن طاعون وقع بدمشق وعن قتال نشب بين العرب والترك. يقول عن الطاعون "..... والاستخبار عن حالكم في تلك النواح أهو كحال

---

(١) انظر القصيدة في طبقات الشافعية ٣٧٩/٩ ـ ٣٨٤.
(٢) المصدر السابق ٣٨٧/٩.
(٣) المصدر السابق ٣٨٨/٩.

أهل هذا الإقليم الذي أكثرت فيه النوائح النواح، لحادث طعن وطاعون، حكم بالشهادة لكل مسلم، وبالتكفير لغير المديون، وبالاستبشار لمن قضى نحبه فيه ....."[١]

ثم يقول عن القتال: "ولقد شبت بين العرب والترك نار لا للقرى بل للقراع، ولقد نهضت الدهماء واضطرب النقع المثار، واشتبه المتبوع بالأتباع، ولقد بكت البيض وزعقت السمر في يوم أسود، يطيب به الموت الأحمر ..... لقد قامت الحرب على ساق، ورقت نساء الأعراب، ولكن على الحياة حين رأين الأنفس إلى الحمام تساق وكم ذات خدر فقدت واحدها بين الرفاق ..... من كل مهند لمع وكأنه البرق الخاطف، وجُرِّد فكأنه القضاء الجاري في المواقف، وسل فكأنه الأسد الضاري في المخاوف، وكل رُدَيْنيٍّ هُزَّ فكأنه الغصن تناثرت ثماره وخطر فكأنه قد الحبيب تدانى مزاره وطَعَنَ فكأنه وخزُ الشيطان تضرَّمت ناره ..."[٢].

ويصف تاج الدين في هذه الرسالة الخيل[٣] نواصيها وغرتها وأذنابها وصدورها ومَنخِرَها ولونها، ثم يخلص إلى الرد على قصيدة القيراطي بقصيدة على وزنها وقافيتها يمدحه فيها. مطلعها:

أبداً على جَمْرِ الغضى يتقلَّبُ ... قَلْبٌ بشَرْقِيِّ اللِّوا مُتغرِّبُ

ناءٍ عن الخَيْماتِ يَحسِبُ أنَّهُ ... لجَنانِ وَصْلِك باللَّظى يَتقرَّبُ[٤]

ولم تخرج هذه الرسالة التي كتبها تاج الدين لبرهان الدين جوابا عن رسالته السالفة – عن دائرة الخصائص الفنية التي ألمحنا إليها من قبل في الرسالتين الأوليين، وقد بدا حرص تاج الدين على الجناس والسجع وحل الأشعار والاقتباس – جليا واضحا ونلحظ أنه كان مقلا في أسلوب الاستخدام فلم يرد فيما سلف من

---

(١) طبقات الشافعية ٣٩١/٩.
(٢) المصدر السابق ٣٩٣/٩.
(٣) المصدر السابق ٣٩٤/٩.
(٤) المصدر السابق ٣٩٥/٩.

رسائله إلا مرتين[١] كما نلحظ أنه في هذه الرسالة لم يقتصر على أغراض الكتابة الإخوانية فحسب، بل تطرق إلى موضوعين عامين هما[٢]: طاعون الشام، والقتال بين العرب والترك. وواضح من الرسائل أن الاهتمام بالسجع قد فاق الاهتمام بما عداه من الزينة اللفظية، وبلغ الأمر إلى حد جعل تاج الدين يشير في موضعين من طبقاته إلى ضرورة اقتضاها السجع، إحداهما في خطبة كتابه "الأشباه والنظائر" فقد ورد فيهما: "ليس له من ثان، ولا عنه من ثان، ولا عليه إلا مثن، وقضى السجع بأن أقول ثان"[٣] والأخرى وردت في رسالة له إلى صلاح الدين الصفدي يقول فيها: "وأما السادة الأصحاب فالمخصوص من بينهم بعموم التحية، والمقبل كفه مئة، وقال السجع «مية»[٤] يريد أن ضرورة السجع تقتضي تشديد الياء بعد إسقاط الهمزة".

ونلحظ في هذه الرسائل أن فاتحتها تلزم عبارة بعينها وهي: "يقبل الأرض" في أول رسالة أرسلها تاج الدين للقيراطي جاء في فاتحتها: "يقبل الأرض بين يدي قبلة الأدب"[٥] وفي جواب القيراطي "يقبل الأرض المتطولة على ذوي التقصير ببرها"[٦] وفي رسالة تاج الدين الثانية إلى القيراطي: "يخدم بسلامة الأرض حيث تنزل السماء"[٧] وفي رسالة القيراطي التي أجاب بها "يقبل الأرض ذات

---

(١) في قوله: "من عيش هو المنية فلا غرو أن يعزى إلى خصيب استخدام للموضع المسمى منية أبي الخصيب، طبقات الشافعية ٣٢٣/٩، وفي قوله: وحيث البحر العجاج رؤبة الأدب وكعبته المحجوجة ..... طبقات الشافعية ٣٨٨/٩.

(٢) انظر طبقات الشافعية ٣٩١/٩ و٣٩٣.

(٣) طبقات الشافعية ١٨٤/٩.

(٤) المصدر السابق ١٩/١٠.

(٥) المصدر السابق ٣١٤/٩.

(٦) المصدر السابق ٣٣٦/٩، وفي ترجمة الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل: "..... ثم أعطاه السلطان مملكة حماة ولقبه بالملك الصالح وأمر نواب الشام أن يكاتبوه بتقبيل الأرض ....." مما يدل على أنها عبارة مخاطبة لمستوى معين من درجات الحكام وأولي الشأن. انظر كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج٢ القسم الثاني ص ٣٥٤ نشرة محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٢.

(٧) طبقات الشافعية ٣٨٧/٩ و٣٩٨

الكرم"[١] وفي رسالة تاج الدين إلى الشيخ صلاح الدين الصفدي "يقبل الأرض لا يبعد الله دارها"[٢] وفي جواب صلاح الدين "يقبل الأرض حيث تضع الملائكة بها الأجنحة"[٣] ثم يتمثل ببيت لتميم بن المعز لدين الله الفاطمي[٤]:

وإني بتقبيل لك الأرض والثرى على كل من فاخرته لفخور

كما وردت بين يدي إزجاء التحية للشيخ تاج الدين المليحي في رسالة السبكي إلى القيراطي يقول "والمملوك يقبل الأرض بين يدي الشيخ الإمام الخطيب تاج الدين المليحي"[٥] ووردت في أثناء رسالة القيراطي حين استأنف الكلام بعقب قصيدة طويلة يقول: "المملوك يرجو بعد تقبيل الأرض"[٦].

ومن الألفاظ التي يكثر دورانها في هذه الرسائل لفظة "المملوك"[٧] التي يطلقها صاحب الرسالة على نفسه، من مثل: "وسيدنا يعلم أن المملوك بارتياحه لذكركم معذور" "وإنما أصدرها المملوك تعللا" "المملوك يرجو بعد تقبيل الأرض" فقد وردت هذه الكلمة في رسالة القيراطي ستا وعشرين مرة[٨]، وفي رسالة تاج الدين أربع مرات، وفي جوابه إلى القيراطي ثلاث مرات[٩] كما يلاحظ أن كلمة مولانا وسيدي والمملوك يقبل الأرض كانت أيضا من كلمات التأدب في الخطاب،

---

(١) طبقات الشافعية ٣٧٢/٩.
(٢) المصدر السابق ١١/١٠.
(٣) المصدر السابق ٢٥/١٠.
(٤) ديوانه ص ١٤٤ دار الكتب ١٩٥٧.
(٥) طبقات الشافعية ٣٩٨/٩.
(٦) المصدر السابق ٣٨٤/٩.
(٧) المصدر السابق ٣٢٨/٩، ٣٨٤، ٣٤٦.
(٨) المصدر السابق ٣٤٢/٩ مرتين، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٧ مرتين، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥ مرتين، ٣٦٦ ثلاث مرات، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٥ مرتين، ٣٧٦ ثلاث مرات، ٣٧٧، ٣٨٤. ووجدت كلمة المملوك في رسالة لياقوت إلى القفطي صاحب إنباه الرواة وزير صاحب حلب كتبها سنة سبع عشرة وستمائة، معجم الأدباء ٢٣/١.
(٩) ٣٢٦/٩، ٣٢٨، ٣٣٥ مرتين، ٣٩٧، ٣٩٨ من طبقات الشافعية الجزء التاسع.

ولعل الحرص على كلمات التأدب في الخطاب التي تجري على اللسان المصري اليوم أثر من ذلك الإرث من مثل "حضرتك، سيادتك، يابيه ....."

ونلمس في الرسالة التي كتبها تاج الدين السبكي إلى صلاح الدين الصفدي من القاهرة في سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وفي رد صلاح الدين عليها - الخصائص الأسلوبية نفسها التي ألمعنا إليها من قبل في رسائل القيراطي وتاج الدين، يكثر فيها الاستشهاد بالأشعار، والاقتباس من القرآن والشعر والتزام السجع.

ولكي ندلل على التفنن في الاقتباس من القرآن نورد بعض ما جاء في رسالة تاج الدين إلى الصفدي، وقد حشد فيها اقتباسات متوالية:

"وأما زمر الأعداء فكل منهم عبس وتولى[١]، وتبين لولي الأمر أن لمثله يقال نوله ما تولى[٢]. وناديت كلا من زاجري عن حضور هذه المعركة:

ألا أيُّـــها ذا الزاجري أحضر الوغى

أولى لك فأولى[٣]، لقد استولى الحق على عرشه[٤] واستوى ..... وبدا له من بعد ما اندمل الهوى، قوم أشربوا في قلوبهم المنصب فقطع أمعاءهم وأعجبوا بألسنة حداد فضلّعت أعضاءهم. واستكلبوا على اصطياد جارحة فطرحهم قتلى، ورد أهواءهم، لم يرجعوا حتى وقف الهوى، وأهلكهم كل نزاعة للشوى، وقوبل كل أفاك منهم بما نوى، لعب بهم شيطان الحسد، وشد وثاقهم الذي لا يوثق به بحبل من مسد"[٥].

---

(١) سورة عبس الآية (١).

(٢) النساء الآية ١١٥ ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾.

(٣) القيامة الآية ٣٥.

(٤) طه الآية ٥.

(٥) طبقات الشافعية ١٦/١٠ وانظر في الاقتباسات ما جاء في الرسالة نفسها ص ١٤ و١٥ و١٨ و٢٠ والاقتباسات التي أوردناها مأخوذة من الآيات: ﴿وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾ سورة محمد الآية ١٥، ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾ الأحزاب الآية ١٩، ﴿نزاعة للشوى﴾ المعارج ١٦، ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ المسد الآية ٥،

ومن اقتباساته الشعرية قوله:

"..... ولم يخش بحسن ظنه من ذي العرش إقلالا، ولم يصادف إلا من قال له: أهابك إجلالا، ولم يناده كل محب إلا بهكذا هكذا وإلا فلالا، وقال كل أمير أنت الحكم الترضى حكومته هناك هناك وأنشد:

الله أعطاك فضلا من عطيته

وأولاك، وبالغ في البشر، وما كل يبدي البشاشة كائنا أخاك"[١] هو بعض بيت تمامه:

وما كل ما يبدي البشاشة كائنا أخاك إذا لم تلفه لك منجدا

"أهابك إجلالا" مأخوذ من قول مجنون بني عامر أو نصيب بن رباح:

أهابك إجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها[٢]

وقوله "هكذا هكذا وإلا فلالا" أخذه من قول المتنبي[٣]:

ذي المعالي فليعلون من تعالي هكذا هكذا وإلا فلا لا

وقوله "أنت الحكم الترضى حكومته" أخذه من قول الفرزدق:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولاالأصيل ولاذي الرأي والجدل[٤]

ومقدمة الطبقات التي صاغها تاج الدين بأسلوب يظهر براعته في التفنن في صياغة الكلم، والبراعة في الاقتباس من الأشعار تعطينا شاهدا آخر على ذوقه الرفيع في الاختيار وعلى شيوع الخصائص الفنية التي ألمعنا إليها من قبل في كتابة العصر.

== ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ البقرة الآية ٩٣.

(١) طبقات الشافعية ١٥/١٠ والبيت في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٦٩/١.

(٢) ديوان المجنون ٧١، ونسبه العيني إلى نصيب بن رباح، انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٤١/١ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١٤ ٧ القاهرة ١٣٨٥ – ١٩٦٥.

(٣) شرح ديوان المتنبي ٢٥٤/٣، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، بيروت د. ت.

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١٧/١ لابن هشام ٣ ٧ القاهرة ١٣٦٨-١٩٤٩.

وقد أورد تاج الدين في مقدمته أشعارا جمة منها أبيات حميد بن ثور الرائعة التي يذكر فيها الحمامة، وهو يقول في المقدمة[١]: "فلقد اشتمل على بحر زاخر من غرائب المسائل، وقدر وافر من عجائب الأقوال والأوجه والدلائل، وغيث هامع من العلم تتقاصر عنه الأنوا، وغدير جامع تلقى عنده الدلا، وينشده الأذكيا:

يا أيها المائح دلوي دونكا ... إني رأيت الناس يحمدونكا[٢]

وجانب عظيم من المباحث القواطع، والقواعد التي شامخ الأنف لديها خاضع، والفوائد التي تُنْشِدُ تحقيقاتها المحققين إذا أشارت إليها بالأكف الأصابع[٣]

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع[٤]

إيه، وطرف جزيل من الطرف، وباب واسع من الأدب الذي من وقف عليه من الأدباء وقف، وهاجه شوق وتوق وأسف وأنشد[٥]:

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ ... دعت ساقَ حُرٍّ تَرْحَةً وترنُّما[٦]

مُطوّقةٌ خَطْباءُ تَسجَعُ كُلَّما ... دنا الصيفُ وانْجابَ الربيعُ فأنْجما[٧]

من الوُرقِ حَمَّاءُ العِلاطيْنِ باكرتْ ... عسيبَ أشاءٍ مَطْلِعَ الشمسِ أسْحَما[٨]

---

(١) طبقات الشافعية ٢٠٦/١ وما بعدها.

(٢) البيت في لسان العرب مادة ميح ٦٠٩/٢ لابن منظور بيروت ١٣٧٤-١٩٥٥، والميح في الاستقاء أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها، وقد نسب العيني البيت لجارية من بني مازن، انظر حاشية الصبان على الأشموني ٢٠٦/٣ وروايته ورواية اللسان: إني رأيت الناس.

(٣) البيت للفرزدق ديوانه ٥١٩، جمعه عبد الله الصاوي ط١ القاهرية ١٩٣٦.

(٤) البيت للفرزدق ديوانه ٥٢٠.

(٥) طبقات الشافعية ٢١٠/١ وانظر ديوان حميد بن ثور ص ٢٤-٢٧، صنعه عبد العزيز الميمني – دار الكتب، القاهرة ١٣٧١-١٩٥١.

(٦) ساق حر: ذكر القماري، لأن حكاية صوته ساق حر، القاموس "ساق" ٢٥٥/٣.

(٧) أنجم: أقلع، القاموس "نجم" ١٨١/٤.

(٨) العلاطان: صفحتا العنق، ومن الحمامة طوقها، القاموس "علط" ٣٨٨/٢
العسيب: جريدة من النخل دقيقة يكشط خوصها، القاموس "عسب" ١٠٨/١
الأشاء: صغار النخل، القاموس: باب الهمزة فصل الهمزة.

إذا زَعْزَعَتْـهُ الريـحُ أو لَعِبـتْ بـهِ ... تغنَّـتْ عليـه مـائلاً ومُقَوَّمـا
تُبـاري حمـامَ الجَلْـهتيْنِ وترْعَـوي ... إلى ابـن ثـلاثٍ بيـن عُوديـن أعْجَمَـا
مُحـلاَّة طـوقٍ لـم يكـن مـن تميمـةٍ ... ولا ضـرْب صـوّاغ بكفَّيْـهِ درْهَمـا
تـروحُ عليـه والـهاً ثـم تَغْتَـدي ... مُولَّهـةً تبغِـي لـه الدهـرَ مَطْعَمـا
تُؤمِّـلُ فيـه مُؤنسـاً لانْفرادهـا ... وتبْكـي عليـه إنْ زَقَـا أو ترَنَّمـا
كـأنَّ علـى أشـداقهِ نـورَ حَنْـوَةٍ ... إذا هـو مَـدَّ الجيـدَ منـه ليطْعَمـا[1]
فلما اكتسى الوبـلُ السُّخامَ ولـم تجـدْ ... لها معه فـي سـاحةِ العيـش مرْتِمـا[2]
تنحَّـتْ قريبـاً فـوق غصـنٍ تداءَيَـتْ ... بـه الريـحُ صرْفـاً أيَّ وجـهٍ تيمَّمـا[3]
فأهوى لـهـا صقـرٌ مُسـفٌّ فلـم يـدعْ ... لـها ولـداً إلا رمامـاً وأعظُمـا[4]
ووافت على غصـنٍ ضُحَيـاً فلـم تـدعْ ... لنائحـةٍ فـي نوحِـها مُتَلوَّمـا
عجبـتُ لـها أنَّـى يكـون غناؤُهـا ... فصيحـاً ولـم تَفْغَـرْ بمنطِقِـها فمـا
فلـم أرَ مثلـي شـاقَهُ صـوتُ مثلـها ... ولا عربيـاً شَـاقَه صـوتُ أعجمـا

ونخلص من استعراض هذه الرسائل التي دارت بين تاج الدين وبعض معاصريه إلى أنها لم تخرج عن أغراض الرسائل الإخوانية التي كتب فيها القاضي الفاضل وابن عبد الظاهر وابن الأثير أظهر خصائصها الزينة اللفظية، فقد التزم فيها السجع، وغلب عليها الجناس والاقتباس من القرآن والشعر ولم تخل من الاستخدام وتبين لنا التزام ألفاظ بعينها في الفاتحة وفي أسلوب التوجيه فعبارة "يقبل الأرض" لا

---

(١) حنوة: نبات سهلي، القاموس "حنى" ٣٢٢/٤.
(٢) الوبل: الثقيل يعني الفرخ، السخام: الريش اللين تحت ريش الطائر
مرتما: يقال ما زال راتما: يعني مقيما، مرتم: مقام، القاموس "رتم" ١١٨/٤.
(٣) الدأب: العادة ويحرك: السوق الشديد والطرد، القاموس "دأب" ٦٦/١.
(٤) أسف الطائر: دنا من الأرض في طيرانه، والسحابة دنت من الأرض ومنه قول عبيد ابن الأبرص وينسب لأوس بن حجر:

دان مسف فويق الأرض هيدبه ... يكـاد يلمسه من قام بالـراح

انظر في أسف، القاموس "السفيف" ١٥٧/٣ وانظر البيت في لسان العرب مادة "هدب" ٧٨٠/١ ط بيروت ١٩٥٥.

تكاد تخلو منها فاتحة رسالة وتتردد كلمة "المملوك" يطلقها صاحب الرسالة على نفسه وما يشبهها من ألفاظ التأدب والتودد في الخطاب كسيدي، ومولانا. وبهذا يميط تاج الدين اللثام عن خصائص فن من فنون الكتابة وأغراضها في القرن الثامن الهجري.

ب- الشعر التعليمي:

فن ينظمه الشعراء لتسهيل حفظ العلوم فلا يند شيء منها عن الحافظة. عرف هذا الفن عند اليونانيين من قديم فقد نظم شاعرهم "هزيود" من شعراء القرن الثامن قبل الميلاد قصائد أراد بها تقييد تاريخ آلهتهم وأحاديثهم، كما نظم قصيدة تعرف بالأعمال والأيام بين فيها فصول السنة وما يلائمها من ضروب الزراعة وما يحتاج إليه الزراع من أداة وجهد وفن[1] وعرف - أيضا - عند الهنود فقد نظموا قواعد الرياضة والفلك. أما نشأته في الشعر العربي فيرجعها الدكتور هدارة إلى القرن الثاني الهجري لأن نشأته إنما تقترن باتساع المعارف وازدياد الإقبال على العلم والتعلم ولم يحدث هذا الاتساع في المعارف إلا في القرن الثاني الهجري[2] وإذا كان لا بد من وجود تأثير أجنبي في نشأة الشعر التعليمي في الشعر العربي، ولم يكن هذا الشعر قد نشأ باتساع العلوم وإحساس المعلمين والمتعلمين إلى نوع من التأليف يسهل حفظ المعلومات، فالأدب الهندي أولى بهذا التأثير في نشأة هذا الفن ذلك لأن اتصال العرب بالأدب الهندي كان أوثق من اتصالهم بالأدب اليوناني لأن الأدب

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٥٥ د. محمد مصطفى هدارة الطبعة الثانية - دار المعرفة - ١٩٦٩، وانظر حديث الأربعاء ٢/٢٢٠ د. طه حسين - دار المعارف - مصر ١٩٥٧.

(٢) الاتجاهات ص ٣٥٤.

الهندي أقرب إلى الطبيعة العربية بما فيه من أساطير وأسماء، ثم إن علوم الهند التي كانت متقدمة فيها أو تنفرد بها مثل الفلك والحساب وغيرهما كانت سببا في توثيق العلاقة بين الثقافتين العربية والهندية، هذا بالإضافة إلى تأثير الشعراء المولدين الذين هم من أصل هندي[١]. ويعد شوقي ضيف أراجيز رؤبة بن العجاج متونا لغوية ومن ثم فهي بداية الشعر التعليمي وبهذا يكون الشعر التعليمي - في رأيه - نشأ نشأة عربية خالصة في أواخر الدولة الأموية[٢]، ويرى الدكتور هدارة أنها ليست شعرا تعليميا بالمعنى المفهوم من الشعر التعليمي، ذلك لأنها وضعت من أجل علماء اللغة ليلتقطوا منها ما لا يعرفون من الغريب، والشعر التعليمي يتجه إلى المتعلمين ليسهل عليهم حفظ المعارف والعلوم.[٣]

ومن أجل هذا المقصد من الشعر التعليمي وهو تسهيل حفظ العلوم - نجد أن القرن الثامن الهجري - وهو القرن الذي شمر فيه العلماء لإحياء ما درس من ميراث الأمة العلمي - أنسب بظروفه التي ألمعنا إليها من قبل لازدهار هذا الفن التعليمي، ذلك أن هذه المعارف والعلوم التي بذل العلماء جهدا في جمعها وتدوينها بعد نكبة العلم في بغداد على أيدي التتار - تستلزم وسيلة تيسر إشاعتها بين المتعلمين وتعين على حفظها، ومن ثم نشطت حركة الشعر التعليمي كما نلمس ذلك من خلال كتاب طبقات الشافعية، فقد أورد تاج الدين في طبقاته قدرا كبيرا من هذا الفن في مختلف فروع العلم: في العقائد والفقه والخلاف والحديث والنحو والصرف واللغة، وأورد كذلك فتاوى وأسئلة.

يروي تاج الدين عن شيخه أبي حيان بأنه أفاده أن أبا الحسن بن أبي عبد

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٥٥.

(٢) التطور والتجديد في الشعر الأموي ص ٣٥٤ د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ١٩٦٥ - ويقول د. طه حسين: إن أبان بن عبد الحميد ابتكر في الأدب العربي فنا لم يتعاطه أحد من قبله وهو فن الشعر التعليمي، انظر حديث الأربعاء ٢/٢٢٠.

(٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٥٧.

الله بن حازم، كان نحويا أديبا بارعا، شاعرا مفلقا، امتدح بعض خلفاء العرب الذين ملكوا مدينة تونس بقصيدة طنانة ضمنها علم النحو، ثم يورد مختارات من هذه القصيدة في أبواب من النحو العربي ومزج المدح بالنحو على هذا النحو يعد أمرا محدثا. فقد كانت القصائد من قبل توقف كلها للناحية التعليمية. كألفية ابن مالك وألفية ابن معطي، يقول أبو الحسن في القصيدة في مدح الخليفة[1]:

مُـرْدِي العـداة بسـهمٍ مـن عزائمـِـهِ ... كأنَّـه كوكـبٌ للقَـذْفِ قـد رَجَمَـا
أدامَ قـولَ نعـم حتَّـى إذا اطَّـرَدَتْ ... نُعماهُ من غَـيْرِ وَعْـدٍ لـم يَقُـلْ نَعَمَـا

ومنها، من باب المتعدي لاثنين:

فبابُ أعطـى كَسَـا منـه ومنـه سَـقَى ... كمـا تقـولُ: سـقاكَ اللهُ صَـوْبَ سَـمَا
ومنـه أوْلَـى وآتَـى مِثْـلَ قولِـهِمُ ... أولاكَ ربِّـي نعيـمَ العَيْـشِ والنِّعَمَـا

ومنها، من باب كان وأخواتها:

تقولُ مـا زِلـتَ مِفْضـالا ومـا بَرِحَـتْ ... مِنكَ السَّـجايا تُوالِـي الجُـودَ والكَرَمـا

ومنها، من باب الاستثناء:

والقـولُ فـي بـابِ الاسْـتِثْناءِ مُتَّسـعٌ ... وقـد يُخـالفُ فيـه جِلَّـةُ الزَّعمَـا
وقـد تَبَلَّـهَ قَـومٌ فيـه لا سِـيَمَا ... من عَـدَّ بَلْـهَ فـي الاسـتِثْنا ولاسِـيَما

ومنها:

والعُـرْبُ قـد تَحـذِفُ الأخبـارَ بَعْـدَ إذا ... إذا عَنَـتْ فَجـأةَ الأمـرِ الـذي دَهَمَـا
وربَّمـا نَصَبُـوا بالحـالِ بعـد إذا ... وربّمـا رَفَعُـوا مـن بَعْدِهـا رُبَمـا
فـإن تَلاهـا ضمـيرانِ اكْتَسَـى بِـهِمَا ... وَجْـهُ الحقيقَـةِ مـن إشـكاله غَمَمـا

وهكذا يستعرض منها أبياتا في أبواب النحو المختلفة وفيها يعرض للمناظرة

---

(1) القصيدة في طبقات الشافعية ٢٩٤/٩ ـ ٢٩٨.

المشهورة بين سيبويه والكسائي في المسألة المعروفة عند النحاة بالمسألة الزنبورية - يقول:

لَـذاكَ أعْيَـتْ علـى الأفـهامِ مِسْـألةٌ ... أهـدتْ إلـى سـيبويهِ الـهَمَّ والغُمَمَـا
قـد كـانت العقـربُ العَوجـاءُ أحْسَـبُها ... قِدْمـاً أشـدَّ مـن الزُّنْبُـورِ وَقْـعَ حُمَـا
وفي الجواب عليـها هَـلْ إذا هُـوَ هِـي ... أو هَـلْ إذا هـو إيَّاهـا قَـدِ اخْتُصِمَـا
وخطَّـأ ابـنُ زِيـادٍ وابـنُ حمـزَةَ فـي ... ما قـالَ فيـها أبـا بِشْـرٍ وقـد ظَلَمـا

ويقدم السبكي توضيحا وشرحا للقضايا النحوية التي تعرضت لها الأبيات[1] ثم يورد قصيدة لابن نباتة أخذ فيها أكثر أبيات "ملحة الإعراب" للحريري فضمنها وجعلها قصيدة امتدح بها تقي الدين السبكي والد تاج الدين وفيها يقول[2]:

صرَّفـتُ فِعْلِـي فـي الأسَـى وقَوْلِـي ... بحمـدِ ذي الطَّـوْلِ الشـديدِ الحَـوْلِ
يـا لائمـاً ملامُـهُ يَطُـولُ ... اسـمَعْ هُديـتَ الرُّشْـدَ مـا أقـولُ
كلامَـكَ الفاسِـدَ لسـتُ اتَّبِـعْ ... حَـدُّ الكـلامِ مـا أفـادَ المُسـتَمِعُ
أفـدِي غَـزالاً مَثَّلُـوا جَمالَـهْ ... فـي مِثْـلِ قَـدْ أقْبَلَـتِ الغَزالَـهْ

ومنها:

لا يَخْتَشِـي تلاعُـبَ الظُّنُـونِ ... والأمْـرُ مَبْنِـيٌّ علـى السُّـكُونِ

ومنها أيضا:

فـلا تَلُـمْ عُويشِـقاً فِيـهِ تَلَـفْ ... ولا سُـكَيْرانَ الـذي لا ينصَـرِفْ
لا تَلْـحَ قَلبِـي فـي الـهَوَى فتَتَعَبَـا ... ومـا عليـك عَتْبُـهُ فَتُعْتَبَـا
جِسْـمِي وذاك الخَصْـرُ والجَفْـنُ الدَّنِـفْ ... هُـنَّ حُـروفُ الاعتِـلالِ المُكْتَنِـفْ

ونلحظ أنه مزج في الأبيات بين القواعد النحوية والمعاني الغزلية وبعد أن

---

(١) طبقات الشافعية ٢٩٨/٩ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ٣٠٠/٩ انظر القصيدة من ص ٣٠٠ - ٣٠٧.

ساق كثيرا من القواعد النحوية خلص إلى المدح بقوله:

هيهاتَ بل دَعْ عنك ما أضْنَى وما ... وعاص أسبابَ الهَوَى لِتَسْلَمَا
وحَبِّرِ الأمداحَ في عليٍّ ... قاضِي القُضاةِ الطاهرِ النَّقِيِّ

وفي التصريف يورد تاج الدين أرجوزة "لمعة الإشراق في أمثلة الاشتقاق" التي نظمها أبوه الشيخ تقي الدين، وقد جاء في متن الطبقات من النسخة المحققة بيتان من فاتحتها، ثم أورد المحققان في الهامش الأرجوزة وذكرا أن المصنف أوردهما بتمامهما في النسخة التي رمزا لها بـ (ت) منها:[1]

يقول راجي الله ذي الألطافِ ... حقًّا عليٌّ بنُ عبد الكافي
من بَعْدِ حَمْدِ الله والصلاةِ ... على النَّبيِّ دائمَ الأوقاتِ
أمثلة المُشتَقِّ خُذْها مُتْقِنا ... حرَّرتُها لمن يكون لَقِنا
وأصلُها حركةٌ وحرفُ ... يُزادُ أو يُنقص ليس خُلْفُ
مَثَّلتُها بحالفٍ وفَهِمِ ... وصَهِلٍ سَفْرٍ كذاك فافهَمِ

وفي علم الحديث يروي تاج الدين بإسناد عن الشيخ الإمام الحافظ الزاهد شهاب الدين أبي العباس أحمد بن فرح قصيدة غزلية ضمنها أنواع الحديث ودرجاته، ولعله قصد بإيراد هذه المصطلحات على صورة غزل تسهيل حفظها لخفتها وطرافتها يقول فيها:[2]

غَرامِي (صحيحٌ) والرَّجا فيك (مُعْضَلُ) ... وحُزْنِي ودمعي (مُرْسَلٌ ومُسَلْسَلُ)
وصَبْرِي عنكم يشْهدُ العقلُ أنه ... (ضعيفٌ ومتروكٌ) وذُلِّيَ أَجْمَلُ
ولا (حَسَنٌ) إلا سَماعُ حَدِيثكم ... مُشافَهةً يُمْلَى عليَّ فأنْقُلُ
وأمْرِيَ (مَوقوفٌ) عليك وليس لي ... على أحدٍ إلا عليك المُعَوَّلُ
ولو كان (مَرفوعا) إليك لكنتَ لي ... على رَغْمِ عُذَّالي تَرِقُّ وتَعْدِلُ

---

(١) انظر الأرجوزة في طبقات الشافعية ١٠/١٨٦ هامش ٤.
(٢) المصدر السابق ٨/٢٧ وما بعدها.

وعَـذْلُ عَذُولِـي (مُنْكَـرٌ) لا أُسِـيغُه (وزُورٌ وتَدْلِيـسٌ) يُـرَدُّ ويُـهمَلُ

ويعلق عليها السبكي بقولـه: "وهـذه قصيـدة بليغـة جامعـة لغـالب أنـواع الحديث"[١] وفي الفقه يذكر تاج الدين في ترجمة أبيه الشيخ تقي الديـن ترجيحات أبيه الفقهية[٢] ثم يقول: "ولما وقف الشيخ الإمام الأديب الماهر بدر الدين الحسن ابن عمر بن الحسن بن حبيب، على هذه الترجمة، ورأى هذه الترجيحات، انتخـب من الترجمة أماكن نمقها وضم إليها نفائس من ألفاظه التي يسامى الرياض رونقها وعرضها على فوجدتـها مشتملة من نظمه ونثره على السحر الحلال، ورأيتها أروى لكبد الظامئ من الماء الزلال، وقلت لـه: لم لا نظمت هذه الترجيحات في قصيدة تحفظ، وخرطت نظام هذه المسائل في سلك يحرس ألفاظه أن تلفظ" فقال على أي زنة تريد، وعلى أي قافية يبتغيها المستفيد؟ فقلت: وكان قد اختتم الترجمة التي أنشأها بأبيات جيمية امتدحني فيها: دونك قافية الجيم. فما كان بعد ليال إلا وقد وافى بعروس يجتليها ذو اللب ويجتنيها"[٣] ويـورد تاج الدين القصيدة التي يستهلها ناظمها بقوله:[٤]

الحمـــدُ لله الـــذي برســـولِهِ خيرِ الوَرَى عَنَّـــا نفـــى حَـــرَبَ الحَـــرَجْ
هـذا مقـالُ الشـيخِ فيمـــا اختـــاره رأيـاً حبـاه ربُّنـــا أعلـــى الـــدَّرَجْ
أعنـي تقـيَّ الدِّيـنِ قَـــوَّامَ الدُّجَـــى الحـاكِمَ السُّـــبْكيَّ خـــوَّاضَ اللُّجَـــجْ

ومنها:

في آخِرِ الوقتِ اجتَـــهِدْ فـي قتـلِ مَـنْ تركَ الصـــلاةَ فحظُّـه يحكـي البَسَـجْ[*]

---

(١) طبقات الشافعية ٢٩/٨.
(٢) المصدر السابق ٢٢٦/١٠ ـ ٢٥٨.
(٣) المصدر السابق ٢٥٩/١٠ وما بعدها.
(٤) انظر القصيدة في المصدر نفسه ٢٦٠/١٠.
(*) ما له معنى في كلام العرب بل تركيب مفقود ويقول المحققان لعل مراد الشاعر أن حظ تارك الصلاة من الخير مفقود كما أن البسج لا وجود له في كلام العرب انظر هامش (٥) من ص ٢٦٠ المصدر نفسه

وهذا يوضح لنا اهتمام تاج الدين بهذا الفن التعليمي الذي روى قدرا كبيرا منه في طبقاته، وشارك فيه ناظما ومشيرا على غيره بالنظم، ذلك لتحفظ المعلومات وتحرس من أن تلفظ. فقد نظم تاج الدين قصيدة في العقيدة ضمنها مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية، وضم إليها مسائل اختلفت الأشاعرة فيها، وأوردها في كتابه ليستفيد القارئ منها مسائل الخلاف وما اشتملت عليه كما ذكر، يقول في مطلعها[١]:

الـوَرْدُ خَـدُّك صِيـغَ مـن إنسـانِ ... أم فـي الخُـدودِ شـقائقُ النُّعْمـانِ
والسـيفُ لَحظُـك سُـلَّ مـن أجفانِـهِ ... فسـطا كمِثْـلِ مُـهَنَّدٍ وسِـنانِ

ومنها:

قـد أنـزلَ القـرآنَ وهـو كلامُـهُ ... لَفَظَـتْ بـه للقـارئِ الشَّـفَتانِ
وإلـهُنا لا شـيءَ يُشـبهُهُ ولَيـ ... ـسَ بمُشـبِهٍ شـيئاً مـن الحِدْثـانِ
قـد كـان مـا معـه قديمـاً قـطُّ مِـن ... شـيءٍ ولـم يـبرَحْ بـلا أعـوانِ

أوردها وخللها بتعليقات على مسائل العقيدة. كما أورد - أيضا - أرجوزة في قواعد العقائد نظمها الشيخ محمد بن هبة الله بن مكي للسلطان صلاح الدين يقول في خطبتها[٢]:

فـهذه قواعـدُ العقـائدِ ... ذكـرتُ فيـها مُعظـمَ المقـاصدِ

ومنها

حكيـتُ منـها أعـدلَ المذاهـبِ ... لأنـه أشـهى مـرادِ الطـالبِ
جمعتُـها للملـكِ الأميـنِ ... النـاصرِ الغـازي صـلاحِ الديـنِ

---

(١) انظر القصيدة في طبقات الشافعية ٣/٣٧٩ ـ ٣٨٩.
(٢) المصدر السابق ٧/٢٣ وما بعدها.

ويصفها تاج الدين بأنه حسنة جدا ونافعة[١].

وفي أسماء الشجاج ونعتها أورد تاج الدين أبيات قاضي القضاة علاء الدين القونوي، وهذا أمر يهم القضاة في أحكامهم ففيها تحديد لأنواع الجروح ونعوتها يقول فيها[٢]:

إذا رُمْتَ إحصاءَ الشِّجاجِ فَهاكَها ... مُفَسَّرةً أسماؤُها مُتواليَهْ
فحارِصةٌ إن شقَّتِ الجِلْدَ ثم ما ... أسالتْ دماً وهي المُسمَّاةُ داميَهْ
وباضعةٌ ما تَقْطَعُ اللَّحْمَ والَّتي ... لها الغوصُ فِيهِ للتي مَرَّ تاليَهْ
وتلكَ لها وصفُ التَّلاحُمِ ثابتٌ ... وما بَعْدَها السِّمحاقُ فافْهَمْه واعِيَهْ
وقُلْ ذاكَ ما أفْضَى إلى الجِلْدَةِ التي ... تكونُ وراء اللَّحْمِ للعَظْمِ غاشِيَهْ
ومُوضِحَةٌ ما أوْضَحَ العَظْمَ بادياً ... وهاشِمةٌ بالكَسْرِ للعَظْمِ ناعِيَهْ
ومن بَعْدِها ما يَنقُلُ العَظْمَ واسمُها ... مُنَقِّلةٌ ثم التي هي آتِيَهْ
فمأْمُومَةٌ أمَّتْ من الرَّأسِ أمَّةً ... وقد بقِيتْ أُخرَى بها العَشْرُ وافِيَهْ

وكذلك نجد أبياتا في أسماء الولائم[٣] من وليمة سفر وختان وغيرها، وأبياتا في شروط الكفاءة[٤] في الزواج. وفي اللغة يورد تاج الدين قصيدة بهاء الدين السبكي التي كتب بها إلى أخيه جمال الدين لما درس بالمدرسة الشامية البرانية[٥]:

هنيئاً قد أقرَّ اللهُ عيني ... فلا رَمَتِ العِدَى أهلِي بعيني

ومنها

وقد وافى المُبشِّرُ لي فأكرِمْ ... بخيرِ ربيئةٍ وافَى وعَيْنِ
يُخبِّرني بأنَّ أخي أتاهُ ... مُناهُ وسَعْدُهُ من كُلِّ عَيْنِ

---

(١) طبقات الشافعية ٢٣/٧.
(٢) انظر القصيدة في المصدر السابق ١٣٥/١٠ ـ ١٣٦.
(٣) المصدر السابق ١٢٧/١٠.
(٤) المصدر السابق ٤٣١/٩.
(٥) المصدر السابق ٤١٦/٩.

فلـو سَـمَح الزمـانُ لكنـتُ أُعطِـي ... لـه مـا فيـه مـن وَرِقٍ وعَيْـنِ
أيـا شـاميّةَ الشـامِ افتخـاراً ... بمَـن لِسـناهُ تَعْشُـو كـلُّ عَيْـنِ
بمَـنْ بركاتُـه ظَـهَرتْ فنـارَتْ ... بـها الدنيـا وحَفَّـتْ كُـلَّ عَيْـنِ
فتًـى إن عُـدَّت الأعيـانُ قـالتْ ... لـه الأيـامُ إنّـك أنـتَ عَيْنِـي
وحَـبْرُكُمُ حَـوَى مِـن بَحْـرِ عِلـمٍ ... يُـروِّى الطـالبين بطُـولِ عَيْـنِ
ويُلْقِـي فـي العُلـومِ لكُـلِّ وفـدٍ ... غزيـرَ فوائـدٍ كغديـرِ عَيْـنِ

أشار إلى هذه القصيدة المُرتضى في تاج العروس حيث قال: "العين أوصل معانيها الشيخ بهاء الدين – في قصيدة له عينية مدح بها أخاه الشيخ جمال الدين الحسين، إلى خمسة وثلاثين معنى"[١].

وفي التاريخ أورد قصيدة[٢] تقي الدين أبي الفتح السبكي التي ضمنها أسماء الخلفاء من لدن أبي بكر رضي الله عنه إلى آخر خلافة العباسيين. وربما استعان الفقهاء في نصرة آرائهم الفقهية بنظمها شعرا، لأن ذلك أدعى لسيرورتها وشيوعها بين الناس فعل ذلك أبو بكر العبسي وكان فقيها أديبا لا يرى جواز "طلاق التنافي" ولا مسألة "العينة" وشدد في إنكارهما، ونظم قصيدتين فيهما، فاشتهرتا واستهوتا كثيرا من الناس. ويروي السبكي أبياتا من القصيدتين[٣] يقول في طلاق التنافي:

طلاقُ التّنـافي قـد نَفَـى الحـقَّ طـاهرٌ ... وإنـي لـه واللهُ يشـهدُ لـي أنفـى
إذا طلَّـق الـزوجُ المُكلَّـفُ زوجَـه ... وليـس بمجبـورٍ ثلاثـا فقـدْ أوفـى
وليسـت حـلالاً دُونَ تَنكِـحُ غـيرَه ... بشـرطِ كتـاب الله مـا قلتُـه حيفـا

---

(١) تاج العروس، فصل العين من باب النون ص ٢٨٧، الزبيدي تحقيق محب الدين أبي الفيض، الطبعة الأولى، مصر ١٣٠٦ هـ.

(٢) طبقات الشافعية ١٧٢/٩ وقد أورد للحصكفي أنه جمع أسماء القراء السبعة في بيت والأئمة الستة في بيت، انظر طبقات الشافعية ٣٣٠/٧ كما روى أن محمد بن عبد المحسن قد نظم "العبادلة" في أبيات، انظر في ذلك طبقات الشافعية ١٦٦/٩.

(٣) طبقات الشافعية ١١٦/٧ - ١١٨.

نُصحِّـحُ شَـــرْطَ اللهِ دُونَ اشـــتراطِكُمْ ونَنْفيـه نفيـا ثـم نَصْرِفـــه صَرْفـــا
فكلُّ اشتراطٍ ليـــس فـــي الشـرع بـاطلٌ وشـرطُ كتـابِ اللهِ حـقٌ فـلا يَخْفَـــى
ولاينتفـي حكـــمُ الطـــلاقِ بحيلـــةٍ وحيلتُكـم فيـه أحَـــقٌ بـــأن تُنْفَـــى

ومن قصيدته في إبطال العينة:

الحـقُّ أضحـى غريبـاً ليـس يُفْتقـــدُ فكلُّ مـــن قالـه فـي النـاس يُضطَـهَدُ
لا يقبل النـاسُ قـولَ الحـقِّ مـن أحـدٍ حتـى يمـوتَ ويفنـى الكِـبْرُ والحسـدُ

ونستطيع أن نفهم من ذلك أن الفن التعليمي لم يقتصر على نشر المعلومات وتيسير حفظها ولكنه نحا أيضا نحو نصرة الآراء الفقهية.

فتاوى وأسئلة شعرية:

هذا لون طريف ساق تاج الدين نتفا منه في كتابه الطبقات، ولعل اهتمامه بهذا اللون نابع من تكوينه الفقهي فالفقه مستراد الفتاوى والأسئلة. ونابع أيضا من طرافة هذه الفتاوى الشعرية وردودها، والطرافة مقصد من مقاصد تاج الدين فيما ساقه ورواه في كتابه من أدبيات، وهذا يطرد مع ما رسمه لكتابه من خطة ومنهج بحيث يجد الأديب فيه بغيته والفقيه طلبته. ولا أعرف كاتبا أفسح في كتابه لهذا اللون مثل ما أفسح تاج الدين.

أ_ يروي تاج الدين بسنده – ويحافظ على الإسناد بين يدي الطرائف التي يرويها ويبين درجات التحمل وقد ألمعنا من قبل أنه لم يخلها من أسانيد كما فعل الجاحظ وغيره فيما يروونه للتسلية والترفيه[1] – يروي بسنده إلى معن بن عيسى قال: جاء ابن سرحون السلمي إلى مالك بن أنس وأنا عنده، وقال له: يا أبا عبد الله، إني قد قلت أبياتا من شعر ذكرتك فيها، فأنا أحب أن تجعلني في سعة، فقال له الإمام مالك: وأنت في حل مما ذكرتني به، وتغير وجهه، فظن أنه هجاه، فقال له: إني

---

(1) انظر منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢٣٥ ـ ٢٥٣.

أحب أن تسمعها، فقال له مالك: فأنشدني، فقال[١]:

سلوا مالك المفتي عن اللهو والصِّبا ... وحبِّ الحسان المعجبات الفَوارِكِ
يُنبِّئكمُ أنَّى مصيبٌ وإنما ... أسلى هموم النفس عني بذلك
فهل في محب يكتم الحب والهوى ... أثام وهل في ضمة المتهالك

قال الراوي: فسري عن مالك، وضحك." ولم يرد في الرواية أن مالكا أجاب بجواب معين، مثل ما فعل الإمام الشافعي فيما يرويه تاج الدين بسنده أن الربيع بن سليمان قال: "كنت عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فقرأها ووقع فيها، فمضى الرجل وتبعته إلى باب المسجد، فقلت: والله لا تفوتني فتيا الشافعي فأخذت الرقعة من يده فوجدت فيها:

سلِ المُفْتِيَ المكِّيَّ هل في تَزاوُرٍ ... وضَمَّةِ مُشتاقِ الفُؤادِ جُناحُ

فإذا قد وقع الشافعي:

فقلتُ معَاذَ اللهِ أن يُذهِبَ التُّقَى ... تلاصُقُ أكبادٍ بهنَّ جِراحُ

فأنكر الربيع على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا، فقلت يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب! فقال لي: يا أبا محمد، هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر - يعني شهر رمضان - وهو حدث السن، فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطء، فأفتيته بهذا. قال الربيع: فتبعت الشاب، فسألته عن حاله، فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي.[٢]

ويروي تاج الدين أن غلاما حدثا جاء إلى مجلس الشيخ الإمام أبي محمد البافي، وبيده رقعة رفعها إليه فقرأها مبتسما وأجاب عنها، وكان فيها:

عاشق خاطر حتى اسلب المعشوق قبله

---

(١) طبقات الشافعية ١/٢٦٧.
(٢) المصدر السابق ١/٣٠٣ وما بعدها.

أفتنـــــا لا زلـــــت تفتـــــي هـــل يبيـــح الشـــرع قتلـــه

فأجابه:

أيُّـــها الســـائلُ عمَّـــا لا يُبيـــحُ الشـــرعُ فعلَـــهْ
قبلـــهُ العاشـــق للمعـــ شـــوقِ لا تُوجـــبُ قَتْلَـــهْ

ويعلق تاج الدين بقوله : "ما أحسن قوله : لا يبيح الشرع فعله" فإنه نبه به على تحريم الفعل خوفا من أن يظن المستفتي إباحته بانتفاء وجوب القتل"[1] ومن مثل ما تقدم استفتاء ابن نباتة لأبى الفتح السبكي حين يقول[2] :

يـا إمامـــاً قـــال المُقلِّـــد والعـــا لِـــمُ فيـــه بواجـــبِ التَّفضيـــلِ
ما علـــى عاشـــقٍ يقـــولُ علـــى حُكْـــ مِ التَّـــداوي بـــالضَّم والتَّقْبيـــلِ
وافـــرِ الدِّيـــن مَـــعْ بِسِـــيطِ اقتـــدارٍ حَـــذرٍ مـــن عقـــابِ يـــومٍ طويـــلِ
لا كمَـــنْ دأبُـــه بمَحْبُوبـــه النَّحـــ ـــوُ فمـــن فـــاعلٍ ومِـــن مَفْعـــولِ

فأجابه بعدة أبيات أثنى فيها عليه بقوله:

وجوابُ الـــهَوَى التَّســـامُحُ فـــي الأمـــ ـــرِ فقـــلْ إن أجبـــتَ بالتَّســـهيلِ
إن مـــن يدَّعِـــي الغَـــرامَ بظَبـــي صـــادَ أهـــلَ الـــهَوَى بطَـــرْفٍ كحيـــلِ
قـــد أســـال الدُّمُـــوعَ منـــه عِـــذارُ ســـائلُ فـــي ريـــاضِ خـــدٍّ أســـيلِ
كـــاملٌ قـــدُّهُ بشَـــعْرٍ مَديـــدٍ وافـــرٌ رَدْفُـــهُ بخَصْـــرٍ نَحيـــلِ
لجديـــرٌ بكُـــلِّ عُـــذْرٍ بســـيطٍ فـــي التَّـــداوي بـــالضَّمِّ والتَّقبيـــلِ
مـــا لنـــارِ الـــهَوَى سِـــوَى بَـــرْدِ ريـــقٍ مـــن لَمـــاهُ فيـــه شِـــفاءُ الغَليـــلِ
ولِقَلْـــبٍ يَعتـــادُهُ خفقـــانٌ غَـــيرُ ضَـــمٍّ بـــه دَواءُ العليـــلِ
غُصَّـــةُ الحُـــبِّ لا تُقـــاسُ بشـــيءٍ فلْيُزِلْـــها مِـــن ريقِـــه بشَـــمُولِ
ذا جـــوابُ الغَـــرامِ حَقـــاً وعِنْـــدي مـــا لَـــه غَـــيْرُ صَـــبرِه مـــن ســـبيلِ

---

(١) طبقات الشافعية ٣١٨/٣.
(٢) المصدر السابق ١٨٦/٩ وما بعدها.

وقد أورد في طبقاته الوسطى في ترجمة الوركاني ما لم يورده في ترجمته في الطبقات الكبرى - من فتاويه الشعرية وهما في موضوع اللثم والتقبيل والعشق - كتب إليه أبو المعالي محمد بن مسعود يقول[1]:

ماذا يقول إمامُ الناسِ قاطبةً ... في عاشقٍ لثَم المعشوقَ هل أثِما
متيَّمٌ في هواه قد أنافَ به ... على الرَّدَى الحبُّ والمعشوقُ قد سَلِما
قد عفَّ في حُبِّه عن كل معصيةٍ ... وكفَّ مستعصما عن كلِّ ما حَرُما
هل يأثمان بلثْمٍ يَعبثانِ به ... ليطفئا لهباً في القلب مضطرما

فأجابه:

شريعةُ العشق تأبى إثم من لَثَما ... معشوقَه وتُريه ذاك مُغْتَنَما
والصَبُّ سُمِّيَ صباً من بليَّته ... وصَبَّ موموقُه بالشوقِ منه دما
ومن تعاطى حراماً في هواه أتى ... بالفسق لا العشق لكن صَحَّف الكَلِما
وما إخال لهيب الوجد يُطْفِئه ... تقبيلُه بل إذا التقبيل عَزَّ نَما
هذا جوابُ الذي استفتيت فيه فخُذْ ... فقد أتاك كسِمْطِ الدُرِّ مُبتسما

ونلحظ أن الفتاوى المتقدمة التي أوردها تاج الدين كلها تتعلق بقضايا العشاق فيما يريدون من لبانات الهوى، ونلحظ أن ردود الفقهاء جاءت شعرا وفي هدوء، فلم تتضمن زجرا ولا زبرا، فكأن تاج الدين السبكي يريد أن يقول إن الفقهاء استمعوا للفتاوى الشعرية، وردوا عليها شعرا، ولم ينكروا على أصحابها مجرد السؤال عن ذلك مع أن أغلب السائلين لم يقصدوا بها إلا الدعابة فجاءت ردود الفقهاء طريفة خفيفة. ومع ذلك لم تخالف حكما شرعيا أو نصا من نصوص الدين بل إن الشيخ أبا الفتح كان شاعرا في رده أكثر منه فقيها، فبعد حديث طويل عن التسامح هو جواب الهوى وبعد وصف العذار والخد والقد والشعر يقول في حسن تخلص:

ذا جواب الغرام حقا وعندي ... ما له غير صبره من سبيل

---

[1] طبقات الشافعية ٦٧/٧ انظر هامش التحقيق.

فقد تلطف في الرد على ابن نباتة فيما يرومه من التداوي بالضم والتقبيل، ولا أحسب أن ابن نباتة - الذي يقول عنه ابن حجر إنه آخر من حدث بالسماع عن بهاء الدين بن النحاس وعبد الرحيم بن الدميري، وأجاز له العز الحراني والفخر بن البخاري وزينب بنت مكي وغيرهم من العلماء[١] - لا يعرف هذه المعلومة الفقهية البسيطة وهي حكم الضم والتقبيل في الحال التي وصفها. وأغلب الظن أنه أراد بسؤاله الطرافة واللهو على ديدن الشعراء، وهذا أمر أشكل بطبيعة الشعر والشعراء، لذلك فصل له أبو الفتح جواب الغرام وما يريده الشعراء ثم تخلص بالبيت الأخير:

ذا جواب الغرام حقا وعندي ... ما له غير صبره من سبيل

ويكشف لنا كتاب "الطبقات" شيوع الفتوى المنظومة في القرن الثامن سؤالا وجوابا. فقد احتفى تاج الدين بهذا الجانب وأكثر من تقصيه في فروع أخرى من العلم، فأورد أسئلة وأجوبتها في البلاغة والنحو والفقه مثل:

ب_ سؤال عن ألفاظ القرآن يتعلق بناحية بلاغية والسائل الأديب صلاح الدين والمسئول جمال الدين السبكي، يقول الصفدي[٢]:

فكَّرتُ والقرآنُ فيه عجائبٌ ... بهرت لِمنْ أمسَى له مُتَدبِّرا
في هلْ أتى لِمْ ذا أتَى يا شاكراً ... حتى إذا قال الكفُور تغيَّرا
فالشكرُ فاعله أتى في قِلَّةٍ ... والكفرُ فاعِلُه أتى مُسْتَكْثِرا
فعلامَ ما جاآ بلَفْظٍ واحدٍ ... إن التَّوازنَ في البدِيعِ تَقَرَّرا
لكنَّها حِكَمٌ يراها كلُّ ذي ... لُبٍّ وما كانت حديثاً يُفْتَرَى

فأجابه من أبيات:

---

(١) الدرر الكامنة ٢١٦/٤.
(٢) طبقات الشافعية ٤١٣/٩.

وجوابُــه إن الكفــورَ ولــو أتَــى ... بقليــلِ كُفْــرٍ كــان ذاك مُكَــثَّرا
بخِـلافِ مـن شَـكَرَ الإلـهَ فإنَّـه ... بكثـيرِ شُـكْرٍ لا يُعَـدُّ مُكَـثِّرا
فـإذنْ مُراعـاةُ التَّـوازنِ هاهنـا ... مَحْظُـورَةٌ لِمَـن اهتَـدَى وتَفكَّـرا

وكتب القاضي صلاح الدين الصفدي أيضا سؤالا إلى الشيخ تقي الدين أبي الفتح السبكي يقول فيه[1]:

تقـرر أن فَعَّـالا فَعُـولا ... مُبالَغتـان فـي اسـمِ الفاعِلِيَّـهْ
فكيـف تقـولُ فيمـا صَـحَّ مِنْـهُ ... ومـا اللهُ بظَـلاَّمِ البَرِيَّـهْ
أيُعْطِـي القـولُ إن فكَّـرتَ فيـهِ ... سِـوى نَفْـيِ المُبالغـةِ القَوِيَّـه
وكيـف إذا توضأنـا بمـاء ... طـهور وهـو رأي الشـافعيه
أزلنـا الوصـفَ عنـه بفَـرْدِ فِعْـلٍ ... وذلـك خِـلافُ قَـوْلِ المالكيَّـه

فأجابه بأبيات منها:

ومـن جـاء الحـروبَ بـلا سـلاحٍ ... كمَـنْ عَقَـد الصـلاةَ بغـيرِ نيَّـه
فظـلاَّمٌ كفـرَّارٍ وأيضـاً ... فقـد يـأتِي بمعْنَـى الظالميَّـه
وقـد يُنْفَـى القَليـلُ لِقِلَّـةٍ فـي ... فوائـدِه بنَفْـيِ الأكثَرِيَّـهْ
وقـد يُنْحَـى بـه التكثـيرُ قَصْـداً ... لكـثرة مـن يُضـامُ مـن البَرِيَّـهْ
وأمَّـا قولُـه مـاءٌ طَـهُورٌ ... ونُصْرَتُـه لقـولِ المالكيَّـهْ
فجـاء علـى مُبالغـةٍ فَعُـولٌ ... وسـاغَ مَجيئُـه للفاعِلِيَّـهْ
وقـد يُنْحـى بـه التَّكثـيرُ قَصْـداً ... لكـثرةِ مـن يَـرُومُ الطاهِرِيَّـهْ

ويورد تاج الدين إجابة شعرية لوالده عن سؤال ورد عليه في السماع: أيُّما أحلُّ هو أو الغيبةُ؟ فأجاب بأبيات منها[2]:

---

(١) طبقات الشافعية ١٧٧/٩ وما بعدها.
(٢) طبقات الشافعية ١٨٢/١٠ ويروي أبياتا عن أبيه في مدلول (لو) انظر المصدر السابق ٢٧٩/١٠، ٢٨٠.

يـا صـاحبَ الأحـوالِ والزَّفـرات ... والذِّكْـرِ والتَّسْـبيحِ فـي الخَلَـواتِ
أمَّـا اغتيـابُ النَّـاسِ فـهوَ مُحَـرَّمٌ ... قَطْعـاً بنَـصِّ اللهِ فـي الحُجُـراتِ
فحـذارِ منـه حـذارِ لا تعـدِلْ بـه ... لَـهْواً بـه نَـوْعٌ مـن الشُّـبُهاتِ

ولما كان السؤال والجواب وسيلة من وسائل التعلم وزيادة المعرفة فهما بهذا المفهوم شعر تعليمي بل نحو جديد في الشعر التعليمي احتفى به تاج الدين وضمنه طبقاته.

وفي باب السؤال والجواب استقصى تاج الدين إجابات علماء العصر الذين انبروا للرد على سؤال أراد به السائل الطعن على الشريعة، يقول تاج الدين: "ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة، وكتم اسمه وجعله على لسان بعض أهل الذمة، ويقال إن هذا الناظم هو ابن البَقَقِيّ الذي ثبت عليه أقوال تدل على الزندقة وقتل بسيف الشرع الشريف في ولاية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد القشيري، وكان مقصد هذا السائل الطعن على الشريعة"[1] والسؤال[2] هو:

أيـا عُلمـاءَ الدِّيـن ذِمِّـيُّ دِينِكُـمْ ... تحـيَّرَ دُلُّـوهُ بـأوضَحِ حُجَّـةِ
إذا مـا قَضَـى ربِّـي بكُفْـري بزَعْمِكُـم ... ولم يَرْضَـهُ منِّـي فمـا وجـهُ حِيلَتـي
الأبيـات ....

وقد اشتملت ردود العلماء على معلومات في العقيدة وأدلتها تدخل في باب التعليم. ويلخص تاج الدين جواب أهل السنة فيقول: "خلاصته: أن الواجب الرضا بالتقدير لا بالمقدور، وكل تقدير يرضى به لكونه من قبل الحق. ثم المقدور ينقسم: إلى ما يجب الرضا به، كالإيمان، وإلى ما يحرم الرضا به ويكون الرضا به كفرا، إلى غير ذلك. وقد أخذ أهل العصر هذا الجواب فنظموه على طبقاتهم في النظم،

---

(١) طبقات الشافعية ٣٥٢/١٠ و٣٥٣.
(٢) انظر الأبيات في المصدر السابق ٣٥٢/١٠.

والكل مشتركون في جواب واحد، ونحن نسوق ما حضرنا من الأجوبة"[١]

منها جواب الشيخ علاء الدين الباجي[٢]:

أيا عالماً أبدى دَلائلَ حَيرةٍ ... يرُومُ اهتداءً من أُهَيْلِ فَضيلةِ
لقد سرَّني أن كنتَ للحقِّ طالباً ... عَسى نفحةٌ للحقِّ من سُحْبِ رَحمةِ
فبالحقِّ نَيلُ الحقِّ فالجأْ لبابِه ... كأهلِ النُّهى واترُكْ حبائلَ حيلتي
الأبيات ....

وجواب الشيخ تقي الدين بن تيمية[٣]:

فقولك لي قد شاءَ مثلُ سؤالِ من ... يقولُ فلِمْ قد كان في الأزَليَّةِ
وذاك سؤالٌ يُبطِلُ العقلُ وَجْهَهُ ... وتحريمهُ قد جاءَ في كلِّ شِرعةِ

ومنها:

وقولُك لِمْ شاء الإلهُ هو الذي ... أضلَّ عقولَ الخَلْق في قَعْر حُفْرةِ
فإن المجُوسَ القائلينَ بخالقِ ... لنفعٍ ورَبٍّ مُبْدِعٍ للمَضَرَّةِ
سُؤالُهُمُ عن عِلهِ السِّرِّ أوقعتْ ... أوائلَهُم في شُبْهةِ الثَّنَويَّةِ
وإن ملاحيدَ الفلاسفةِ الأُلى ... يقولون بالعقلِ القديمِ لِعِلَّةِ
بَغَوْا عِلَّةً للكونِ بعدَ انعدامِهِ ... فلم يَجِدُوا ذاكُمْ فَضَلُّوا بِضَلَّةِ
الأبيات ....

وجواب الأديب ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر[٤]:

سألتَ ولم تُعربْ وكمْ من مَباحثٍ ... جرتْ من أُهيلِ العِلم في ذي الحَقيقةِ

---

(١) طبقات الشافعية ٣٥٤/١٠.
(٢) المصدر السابق ٣٥٣/١٠، الباجي إمام الأصوليين في زمانه، أخذ عنه تقي الدين والد تاج الدين السبكي، كان بينه وبين النووي صداقة وصحبة، توفي سنة أربع عشرة وسبعمائة، ترجمته في طبقات الشافعية ٣٣٩/١٠ وما بعدها.
(٣) المصدر السابق ٣٥٤/١٠ ـ ٣٥٧.
(٤) المصدر السابق ٣٥٧/١٠ هو الأديب شافع بن علي العسقلاني المصري كان كاتبا شاعرا مؤرخا، توفي سنة ثلاثين وسبعمائة، انظر ترجمته في الدرر الكامنة ١٨٤/٢.

وما أنت يا ذِمِّيُّ مُبتَكِرٌ كما ... توهَّمتَهُ مِن دونِ ماضِي البَرِيَّةِ
نعم كلُّ شيءٍ كائنٌ بقضائِه ... وتقديرِهِ حَتْماً بأوضحِ حُجَّةِ
الأبيات ....

وجواب الشيخ شمس الدين بن اللَّبَّان[1]:

وكونُك ترضَى بالشقاءِ شقاوَةً ... لأنَّك لا تدري القضاءَ بأيَّةِ
وآيتُه أن تُخْلِيَ القَلْبَ من هَوًى ... وتَرْضَى بإيمانٍ صحيحِ العَقيدةِ
وتَرْضَى بما يَرْضَى الإلهُ وبالذي ... قضاهُ وتُلغِي حَيْرةً بعدَ حَيْرةِ
الأبيات ....

وجواب الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد الطوسي[2] وهو جواب استغرق بضع صفحات:

فيا أيُّها الذِّمِّي هل أنت عارفٌ ... بكُفْرِك حَتْماً عند أهلِ الشَّريعةِ
لتحكُمَ أن اللهَ بالكُفرِ قاضِياً ... ولم يَرْضَهُ حاشاه في كُلِّ مِلَّةِ
إذا كان قاضي الكُفرِ في بَدْءِ خَلقِهِ ... فليس له تغييرُ حكمِ الإرادةِ

ومما تقدم نخلص إلى أن كتاب الطبقات احتفى بالشعر التعليمي وهذا نابع من تكوين الشيخ تاج الدين الفقهي، فهو فقيه ومدرس، ونابع أيضا من طبيعة العصر الذي ألف فيه كتاب الطبقات، فهو عصر إحياء للعلوم وجمعها وتدوينها. ومن ثم أعان على اهتمام تاج الدين بهذه الناحية التعليمية. فأورد أشعارا في موضوعات شتى من المعارف والعلوم، وخص الفتاوى والأسئلة بعناية كبيرة فأورد منها شيئا كثيرا، وهي وسيلة من وسائل التعليم، كما اتضح لنا استخدام الشعر التعليمي في نصرة الآراء

---

(١) طبقات الشافعية ٣٥٧/١٠ ـ ٣٥٩ القصيدة، وهو الشيخ شمس الدين بن اللبان صحب في التصوف ياقوت صاحب أبي العباس المرسي بالإسكندرية وكان ابن اللبان فقيها أصوليا بارعا توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة. ترجمته في الطبقات ٩٤/٩.

(٢) المصدر السابق ٣٥٩/١٠ ـ ٣٦٦.

الفقهية، وفي نفي شبهات الطاعنين[١] في الشريعة أما احتفاؤه بتلك الفتاوى التي تدور حول حكم الضم والتقبيل فقد أوردها تاج الدين بقصد التسلية، وهذا أمر يطرد مع ما رسمه من منهج لكتابه، ورمى بإيرادها ضمنا إلى أن الفقهاء استمعوا للشعر بقبول وإن كان فتاوى في لبانات العشق والهوى، وردوا عليها وهذا يدخل في تجليته لموقف الإسلام من الشعر.

ج- المعارضات:

المعارضة تعقب المتأخر للمتقدم، ونظره فيما قال، ومحاولة الغلبة والفوز بالتجويد والزيادة والإحسان[٢]. ولعل أول ما أثر في هذا الباب ما يروى عن علقمة بن عبدة وامرئ القيس. يقول صاحب الشعر والشعراء عن علقمة الفحل" وسمي بذلك - أي بالفحل - لأنه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أم جندب لتحكم بينهما، فقالت: قولا شعرا تصفان فيه الخيل علي روى واحد وقافية واحدة فقال امرؤ القيس[٣]

خليليَّ مرا بي على أمِّ جُنْدُبِ ... لنقضيَ حاجاتِ الفؤادِ المُعذَّبِ

وقال علقمة[٤]:

ذهبتَ من الهجران في كلِّ مذهبِ ... ولم يك حقا كلُّ هذا التجنُّبِ

ثم أنشداها جميعا، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال وكيف ذلك، قالت: لأنك قلت:

---

(١) انظر في ذلك طبقات الشافعية ٣٥٢/١٠ ـ ٣٦٦.

(٢) في النقد الأدبي عند العرب ص ٧٠ د. محمد طاهر درويش دار المعارف مصر ١٩٧٩.

(٣) انظر القصيدة في ديوانه ١٢٥ ـ ١٥٢ الأعلم الشنتمري صححه ابن أبي شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤.

(٤) انظر القصيدة في ديوانه ص ١٣٣ مجموعة الخمسة دواوين، المطبعة الوهبية القاهرة ١٢٩٣ هـ.

فللســـوطِ ألُـــهوبٌ وللســـــاق درَّة وللزجـرِ منـــه وقـــعُ أخْـرَجَ مُـــهذِبِ

فجهدت فرسك بسوطه، ومريته بساقك، وقال علقمة:

فأدركـــهن ثانيـــا مـــن عنانـــــه يمـــر كمـــر الرائـــح المتحلـــب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه، ولم يضربه بسوطه لا مراه بساق ولا زجره. قال: ما هو بأشعر مني ولكنك له وامق فطلقها"[١] وذكر صاحب اللسان أن ما جرى بين علقمة وامرئ القيس معارضة[٢].

ويقول أحد الباحثين: "إذا جاز لنا أن نحكم في بدء المعارضات بوجود القصيدة والقصيدتين أو نحوهما فإننا نستطيع أن نقول إن المعارضات بدأت حقيقة في العصر الأموي"[٣] ويستدل على ذلك بفائية الفرزدق التي نظمها حين تحداه أحد فتيان المدينة أن يقول مثل ما قال حسان بن ثابت في ميميته التي مطلعها[٤]:

ألـــم تســـألِ الربـــعَ الجديـــدَ التّكَلُّمـــا بمَدْفَـــعِ أشـــداخٍ ببُرقـــةِ أظلمـــا

فقال الفرزدق[٥]:

وبـــالله لـــولا أن تقولـــوا تكـــاثرتْ علينـــا تميـــمٌ ظـــالمين وأســـرفوا

ثم أورد معارضة لطرفة بن العبد ومعارضة الأخطل لكعب بن زهير في لاميته المعروفة[٦] وإني أرى أن مسألة الكم من حيث القلة أو الكثرة لا وزن لها في تحديد بدء المعارضات، فما دامت المعارضة قد تمت صورتها - كما أشرنا من قبل - فيما

---

(١) الشعر والشعراء ٢١٨/١ وما بعدها.
(٢) لسان العرب: مادة فحل ٥١٨/١١.
(٣) المعارضات في الشعر العربي ص ٥٦ وما بعدها د. محمد بن سعد، الرياض، ١٩٨٠.
(٤) ديوان حسان ص ٩٦ اعتنى بتصحيحه محمد أفندي شكري، مصر مطبعة الإمام ١٣٢١.
(٥) شرح ديوان الفرزدق ٥٥٨/٢ أولها:
إذا اغبر آفاق السماء وكشفت كسور بيوت الحي حمراء حرجف
(٦) المعارضات في الشعر العربي ص ٦٢.

جرى بين امرئ القيس وعلقمة، نستطيع أن نقول إن هذه بدايتها ثم كثر هذا اللون وشاع خلال العصور اللاحقة.

وفي المعارضة - أيضا - قصد مجاراة ما اشتهر من القصائد[١] ويحمل على ذلك الإعجاب بها، ثم محاولة مضاهاتها والإتيان بمثلها أو أحسن منها. ولكي يبرز المعارض براعته الفنية ينظم قصيدته على وزن وقافية القصيدة التي يعارضها ذلك لتكتمل أركان التفوق في المعاني وفي الصياغة وفي الموسيقى.

يوضح لنا تاج الدين السبكي في طبقاته أن هدف المعارضة التفوق والظهور على السابق، يقول بعد الإشارة إلى معارضة بعض معاصري ابن نباتة له في قصيدته التي مدح بها ابن الزملكاني: "حاول أدباء عصره معارضته فما أحسنوا صنعه بل كل قصر ولم يلحق وتأخر وما جاء بحق"[٢] وقد أورد تاج الدين قصيدة ابن نباتة بطولها في مدح ابن الزملكاني[٣]:

قضى وما قُضيتْ منكم لُباناتُ ... مُتيَّمٌ عبثتْ فيه الصَّبابـاتُ

ما فاض من جَفنِه يومَ الرحيلِ دَمٌ ... إلا وفي قلبِهِ منكم جِراحاتُ

أحبابنا كلُّ عضو في محبتكم ... كليمُ وجدٍ فهل للوصلِ ميقاتُ

غِبتُمْ فغابتْ مسراتُ القلوبِ فما ... أنتم بَرغمي ولا تلك المسراتُ

يا حبذا في الصِّبا عنكم بقاءُ هوى ... وفي بُرُوقِ الغضا منكم إنابـاتُ

وحبذا زمنُ اللهو الذي انقرضتْ ... أوقاتُه الغُرُّ والأعوامُ ساعاتُ

أيامَ ما شَعَرَ البينُ المُشِتُّ بنا ... ولا خَلَتْ من مغاني الأُنسِ أبياتُ

حيث الشبابُ قضاياه مُنفَّذة ... وحيث لي في الذي أهوى ولاياتُ

وربَّ حانةِ خمَّار طرقتُ بها ... حانتْ ولا طُرِقت للقَصفِ حاناتُ

سبقتُ قاصدَ مغناها وكنتُ فتىً ... إلى المُدام له بالسَّبق عاداتُ

---

(١) كمقصورة ابن دريد، ودالية الحصري، وبردة البوصيري.

(٢) طبقات الشافعية ٢٠٠/٩.

(٣) المصدر السابق ١٩٣/٩ ـ ٢٠٠، ديوانه ص ٦٧ - ٧١ ط التمدن ١٣٢٣ هـ.

أعشو إلى دَيْرِهـا الأقصـى وقـد لَمَعـتْ تحـت الدجـى فكـأنَّ الدَيْـرَ مِشـكاةُ

يقول تاج الدين "وأنشدني شمس الدين محمد بن يوسف، المعروف بالخياط[١] الشاعر، قصيدته التي عارض بها هذه القصيدة، فقلت كيف رضي بن الزملكاني بهذه عراضا لتلك، فقال: أنا أنكرت على ابن نباتة تغزله ونسيبه اللذين جاء بهما على هذا الوجه وهو يمتدح عالما من علماء المسلمين[٢]، وكان من قوله[٣]:

ما شان مدحـي لكـم ذكـرُ المُـدام ولا أضحت جوامـعُ لفظـي وهـي حانـاتُ
ولا طرقـتُ حمـى خَمَّـارة سـحراً ولا اكتستْ لـي بكـأسِ الـراح راحـاتُ
وإنَّمـا أُسْـكِرُ الجُـلاَّس مـن أدبٍ يـدورُ منـه علـى الأكيـاس كاسـاتُ
عن منظرِ الروضِ يُغنيني القريـضُ وعـن رَقْـصِ الزجاجـاتِ تُلـهيني الحـرازات
عشوتُ منـها إلـى نـور الكمـال ولـم يـدُرْ علـى خـاطري دَيْـرٌ ومِشـكاةُ

وواضح أن الخياط حاول أن يغض من شأن قصيدة ابن نباتة من جهة أنه تغزل وذكر الخمر في مقدمة قصيدة مدح بها عالما من علماء المسلمين، ولم يكن لهذا الذي قاله الخياط أي وزن عند تاج الدين ولم يغض من شأن الأبيات في نظره، لأنه أعرف بطبيعة الشعر وأن الشاعر قد يجري على سنن الماضين في التغزل بين يدي مديحه فهو يعلق بعد إيراده كلام الخياط وأبياته بقوله: "ومن أراد من أهل هذه المائة أن يلحق ابن نباتة في نظم أو نثر أو خط، فقد أراد المحال وحاول ما لا

---

(١) الدمشقي الحنفي المشهور بالضفدع، مولده سنة ثلاث وتسعين وستمائة مدح أعيان الدماشقة ثم دخل الديار المصرية فمدح أعيانها، وأورد ابن حجر خبر معارضته لتائية ابن نباتة، وتعريضه به وروي عن الصفدي أنه قال: كان قد تسلط على ابن نباتة كلما نظم شيئا عارضه فيه وناقضه، بتصرف عن الدرر الكامنة ٣٠١/٤.

(٢) وهو القاضي كمال الدين بن الزملكاني درس بالشامية البرانية والرواحية وغيرهما وولي قضاء حلب وله كتاب في تفضيل البشر على الملك وشرح من منهاج النووي قطعا متفرقة، مولده سنة سبع وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وعشرين وسبعمائة ببلبيس بمصر طبقات الشافعية ١٩٠/٩.

(٣) المصدر السابق ٢٠٠/٩.

يصير بحال"[١].

ثم يستحضر تاج الدين ما قيل في نفس البحر والقافية من شعر فيقول: "ويعجبني على هذا الوزن والروى، وإن لم يلحق ابن نباتة في الصنع البهي، قول ابن الدواليبي[٢] متأخر من العراق[٣]:

كم قد صفتْ لقُلُوبِ القوم أوقاتُ ... وكم تقضَّت لهم بالليل لذَّاتُ
والليلُ دَسْكَرَةُ العُشَّاقِ يَجْمَعُهم ... ذكرُ الحبيب وصِرْفُ الدَّمعِ كاساتُ
ماتوا فأحياهُمُ إحياءُ لَيلِهِمُ ... ومن سِواهُمْ أناسٌ بالكَرَى ماتوا
لمَّا تجلَّى لَهُمْ والحُجْبُ قد رُفِعَتْ ... تَهتَّكُوا وصَبَتْ منهُمْ صباباتُ

وواضح أن الأبيات من الشعر الصوفي، فموضوعها يختلف عن موضوع قصيدة ابن نباتة ولعل اختلاف الموضوع هو الذي جعل تاج الدين يتحرى الدقة في التعليق فيقول: "ويعجبني على هذا الوزن والروى وإن لم يلحق ابن نباتة في الصنع البهي"[٤] لأن اختلاف الموضوع - في رأيي - يخل بأركان المعارضة، لذلك لم يسم صنيع البغدادي معارضة. وإنما قال: "ويعجبني على هذا الوزن والروى ....." وكلمة "الصنع البهي" يقصد بها المباني دون المعاني.

ويرى صاحب كتاب المعارضات في الشعر العربي "أنه لا بد من التقاء النصين "المحتذي والمحتذى" في الوزن والقافية، وليس من المفروض التقاؤهما في الموضوع وإن كان الغالب اتحادهما فيه أيضا"[٥] وأرى أن النصين إذا لم يلتقيا في الموضوع فقد افترقا، ولا سبيل إلى وصف المتأخر بأنه معارض، فالاتحاد في

---

(١) طبقات الشافعية ٢٠١/٩.
(٢) هو محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن البغدادي الحنبلي ويعرف بابن الخراط انتهى إليه علو الإسناد ببغداد توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، الدرر الكامنة ٢٧/٤.
(٣) طبقات الشافعية ٢٠١/٩.
(٤) .طبقات الشافعية ٢٠١/٩.
(٥) المعارضات في الشعر العربي ص ٣٠.

الموضوع يحقق مفهوم المعارضة، ولبيان ذلك، نفرض أن شاعرا احتذى الخنساء وزنا وقافية في مرثية من مراثيها في أخيها صخر، ثم جعل موضوع شعره غزلا أو وصفا، فهل نستطيع أن نسمي هذا العمل معارضة؟ ويقول الباحث: "والغالب أن المحتذي لا بد أن يتوخى في نظمه ألا يقصر دون المحتذى، بل يعمل على أن يزيد عليه ويتفوق في صوره وأخيلته ومعانيه، وذلك لأنه مقلد أو متابع، ومن المفروض في من يحاكي سابقا أن يتفوق عليه لكون الأول قد فتح له الطريق ومهده"[١]

والأمر - في رأيي - ليس كما ذهب إليه الباحث بقوله "..... ومن المفروض فيمن يحاكي سابقا أن يتفوق عليه ..." فالمقلد متوكئ على من يقلده. وهو كالمتشبع بما ليس فيه، وقد يوهم بالصنعة في ألفاظه بالتفوق، ولكنه سيقصر عنه - لا محالة - في صدق التجربة الشعورية، وفرق بين الأصالة والتقليد، هذا إذا كان المتقدم أصيلا في تجربته غير متكلف و متعسف أنشأ قصيدته نتيجة شعور انقدح في وجدانه، وصدر فيها عن صدق معاناة. أما المقلد فمثله مثل الزنبور الذي حاكى النحلة في صنع الخلايا ثم سألته النحلة قائلة: هذه الخلايا ولكن أين العسل؟

وقد تشذ حالات في المعارضة لا يكون مجرد الدافع إليها سبق المتقدم وإظهار البراعة والتفوق عليه. منها - في رأيي - نونية شوقي الأندلسية وسينيته فقد امتزج فيهما شعور الحنين إلى وطنه الذي نفي عنه بالحنين إلى أمجاد الأمة الإسلامية فكان من تمام التعبير عن التجربة الصادقة أن ينفث مشاعره في نونية على وزن نونية ابن زيدون[٢] وهو شاعر أندلسي عاصر الحضارة الإسلامية في أوج عظمتها. وفي سينية على وزن سينية البحتري[٣] وهو شاعر عباسي وصف إيوان كسرى

---

(١) المعارضات في الشعر العربي ص ٣٠.

(٢) نونية ابن زيدون المشهورة: أضحى التنائي بديلا عن تدانينا
نونية شوقي مطعلها: يا نائح الطلح أشباه عوادينا

(٣) سينية البحتري: صنت نفسي عما يدنس نفسي
سينية شوقي: اختلاف النهار والليل ينسى

بعد أن أصبحت بلاد كسرى جزءا من بلاد الإسلام. وشوقي شجته "الطلول من عبد شمس" من أيام الدولة الأموية في الأندلس، فامتزجت في حسه مشاعر غربته التي أدت إليها سيطرة المستعمر الذي يحاول أن يفرض حضارته على بلاد الإسلام بمشاعر إحساسه بغربة الحضارة الإسلامية التي غربت شمسها في الأندلس بعد أن دالت دولتها، ومن ثم جاء شعره يتوهج صدقا بعيدا عن التصنع الذي تدفع إليه المعارضة المحضة.

وأيا ما كان فقد أورد تاج الدين في طبقاته قدرا كبيرا من المعارضات، ولم ينس أن يشير إلى ما جاء على الوزن والروى إذا لم يكن معارضة. وسنعرض ما أورده من معارضات:

أ_ في ترجمة صدر الدين بن المرحل يورد تاج الدين أبياتا منتقاة من قصيدة لصاحب الترجمة يقول فيها[١]:

ليذهبوا في مَلامي أيَّةً ذهبوا ... في الخَمرِ لا فضَّةٌ تبقى ولا ذهبُ
والمالُ أجملُ وجهٍ فيه تُنفقه ... وجهٌ جميلٌ وراح في الدجى لَهَبُ
لا تأسفنَّ على مالٍ تُمزِّقه ... أيدي سُقاةِ الطِّلا والخرد العرب

ثم يقول تاج الدين "وأحسبه قصد بهذا القصيد معارضة ابن الخيمي في قصيدته الغزلية التي ادعاها ابن إسرائيل، وهي قصيدة بديعة غراء، مطلعها[٢]:

---

(١) طبقات الشافعية ٢٥٨/٩.

(٢) طبقات الشافعية ٢٥٨/٩، وابن الخيمي هو شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصوفي الفقيه الشاعر مولده سنة اثنتين وستمائة ووفاته سنة خمس وثمانين وستمائة. وابن إسرائيل هو نجم الدين أبو المعالي محمد بن سوار الشيباني الدمشقي المولد والدار والوفاة وكان صوفيا، تداعيا هو وابن الخيمي القصيدة التي أولها:

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب

فأمرهما ابن الفارض بنظم قصيدتين في الروى والقافية، ثم حكم ابن الفارض بالقصيدة لابن الخيمي. والقصيدة التي نظمها باقتراح ابن الفارض:

لله قوم بجرعاء الحمى غيب ... حنوا علي ولما أن جنوا عتبوا

====

يا مَطلبـاً ليـس لـي فـي غـيره أربُ ... إليـك آلَ التَّقضّـي وانْتَـهَى الطَّلَـبُ
ومـا طَمحْـتُ لمَـرْأَى أو لمُسـتَمَعٍ ... إلا لمعنًـى إلـى عَليـاكَ يَنْتَسِـبُ
ومـا أرانـيَ أهـلاً أن تُواصِلَنِـي ... حسـبِي عُلُـوًّا بـأنِّي فيـك مُكتَئِـبُ
لكـن ينـازِعُ شـوقي تـارةً أدبـي ... فـأطلبُ الوصـلَ لمـا يضعُـفُ الأدبُ
ولسـتُ أبـرحُ فـي الحـالينِ ذا قَلَـقٍ ... بـادٍ وشَـوْقٍ لـه فـي أضْلُعِـي لَـهَبُ
ومَدْمَـعٍ كُلَّمـا كَفْكَفْـتُ أدمُعَـهُ ... صَونـاً لذِكـرِكَ يَعْصِينِـي ويَنْسَـكِبُ
ويَدَّعي فـي الـهَوَى دَمْعِـي مُقاسَـمَتِي ... وَجْدِي وحُزْنِـي ويَجْـرِي وهـوَ مُختَضَـبُ
كـالطَّرفِ يزعُـم توحيـدَ الحبيـب ولا ... يـزالُ فـي لَيلِـه للنَّجـمِ يَرْتَقِـبُ

ونراه يقرن الأشباه إلى نظائرها، وفي عبارته تحوط دقيق فهو يقول غير جازم "وأحسبه قصد بهذا القصيد معارضة ابن الخيمي" ذلك لما رأى أن أركان المعارضة قد توفرت في القصيد وإن لم يكن ثمة نص صريح على أنها معارضة.

ب_ ويورد تاج الدين معارضة شيخه أبي حيان لقصيدة كعب بن زهير[1] وقد رتب أبو حيان موضوعاتها على ترتيب الموضوعات في قصيدة كعب بن زهير: فهو يستهلها بالغزل، ثم يصف دابته ثم يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختار تاج الدين أبياتا منها:

لا تعـذِلاه فمـا ذو الحُـبِّ معـذول ... العقـلُ مُخْتَبَـلٌ والقلـبُ متبـولُ
هزَّتْ لـه أسـمراً مـن خُـوطِ قامتِـها ... فمـا انثنـى الصـبُّ إلا وهـوَ مقتـولُ
جميلـةٌ فُصِّـلَ الحسـنُ البديـعُ لـها ... فكـمَّ لـها جُمَـلٌ منـه وتفصيـلُ
فـالنحرُ مَرْمَـرَةٌ والنشـرُ عَنْـبَرَةٌ ... والثغـرُ جَوْهَـرَةٌ والرِّيـقُ معسـولُ
والطـرفُ ذو غَنَـجٍ والعَـرْفُ ذو أرَجٍ ... والخَصْـرُ مُخْتَطَـفٌ والمتـنُ مَجْـدُولُ[2]

== والتي نظمها ابن إسرائيل:
لم يقض من حبكم بعض الذي يجب ... قلب متى ما جرى تذكاركم يجب
انظر في ذلك كله النجوم الزاهرة ٣٦٩/٧ و ٣٧٠.

(١) طبقات الشافعية ٢٨٨/٩.

(٢) مختطف: يقال فلان أخطف الحشا ومخطوفة ضامرة، مادة خطف، القاموس

====

هيفاءُ يَنبِسُ في الخَصْـرِ الوشـاحُ لـها دَرْماءُ يخـرَسُ فـي السـاقِ الخلاخيـل[١]

منها:

جُفْـرٌ حوافِـرُه مُعْـرٌ قوائمـه ضُمْـرٌ أياطلـه والذَّيـلُ عُثْكُـولُ[٢]

ومنها:

فللرسـول انشـقاقُ البـدرِ يشـهدُه كمـا لموسـى انفـلاقُ البحـر منقـول

ولا تخلو الأبيات من تكلف ظاهر وهي دون لامية كعب بكثير.

ج_ وفي ترجمة جمال الدين السبكي يورد قصيدة مدح بها تقي الدين أبو الفتح جمال الدين السبكي يقول فيها[٣]:

هـوىً أغـراه بـي قَلْبِـي وعَيْنِـي فـأذهبَ بـالضَّنَى أثَـرِي وعَيْنِـي
وأضحـى الدَّمْـعُ مُنْحـدرا بخـدِّي ولا عَجَـبٌ تَحـدُّر مـاءِ عَيْنِـي
وسَـهْمُ الحُـبِّ عنـد الوصـلِ مُصْـمٍ فكيـف وقـد أُضِيـفَ لسَـهْم بَيْـنِ

وقصيدة[٤] مدحه بها أخوه بهاء الدين السبكي:

هَنيئـاً قـد أقـرَّ اللهُ عَيْنِـي فـلا رَمَـتِ العِـدَى أهلـي بعَيْـنِ

ويذكر تاج الدين أن الحلى عارض أبا تمام في قصيدته التي مطلعها:

خشـنت عليـه أخـت بنـي خشـين

ويشير تقي الدين في قصيدته إلى قصيدة أبي تمام والحلى فيقول:

== مجدول: محكم الفتل، حسن الطي، القاموس مادة (جدل).

(١) درماء: درم العظم: واراه اللحم حتى لم يبن له حجم. وامرأة درماء لا تستبين كعوبها ومرافقها. القاموس مادة (درم).

(٢) جفر الصبى إذا انتفخ لحمه ـ القاموس مادة (جفر) ومعر الشعر: قل، فهو معر وأمعر. القاموس مادة (معر)، أياطل: جمع إطل وهو الخاصرة، عثكول العذق، القاموس مادة (أطل) و(عثكول).

(٣) طبقات الشافعية ٤١٤/٩.

(٤) طبقات الشافعية ٤١٤/٩.

فخُذْهـــا نَظْـــمَ عبـــدٍ ذي وَلاءٍ تقـــرَّرَ وُدُّه فـــي الخـــافِقَيْنِ
يُقِـرُّ لـــها حبيـــبٌ حِيـــن أبـــدى خَشُـنتِ عليـه أختَ بنـي خُشَـيْنِ
ومنـــها أخجـــلَ الحلِّـــيَّ لَمَّـــا أذاب التِّـــبرَ فـــي كـــأسِ اللُّجَيْـــنِ

فمطلع قصيدة أبي امام:

خشُـنتِ عليـه أختَ بنـي خُشـين وأنجـحَ فيـك قـولُ العـاذلَيْن[١]

ومطلع قصيدة الحلى:

أذاب التِّـبرَ فـي كـأس اللُّجيـن رشـاً بـالراحِ مخضـوبُ اليَدَيْـنِ[٢]

يقول تاج الدين: ولم أجد على هذا الوزن والروى أقدم من أبيات قالها أعرابي قيل له: من لم يتزوج بامرأتين لم يذق حلاوة العيش. فتزوج امرأتين فندم وأنشأ يقول[٣]:

تزوجـتُ اثنتيـنِ لفَـرطِ جـهلي بمـا يَشْـقَى بـه زوجُ اثْنَتَيْـنِ
فقلـتُ أصـيرُ بينـهما خَروفـاً أُنَعَّـمُ بيـنَ أكـرمِ نَعْجَتَيْـنِ
فصِـرتُ كنعجَـةٍ تُضحِـي وتُمْسـي تُـداولُ بيـنَ أخْبَـثِ ذِئبتَيْـنِ
رِضـا هـذي يُـهيِّجُ سُـخْطَ هـذي فمـا أعـرَى مـن إحـدى السُّـخْطَتَيْنِ
وألقـى فـي المعيشـةِ كـلَّ بُـؤسٍ كـذاك الضُّـرُّ بيـنَ الضَّرَّتَيْـنِ
لـهذي ليلـةٌ ولتلـكَ أُخـرَى عتـابٌ دائـمٌ فـي اللَّيلَتَيْـنِ
فـإن أحببـتَ أن تَبقَـى كريمـاً مـنَ الخـيراتِ مملـوءَ اليَدَيْـنِ
وتُـدركَ مُلـكَ ذي يَـزَنٍ وعمـرو وذي جَـدَنٍ ومُلـكَ الخـافِقَيْنِ
ومُلـكَ المُنذِريـن وذي نُـواسٍ وتُبَّـعٍ العَريـمِ وذي رُعَيْـنِ
فعِـشْ عَزَبـاً فـإن لـم تسـتطِعْهُ فضَرْبـاً فـي عِـراضِ الجَحْفَلِيـنِ

---

(١) ديوان أبي تمام ٢٩٧/٣ بشرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف ١٩٦٩ ـ ١٩٧٦.
(٢) ديوان صفي الدين الحلى ص ٣٩١، دار صادر، بيروت ١٣٨٢ ـ ١٩٦٢.
(٣) طبقات الشافعية ٤٢٤/٩.

وتاج الدين حريص على استقصاء ما جاء في البحر والقافية والإشارة إلى أقدم ما ورد على الوزن والروى صنع هذا حين أورد قصيدة حائية للشيخ تقي الدين أبي الفتح يقول فيها[١]:

وافتك عن قُربٍ تباشيرُ الفَرَحْ وأتتكَ مُسرِعةً مباشيرُ المِنَحْ

يقول تاج الدين:

"وهذه قافية حلوة، أول من بلغني نظم فيها عبد الله بن المعتز" حيث يقول:

خلِّ الزمانَ إذا تقاعَسَ أو جَمَحْ واشكُ الهُمُومَ إلى المُدامَةِ والقَدَحْ
واحفظْ فُؤادَك إن شربتَ ثلاثةً واحذرْ عليه أن يَطيرَ من الفَرَحْ[٢]

وقال مهيار[٣]:

ما كان سَهْماً غارَ بل ظبْياً سَنَحْ إن لم يكن قَتَل الفُؤادَ فقد جَرَحْ
في خَدِّه الكافُورِ سُبْحَةُ عَنْبَرٍ ما كان أغفلني الغداةَ عن السُّبَحْ
وأما ومِشيتِه تَوقَّرَ تارةً صَلَفاً وأحياناً يُجَنُّ من المرحْ

وقال ابن سناء الملك يمدح الفاضل:

يا قلبُ ويحكَ إن ظبْيَك قد سَنَحْ فَتَنَحَّ جُهْدَكَ عن مَراتِعِهِ تَسَنَحْ
وأردتُ أعْقِلُهُ ففرَّ مِن الحَشَا طَرَباً وأحْبسُهُ فطارَ من الفَرَحْ
وأتى فظلَّ صَريعَ هذاكَ اللَّمَى عَطَشاً وعاد قتيلَ هاتيكَ المُلَحْ
جَنَحَ الغزالُ إلى قتالِ جوانِحِي فغدوتُ أجنحُ منه لَمَّا أن جَنَحْ
ومن العجائبِ أنه لَمَّا رَمَى بسهامِهِ قَتَلَ الفُؤادَ وما جَرَحْ

---

(١) طبقات الشافعية ١٨١/٩.
(٢) ديوان ابن المعتز ٣٣/٣ تصحيح ب لوين، استانبول مطبعة المعارف ١٩٥٠.
(٣) ديوان مهيار الديلمي، دار الكتب، القاهرة ط ١ ١٣٤٤ ـ ١٩٢٥.

ولَمَـى صقيـل فـي مراشـفِ شـادنٍ لو شـئتُ أمسـحُهُ بلَثْمـي لامْسَـحْ[١]

ثم يورد أبياتا من قصيدة كمال الدين بن النبيه[٢]:

قمْ يا غـلامُ ودَعْ نصيحـةَ مـن نَصَـحْ فالدِّيكُ قـد صَـدَعَ الدُّجَـى لمَّـا صَـدَحْ
خفيـتْ تباشـيرُ الصبـاحِ فأسـقني ما ضلَّ في الظَّلمـاءِ مـن قَـدَحَ القَـدَحْ

ويصفها تاج الدين بأنها قصيدة مشهورة ويورد مطلع قصيدة شهاب الدين التِّلَعْفَرِيّ[٣]:

مـاء الغمامـةِ والمُدامـة والقَـدَحْ وابنُ الحمامةِ فـي الأراكـةِ قـد صَـدَحْ

وينقل لنا تاج الدين معارضة جاءت باقتراح من شيخه أبي حيان فقد اقترح على شعراء العصر قصيدا في الشطرنج على وزن مطلع قصيدة ابن حزمون[٤]:

إليـك إمـامَ العصـر جبـتُ المفـاوِزا وخَلَّفـتُ خَلْفِـي صبيـةً وعَجـائِزا

يقول تاج الدين إن والده الشيخ تقي الدين نظم قصيدا بلغت مائة وخمسة وأربعين بيتا، وعمل فيها الشيخ تقي الدين أبو الفتح قصيدا مطلعه:

بنفسِـي غـزالٌ مـرَّ بـالرَّمْلِ جـائزا فصـيَّر قلبـي فـي المحبـةِ حـائزا
وفَـوَّقَ سَـهْماً مـن لِحـاظِ جُفُونِـه فأصْمَى وما ألقَـى عـن القلـبِ حـاجِزا
تبـدَّى فـأبدى للنَّـداوةِ مَنْظَـراً يَـرُوقُ لِـذِي لُـبٍّ ويكْمِـدُ لامِـزَا

---

(١) الأبيات في ديوان ابن سناء الملك ٥٦ – ٥٩ تحقيق محمد إبراهيم نصر، مراجعة د. حسين نصار، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٩.

(٢) الأديب الشاعر البارع كمال الدين بن النبيه المصري، مدح بني أيوب واتصل بالملك الأشرف موسى، وكتب له الإنشاء، توفي بنصيبين سنة تسع عشرة وستمائة فوات الوفيات ٦٦/٣، الأبيات في ديوانه ٢٦ و٢٧، القاهرة ١٣٧٢ هـ.

(٣) الشهاب التلعفري نسبة إلى التل الأعفر بنواحي الموصل، الأديب الشاعر المفلق صاحب الديوان المشهور، شهاب الدين محمد بن يوسف، مدح الملوك والكبراء، توفي سنة خمس وسبعين وستمائة، شذرات الذهب ٣٤٩/٥ وانظر في هذه الحائيات جميعا طبقات الشافعية ١٨١/٩ – ١٨٥.

(٤) طبقات الشافعية ١٨٥/٩.

وهكذا يجمع لنا تاج الدين قدرا من مادة المعارضة يعين الدارسين في تتبع جانب منها. ويسوق تاج الدين معارضات موضوعها يتصل بموقف الخوارج من علي رضي الله عنه. ويتأتى هذا لتاج الدين بذكر أبيات من شعر ابن المبارك يقول فيها[1]:

إني امـــرؤٌ ليـس فـي ديني لغـامزة ... ليـنٌ ولستُ علـى الإسـلام طعَّانـا
فـلا أسُـبُّ أبـا بكـرٍ ولا عمـراً ... ولـن أسُـبَّ معـاذَ اللهِ عثمانـا
ولا الزُّبـيرَ حـوارِيَّ الرسـولِ ولا ... أهـدِي لطلحـةَ شـتماً عـزَّ أوْ هانـا
ولا أقـولُ علـيٌّ فـي السـحابِ إذاً ... قـد قلـتُ واللهِ ظُلمـاً ثُـمَّ عُدوانـا
ولا أقـول بقـولِ الجَـهْمِ إنَّ لـه ... قـولاً يضـارِعُ أهـلَ الشِّـركِ أحيانـا
ولا أقـولُ تخلَّـى مـن خليفتِـه ... ربُّ العبـادِ وولَّـى الأمـرَ شَـيطانا
مـا قـال فِرعـونُ هـذا فـي تجـبُّرِه ... فرعـونُ موسـى ولا هامـانُ طُغيانـا

وظاهر أن ابن المبارك قد تبرأ من مقالة غلاة الشيعة في الصحابة رضوان الله عليهم، وينص تاج الدين بأن القصيدة طويلة، ويظن ظنا أن ابن المبارك قصد بهذه القصيدة معارضة عمران بن حطان الخارجي في أبياته التي قالها في ابن

---

(١) طبقات الشافعية ٢٨٧/١، هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي كان قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة، شديد الورع، وكان له شعر، انظر نماذج من شعره في الورقة ١٤ – ١٦ وترتيب المدارك ٣٠٥/١ ومن مشاهير شعره:

يـا عـابد الحرميـن لـو أبصرتنـا ... لعلمـت أنـك فـي العبـادة تلعـب
من كـان يخضـب جيـده بدموعـه ... فنحورنـا بدمائنـا تتخضـب
أو كـان يتعـب خيلـه فـي بـاطل ... فخيولنـا يـوم الكريهـة تتعـب
ريـح العبـير لكـم ونحـن عبيرنـا ... رهـج السـنابك والغبـار الأطيـب

الأبيات في طبقات الشافعية ٢٨٦/١ وما بعدها، وكان عبد الله قد غزا فلما انصرف من الغزو وصل إلى هيت فتوفي بها سنة إحدى وقيل اثنتين وثمانين ومائة مولده بمرو سنة ثماني عشرة ومائة، رضي الله عنه. وفيات الأعيان ٣٢/٣ وما بعدها.

ملجم، قاتل علي كرم الله وجهه، وهي هذه[١]:

يـا ضربـةَ مـن كَمِـيٍّ مـا أراد بـهـا ... إلا ليبلُـغَ عنـد الله رِضوانـا

إنـي لأذكـرُه يومـا فأحسِـبُه ... أوفـى البريَّـةِ عنـد اللهِ ميزانـا

الأبيـات ....

ويدعو تاج الدين على قائلها بأن يخزيه الله ويلعنه، ثم يستقصي تاج الدين كالعادة ما قيل في معارضة هذه الأبيات فيروي أبياتا لبكر بن حماد التاهرتي[٢] وهي صريحة في معارضة عمران بن حطان يقول فيها:

قـل لابـن مُلجـم والأقـدارُ غالبـةٌ ... هدمْـتَ ويلـك للإسـلامِ أركانـا

قتلتَ أفضـلَ مـن يمشـي على قـدمٍ ... وأوّلَ النـاسِ إسـلاماً وإيمانـا

وأعلـمَ النّـاسِ بـالقرآنِ ثـم بمـا ... سـنَّ الرسـولُ لنـا شـرعاً وتِبيانـا

صـهرَ النّبـيِّ ومـولاه وناصرَه ... أضحـتْ مناقبُـه نُـوراً وبُرهانـا

وكان منـه علـى رغـمِ الحَسـودِ لـه ... مكانَ هارونَ مـن موسـى بـنِ عِمرانـا

إلى أن يقول:

فـلا عفـى اللهُ عنـه مـا تحمّلـه ... ولا سـقى قـبرَ عِمـرانَ بـنَ حِطّانـا

وممن عارضه القاضي أبو الطيب الطبري بأبيات يقول فيها[٣]:

---

(١) طبقات الشافعية ٢٨٨/١، عمران بن حطان أحد بني شيبان، وكان من الخوارج خطيبهم وشاعرهم اطرده الحجاج فتنقل في القبائل فكان إذا نزل في حي انتسب نسبا يقرب منهم حتى أتى قوما من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات. انظر في أخباره وأشعاره، الكامل للمبرد ١٦٧/٣ وما بعدها.

(٢) طبقات الشافعية ٢٨٨/١.

(٣) طبقات الشافعية ٢٨٩/١، أبو الطيب الطبري تفقه بآمل على الزجاجي وقرأ على أبي سعيد الإسماعيلي وغيره، ثم ارتحل إلى نيسابور وأدرك أبا الحسن الماسرجسي وصحبه، شرح مختصر المزني وصنف في الخلاف والمذهب والأصول والجدل كتبا كثيرة، قال عنه الخطيب البغدادي "كان ورعا عرافا بالأصول والفروع محققا حسن الخلق" توفي عن مائة وسنتين، ولم يختل عقله ولا تغير فهمه يفتي مع الفقهاء ويستدرك عليهم الخطأ، ويقضي يشهد ويحضر المواكب إلى أن مات.

====

إنـي لأبـرأ ممـا أنـت ذاكـرُه ... عـن ابـنِ مُلجَـمِ الملعـونِ بُـهتانا
إنِّـي لأذكـرُه يومـا فألعنُـه ... دينـاً وألعـنُ عِمـرانَ بـنَ حِطَّانـا
عليـكَ ثُـمَّ عليـهِ مِـن جماعتِنـا ... لَعـائنٌ كـثُرتْ سـراً وإعلانـا
فأنتمـا مـن كـلابِ النَّـارِ جـاء بـه ... نَـصُّ الشـريعة إعلانـاً وتِبيانـا

وذكر السبكي أن القاضي الحسين[١] أورد في التعليقة أبيات القاضي أبي الطيب هذه، وفي بعض النسخ: قال قاضي القضاة الذي قاله القاضي أبو الطيب خطأ لأن عمران صحابي ولا تجوز اللعنة عليه. وفي الحاشية: "هذا غلو من قاضي القضاة فكيف لا يلعن عمران. وطول في هذا المعنى. ويعجب السبكي من الاعتراض وجوابه، لأنهما مبنيان على اعتقاد أن عمران صحابي، وما هو بصحابي وإنما هو رجل من الخوارج"[٢] ولا بد لتاج الدين من مثل هذه الوقفات، لأن الأمر يتعلق بسلف الأمة ثم يورد أبيات الإمام أبي المظفر طاهر بن محمد[٣]:

كذبتَ وأيْـمُ الـذي حـجَّ الحجيـجُ لـه ... وقـد ركبـتَ ضـلالاً منـك بُـهتانا
لتلقَيـنَّ بـها نـاراً مُؤجَّجـةً ... يـوم القيامـةِ لا زُلْفَـى ورِضوانـا
تبَّتْ يـداه لقـد خـابتْ وقـد خسِـرتْ ... وصار أبْخَسَ مـن فـي الحشـرِ ميزانـا

ثم يختم حديثه عن هذه المعارضة بأبيات ذكر أن القاضي أبا بكر[٤] قد

== ولي القضاء ببغداد. توفي سنة خمسين وأربعمائة شذرات الذهب ٢٨٤/٣.

(١) هو الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي القاضي المروزي صاحب التعليقة المشهورة يقول عنه السبكي: كان القاضي جبل فقه منيعا صاعدا، تخرج عليه من الأئمة عدد كبير، منهم إمام الحرمين. توفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة. طبقات الشافعية ٣٥٦/٤ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ٢٨٩/١.

(٣) المصدر السابق ٢٩٠/١.

(٤) القاضي أبو بكر الباقلاني البصري المعروف، كان على مذهب أبي الحسن الأشعري سكن بغداد وصنف التصانيف الكثيرة في علم الكلام وغيره. توفي سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد. وفيات الأعيان ٢٦٩/٤.

أوردها في كتابه "مناقب الأئمة" وهي للحِمْيَرِي[١] وأنه نقض بها أبيات عمران بن حطان بقوله:

لا دَرَّ دَرُّ المُـرادِيّ الـذي سـفكتْ كفّاه مهجةَ خيرِ الخلق إنسانا
أصبح ممّا تعاطاه بضَرْبَتِه ممّا عليه ذوو الإسلامِ عُريانا
أبكَى السماءَ لبابٍ كان يَعْمُرُه منها وحنَّتْ عليه الأرضُ تَحْنانا[٢]

ويعرض تاج الدين لمعارضة ميدانها الخلاف حول مسائل تتعلق بالعقيدة بين المعتزلة وأهل السنة، الذي ينتمي إليهم تاج الدين السبكي. فقد أورد في ترجمة الشيخ أحمد بن الحسن الجاربردي بيتين هما[٣]:

عجباً لقومٍ ظالمين تستَّروا بالعَدْلِ ما فيهم لَعمْرِي مَعْرِفَهْ
قد جاءهم من حيثُ لا يَدْرُونه تعطيلُ ذاتِ الله مَعْ نَفْيِ الصِّفَهْ

وذكر أنه عارض بهما الزمخشري في قوله[٤]:

لَجماعةٌ سمَّوا هواهم سُنَّةً وجماعةٌ حُمُرٌ لعَمْرِي مُؤكَفَهْ
قد شَبَّهوه بخلقِهِ وتخوَّفوا شُنَعَ الورى فتستَّروا بالبَلْكَفَهْ

وينقل تاج الدين السبكي أن أهل السنة عابوا بيتي الزمخشري وأكثروا القول في معارضتهما، ويستقصي تاج الدين هذه المعارضات فيورد ست معارضات لها[٥]. من بينها بيتان له، ولم ينسب أغلب ما أورده إلى قائليه بل اكتفى بقوله وقال بعضهم، وقال آخر، وتضمنت الأبيات الرد والتشنيع على المعتزلة، في موضوع رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فأهل السنة يقولون إنهم يرونه بلا كيف، ولا تستلزم

---

(١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، من شعراء الدولة الأموية، كان شاعرا غزلا، محسنا، والسيد من ولده، أخباره في الأغاني ١٠٧/١٧ ط بيروت ١٩٥٥.
(٢) طبقات الشافعية ٢٩٠/١.
(٣) المصدر السابق ٩/٩.
(٤) المصدر السابق ٩/٩.
(٥) المصدر السابق ١٠/٩ – ١٧.

الرؤية جهة ولا مكانا. والمعتزلة رأوا في كلام أهل السنة تشبيها للحق سبحانه وتعالى بخلقه. وحول هذه النقطة دارت هذه المعارضات التي كان محورها بيتي الزمخشري.

ويتضح لنا مما سبق عرضه في هذا القسم، أن تاج الدين السبكي قد وضع بين يدي الدارسين مادة غزيرة من فن المعارضات تعين على تتبع هذا اللون واستجلائه وقد دأب - أحيانا - على استقصاء ما جاء على الوزن والقافية مما لم ينص على أنه معارضة وهو بهذا يفتح الباب للدارسين ليتتبعوا ما كان منها معارضة، وما جاء منها اتفاقا وتوارد خواطر. وتكشف المادة التي أوردها عن سعة محفوظه الشعري وحضوره الذهني.

د- الموشحات:

فن أندلسي المولد والمنشأ، وهو حركة تجديد فيها خروج على شكل القصيدة العربية، ويبدو أن الموشحات نالت حظا من تقدير الأندلسيين ومن تقدير بعض المحافظين منهم مثل ابن بسام الذي يقول عن الموشحات "وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب"[1] ولم تحظ الموشحات بالتدوين بادئ ذي بدء بل ظلت فنا تتناقله الألسنة شفاها، فقد لقيت إهمالا من مؤرخي الأدب لأن أوزانها على غير أعاريض أشعار العرب، يقول ابن بسام الذي أبدى إعجابه بها ومع ذلك لم يدرجها في كتابه "وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب"[2] وكذلك سكت عن ذكرها وتسجيلها أصحاب كتب التراجم كالفتح بن خاقان وعبد الواحد المراكشي (القرن التاسع) الذي أثنى على ابن زهر

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة جـ ١ القسم ٢ ص ١ ابن بسام لجنة التأليف ١٩٤٢.
(٢) المصدر السابق جـ١ القسم ٢ ص ٢.

ثم قال: "لولا أن العادة لم تجر بإيراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة لأوردت بعض ما بقي على خاطري من ذلك."[١] وكان أول من خرج على قاعدة إهمالها الحجاري صاحب المسهب فاعتنى بتاريخها"[٢].

أما في المشرق فإن ابن سناء الملك كان أول من كتب بحثا عن الموشحات الأندلسية وألحق به مختارات من الموشحات الأندلسية، ومن موشحات من نظمه وسماه "دار الطراز" ثم صفي الدين الحلي الذي كتب "العاطل الحالي"[٣] وألف الصفدي توشيع التوشيح وجرى فيه على اختيار موشحات معروفة وعارضها بموشحات من نظمه، وكان مقصده من جمعها المعارضة، فهو يقول تارة: اقترح علي فلان أن أعارض هذا الموشح. وتارة يكون الباعث من نفسه، فهو يقول بين يدي معارضته للسراج المحار "أردت أن أقفو خطاه، وأجيء بما جاء به عفوا، وأجعل منهله من الرقة صفوا، وإن كان باعي عنه قاصرا، وداعي اتباعي لا يجد له ناصرا"[٤].

حظيت الموشحات على عصر المماليك بقسط وافر من الاهتمام فقد نظم فيها كثير من الشعراء منهم "أبو محمد الواسطي، وابن دانيال، وشمس الدين بن الدهان، والواعظ الواسطي، والنصير الحمامي، والقاضي الفاضل"[٥].

ويكشف لنا تاج الدين السبكي جانبا من هذا الاهتمام فيما اختاره في طبقاته من هذا الفن، فهو يقول في ترجمة صدر الدين بن المرحل "وأما الموشحات فلو وصل خبره إلى الموصلي لأصبح مقطوع الذنب، أو ابن زهر لما

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٥٦ عبد الواحد المراكشي ط السعادة، مصر ١٣٢٤.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي ص ٢١٨ د. إحسان عباس دار الثقافة، بيروت ط ٣، ١٩٧٤.

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي ص ٢١٩.

(٤) توشيع التوشيح ص ١١ صلاح الدين الصفدي تحقيق البير حبيب در الثقافة بيروت، ط ١ سنة ١٣٦٦ هـ.

(٥) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ١١٤.

رأى السماء له نجما إلا هوى ولا برجا إلا انقلب"[1].

ثم أورد له في ترجمته أربع موشحات، أولها:

دمْعي رَوَى مُسَلْسَلا بالسَّنَدِ عن بَصَري أخْزانِي

لمَّا جفا مَن قد بَلا بالرَّمَدِ والسَّهَرِ أجْفاني

غزالُ أنسٍ نافِرْ	نِيطَتْ به التمائمْ
وغُصْنُ بانٍ ناضِرْ	أزهارُهُ المباسِمْ
قلبي عليه طائرْ	تبكِي له الحمائمْ
وإن غابَ فهو حاضرْ	بالفِكرِ لِي مُلازِمْ

كم قَدْ لَوَى على الولا من مَوعِدٍ لم يُفكِّر في عانِي

وقد كَفَى ما قد بَلا بالكَمَدِ والفِكْرِ ذا الجانِي

أزرَى بغِزلانِ النَّقا	وبانِهِ وحِقْفِهِ
كم حلَّ من عَقْدِ تُقَى	بطَرْفِهِ وظَرْفِهِ
لم أنسَهُ لَمَّا سَقَا	مِن ثَغْرِهِ لإلفِهِ
سُلافُ رِيقٍ روَّقا	في ثَغْرِهِ لرشْفِهِ

قد احتَوَى على طِلا وسُهْدِ ودُرَرِ مَرْجانِ

ورصَّعا وكلَّلا بالبَرَدِ والزَّهرِ للحانِ

أمالَهُ سُكْرُ الصِّبا	مَيْلَ الصَّبا بقَدِّه
وفَكَّ أزرارَ القَبا	وحَلَّ عَقْدَ بَنْدِهِ
وسدنه زَهْرُ الرُّبا	وساعِدِي لسعدِهِ
وبتُّ أرعَى زَغَباً	مِن فوقِ وَرْدِ خَدِّهِ

---

(1) طبقات الشافعية ٢٥٦/٩.

مثلُ الهوَى هَـبَّ علـى رَوْضٍ نَـدٍ مـن طُـرَرِ رَيْحـانِي

قـد لَطُفـا حتَّـى عـلا مُـوَرَّد مُزهِـرِ نُعمـانِي

خدّيـــه خَـــدَّ البُكـــا ... فـي صحـنِ خَـدِّي غُـدَرا

وردٌ لمَّـــا أن شَـــكَا ... ســائلَ دَمْعِـي نَـهرَا

كـم مُغْـرَمٍ قـد تَرَكَـا ... بَيْـنَ الـبَرا يـا عِـبَرا

يـا مـن إليـه المُشـتَكَى ... الحـالُ يُعْنـى النَّظَـرا

وإذا الـهوى فانـهَمَلا دَمْعـي الصَّـدِي كـالمَطَرِ هَتَّـانِي

وما انْطَفَا واشـتَعَلا فـي كَبِـدِي كالشَّـرَرِ نـيرانِي

يـا فرحـةَ المحـزونِ ... وقَرْحـةَ لمـن يَـرَى

إن صُلْـتَ بـالجُفُونِ ... وصِدتَ مـن جَفْنِـي الكَـرا

فليـس مَـن يَحمينـي ... سِوَى الـذي فـاقَ الـورى

شـمس العـلا والدِّيـن ... أبـي سـعيدٍ سُـنْقُرا

ومَوْلَىً حَوَى كُـلَّ العُـلا وسُـؤدد مـن مَعْشَـرِ فرسـان

وقد صَفا ثمَّ حَـلاَ فـي المَـوْرِدِ للمُعْسِـرِ والعـاني[1]

والموشح النموذجي يتكون عادة - من ستة أقفال تحصر بينها خمسة أغصان ولكن الوشاح غير ملزم بذلك، إن شاء أن يزيد أو أن ينقص[2]. وقد التزم ابن المرحل في موشحه المتقدم بعدد الأقفال والأغصان في الموشح النموذجي. فموشحه يتكون من ستة أقفال تحصر بينها خمسة أغصان.

وأورد تاج الدين لابن المرحل موشحا آخر ضمنه قدرا من أعجاز نونية ابن زيدون، فقد جعل صدور أقفاله من نظمه، وأعجازها من أعجاز نونية ابن زيدون، ولم

---

(١) الموشح في طبقات الشافعية ٩/٢٦٠ – ٢٦٢.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي ص ٢٣٥.

تشهد الموشحات الأندلسية – فيما أعلم – هذا القدر من التضمين وبرواية السبكي لهذه الموشحة المضمنة، يكشف لنا عن ظاهرة الإغراق في التضمين التي تجلت في هذه الموشحة المشرقية[1] يقول ابن المرحل في هذه الموشحة:

غـــدا مُنادينـــا مُحكَّمـــاً فِينـــا ... يَقضِي علينـــا الأسَـــى لـــولا تأسِّـــينا

بَحـرُ الـــهَوَى يُغـــرِقْ ... مَـــن فيـــه جَـــهْلاً عـــامْ
ونـــــارُه تُحـــــرِقْ ... مَـــن هَـــمَّ أو قـــد هـــامْ
وربَّمـــا يُقلِـــقْ ... فَتًـــى عليـــهِ نـــامْ

قـد غـيَّر الأجسـامْ وصَـيَّر الأيـامْ ... سـوداً وكـانت بكُـمْ بيضـاً لياليـنـا

يـا صـاحبَ النَّجـوَى ... قِـفْ واستَمِـعْ منِّـي
إيَّـاكَ أن تَـهْوَى ... إنَّ الـهَوَى يُضْنِـي
لا تَقْـرَبِ البَلْـوَى ... اسـمَعْ وقُـلْ عنِّـي

بِحـارُهُ مُـرَّه خُضْنَـا علـى غِـرَّهْ ... حِينـا فقـام بـها للنَّعـى ناعِينـا

مـن هـام بـالغيدِ ... لاقَـى بِـهِم هَمَّـا
بذلـتُ مَجْـهُودي ... لأحـورِ ألْمَـى
فـهمَّ بـالجُودِ ... وردَّ مـا هَمَّـا

---

(١) لصفي الدين الحلي موشحة ضمنها أبياتا لأبي نواس يقول فيها:

وحق الهوى ما حلت يوما عـن الـهوى ... ولكن نجمي في المحبـة قـد هـوى
ومن كنـت أرجـو وصلـه قتلـي نـوى ... وأضنى فـؤادي بالقطيعـة والنـوى

ليـس فـي الـهوى عجـب ... إن أصـابني النصـب
حـامل الـهوى تعـب ... يسـتفزه الطـرب

انظر ديوان صفي الدين الحلي ص ٤٥٣ وما بعدها وديوان أبي نواس ص ٥١ دار صادر بيروت.

وعندما قد جـادْ بـالوصلِ أو قـد كـادْ أضْحَى التَّنـائي بديـلا مـن تَدانينـا

....

وفي هذه الموشحة المضمنة وصل عدد الأقفال إلى ثمانية تحصر بينها سبعة أغصان. ويروي السبكي موشحة أخرى لابن المرحل يعارض فيها السراج المحار[١] وقد جاءت على وزن الدوبيت وهو وزن "يكاد الرواة يجمعون على أنه فارسي صالح لنظم اللغة الفارسية واستعاره بعض الناظمين باللغة العربية الفصيحة في النادر من الأحيان ..... وقد وصفه العروضيون بأنه:

فعْلـن متفـاعلن فعولـن فعلـن

وقد جاءت التفعيلة الأخيرة كالأولى في بعض الأحيان. على أن الرواة حين ضربوا لنا أمثلة لما يسمى بالدوبيت قد جاءوا لنا ببعض أبيات منحرفة بعض الانحراف عن هذا الوزن"[٢] وموشحة ابن المرحل التي جاءت على وزن الدوبيت هي:

ما أخجل قَدُّه غُصونَ البانِ بيـن الـوَرَقِ إلا سَلَب المَهَا مع الغِزلانِ سُـودَ الحَـدَقِ

قاسُـوا غَلَطًـا مـن حـاز حُسْـنَ البَشَـرِ
بـالبدرِ يلـوحُ فـي دَيـاجِي الشَّـعَرِ
لا كيـدَ ولا كرامـةً للقَمَـرِ

---

(١) هو عمر بن مسعود الحلبي صاحب الموشحات توفي بدمشق سنة إحدى عشرة وسبعمائة انظر فوات الوفيات ١٤٦/٣ وما بعدها، وموشحته التي عارضها ابن المرحل مطلعها:

قد شمت سنا البرق من نعمان باتت حدقي

تذكي بمسيل دمعها الهتان نار الحرق

انظر الموشحة في الوافي بالوفيات ٢٨٠/٤ وما بعدها.

(٢) موسيقى الشعر ص ٢١٦ د. إبراهيم أنيس ط ٣ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥.

الحبُّ جمالُه مدَى الأزمـــانِ معنـــاه بَقِـــي وازداد سَنًا وخُصَّ بالنُّقصانِ بـــدرُ الأُفُـــق

الصِّحـــــةُ والسَّـــــقامُ فـــــي مُقْلَتِـــــهِ

والجَنَّـــــةُ والجحيـــــمُ فـــــي وَجْنَتِـــــهِ

مـــن شـــاهدَه يقـــولُ مِـــن دَهْشَـــتِهِ

هذا وأبيك فرَّ من رضوانِ تحـت الغَسَـق للأرضِ يُعيذُه مـن الشَّـيطانِ رَبُّ الفَلَـق

ونلحظ أن تاج الدين بدأ اختياراته من موشحات الشيخ صدر الدين بن المرحل بموشحة التزم في أغصانها وأقفالها العدد المطلوب في الموشحة النموذجية، ثم عاد فختم اختياراته بموشحة نموذجية في عدد أقفالها وأغصانها. ولم تخرج هذه الموشحات عن الموضوعات المعهودة في الموشحات بعامة، ومنها الغزل فكل ما رواه السبكي من موشحات ابن المرحل في الغزل، ونلحظ أنه في آخر الموشحة الأولى مدح أبا سعيد سنقر زاعما أنه يحميه من صولة جفون المحبوب التي تصيد من جفنيه الكرى وهو أمر يتصل بالغزل. ويقول:

يـا فرحـــة المحـــزون وقرحـــة لمـــن يـــرى

إن صلـــت بـــالجفون وصدت من جفنـــي الكـرا

فليـس مـــن يحمينـــي سوى الذي فـــاق الـورى

شـمس العـلا والديـــن أبـــي ســـعيد ســـنقرا

مولى حـوى كـل العـلا وسـؤدد مـن معشـر فرسـان

وقد صفا ثم حلا فـي المـورد للمعسـر والعـاني

ثم يختار تاج الدين موشحتين لشيخه أبي حيان يقول في الأولى[1]:

إن كـان ليـل داج وخاننـا الإصبـاح فنورها الوهـاج يغنـي عـن المصبـاح

ســـلافة تبـــدو كـــالكوكب الأزهـــر

---

(١) الموشحتان في طبقات الشافعية ٩/٢٩٠ ـ ٢٩٣.

مزاجـــها شـــهد وعرفـــها عنـــبر
يـــا حبـــذا الـــورد منـــها وإن أســـكر

قلبي بها قد هـــاج فمـــا تراني صـــاح عن ذلك المنهاج وعن هوى يـــا صـــاح

وبـــي رشـــا أهيـــف قـــد لـــج فـــي بعـــدي
بـــدر فـــلا يخســـف منـــه ســـنا الخـــد
بلحظـــه المرهـــف يســـطو علـــى الأســـد

كسطوة الحجاج فـــي النـــاس والســـفاح فما ترى من ناج مـــن لحظـــه الســـفاح

ويقول في الثانية:

عـــاذلي فـــي الأهيـــفِ الأنـــس لـــو رآه كـــان قـــد عَـــذَرا
رشأ قـــد زانـــه الحَـــوَرُ غُصـــنُ مـــن فوقـــه قَمَـــرُ
قمرٌ من سُـــحْبه الشَّـــعَرُ ثَغَـــرٌ فـــي فيـــه أم دُرَرُ

حـــال بيـــن الـــدُّرِ واللَّعَـــسِ خمـــرةٌ مـــن ذاقـــها سَـــكِرا

ونلحظ أن أبا حيان في موشحتيه لم يخرج في عدد أقفاله وأغصانه عما تكون عليه الموشحة عادة، وتمتاز الموشحتان بإيقاع موسيقي جميل وموضوعها - كما هو واضح - الغزل.

وبرواية تاج الدين لهذا القدر من فن التوشيح يكشف لنا عن بعض سمات الموشحات المشرقية في عصر المماليك ومنها استخدام التضمين ووزن الدوبيت في فن التوشيح.

٥- *تاج الدين وأدب المرأة العربية :*

لم يهمل تاج الدين ما تحلت به المرأة العربية من فضل وأدب وذكاء بل أورد في طبقاته ما ينبئ عن فضلهن في الأدب، ويلخص تاج الدين إشادته بالمرأة بقوله بعد أن أورد طرفا من أقاصيص تدل على ذكاء المرأة وأدبها "فانظر إلى نساء

العرب وأدبهن، ولو أكثرنا في هذا لطال الخطاب، وفي شعر الخنساء وأنظارها ما يشهد لهن"[١] افتتح مروياته في هذا الجانب بموقف الخنساء الشهير يوم القادسية، وتحريضها أبناءها على الجهاد والثبات والصدق عند لقاء العدو، يورد تاج الدين خطابها لأبنائها فيقول: "روى الزبير بن بكار: أن الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية في بنين لها أربعة شهدت معهم حرب القادسية، فقالت لهم: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين وذكرت من صونها لبنيها، وعدم خيانتها لأبيهم ما ذكرت، ثم قالت لهم: وقد تعلمون ما أعد الله لكم من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرب لظاها على سياقها، وجللت نارا على أرواقها فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالمغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة"[٢].

ثم لما جاءها خبر استشهادهم، تلقت ذلك بصبر وثبات، وقالت كلماتها الشهيرة: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"[٣] فصورة الخنساء هنا صورة المسلمة الصامدة الصابرة على النقيض تماما من صورة الخنساء النائحة الباكية في الجاهلية على أخيها صخر.

وإلى جانب هذا الموقف الجاد الذي يدل على رباطة الجأش وصدق الإيمان وأثر العقيدة في تغيير النفوس، يورد مواقف أدبية للمرأة تبرز فطنتها وفصاحة لسانها، ورهافة حسها، ساق في ذلك ست حكايات، وسنقتصر على ذكر طرف منها للتدليل على مراد تاج الدين من إبراز هذا الجانب في المرأة العربية، جانب

---

(١) طبقات الشافعية ١/٢٧٩.
(٢) المصدر السابق ١/٢٦٠.
(٣) المصدر السابق ١/٢٦١.

الزكانة والفطانة، ولا تخلو هذه الروايات من الطرافة والإمتاع، وهذا كما نعلم مقصد من مقاصده كما أبان في حديثه عن نهجه في الطبقات.

أ_ يروي تاج الدين بسنده إلى الحسن بن مالك الخزاعي، قال سمعت أبا حسان العباسي، يقول[١]: وقفت علينا جارية ونحن بالربذة وعلى وجهها برقع، فقالت: يا معشر الحجيج، نفر من عكل ذهب بنعيمهم السيل، وشرست عليهم الأيام جدبا جدبا حتى ما بهم قُعدة[٢] ولا نعجة، فمن يراقب فيهم الدار الآخرة، ويعرف لهم حق الآصرة جزي خيرا. قال: فرضخنا لها وقلنا لها: هل قلت في سوء حالكم شعرا. قالت: نعم، ثم أنشأت تقول[٣]:

كف الزمـــان عليـها الصـبرُ والصّـابُ شـــلّتْ أناملُـــها عـــن الأعـــرابِ
قـــومٌ إذا لجـــأ العفـــاةُ إليـــهم أعطـــوا نوافلَـــهم بغـــيرِ حسَـــاب

فقلت: فأمتعينا بالنظر إلى وجهك. فكشفت البرقع عن وجه لا تهتدي القلوب لحسن وصفها، ثم أنشأت تقول:

الدهـرُ أبـدى صفحـةً قـد صانَـها أبـواي قبـلَ تغـيُّرِ الأيـامِ
فتمتَّعـوا بعيونِكـم فـي حسـنها وانْـهُوا جوارحَكـم عـن الآثـامِ

فكان شعرها مما زادني فيها رغبة، فقلت: ويحك! هل لك فيمن يغنيك، ويغني حيك، فقالت: والله ما نحن أكثر من خمسة نفر أنا وأم وأختان وأخ لم يبفع بعد، وفي رزقِ الله خلقه غِنىً عن اتّباعه ببيع الأنفس. قلت: ويحك هذا التزويج الذي أحله الله وأنا ابن عم نبي الله صلى الله عليه وسلم ومالي لا يضبطه الحساب كثرة. قالت: إن في جمالِك غنىً عن مالك، وإن فيها بُعدًا لنهاية الأمل. ولكن لستُ ممن يضمُّهن إلى الرجال الجمال وكثرة المال، قلت: فنصيبك يُخلِّصك من الفقر الذي أنتم فيه.

---

(١) طبقات الشافعية ٢٦١/١ وما بعدها، انظر حكايات النساء ص ٢٦٣ – ٢٨٠.
(٢) قعدة: بالضم من الإبل ما يقتعده الراعي في كل حاجة، القاموس المحيط (قعد).
(٣) طبقات الشافعية ٢٦٢/١.

قالت: والله لأكلُ القديد أهون من الانخفاض لمن يَمُنُّ بماله على من ليس له مثل حاله، ومالي لا أكون كالزَّبَّاء بنتُ عُمير بن المورِّق! قيل لها: لو تزوجت في عنفوان شبابك وصفو جمالك لعلمت لذة الحياة. قالت: والله لأعيشُ في غير بدني، لم تملكني يد ذي مال، ولا صرعتني الرغبة في الرجال، أحبُّ إليّ من مُلْك الأرض وخزائن الخلق، ثم أنشأت تقول:

أمِن بعد أن أمْسي وأصبحُ حرَّةً ... وليس عليَّ للرجالِ يدانِ
أصيرُ لزوجٍ مثلَ مملوكةٍ لهُ ... لَبِئْسَ إذاً ما يكتُبُ الملكانِ
لعيشٌ بضُرٍّ أو بضنْكٍ وحاجةٍ ... مع العزِّ خيرٌ من صُرُوفِ لسانِ

فثكلتني أمي إن لم أكن مثلها في عز النفس، وكرم الخيم. قال: فقلت ما ظننت أن امرأة من الأرض ترغب عن الرجال! قالت: بأبي وأمي، فاجعل ظنك يقينا، فوالذي خلقني لقد خطبني عشرة نفر ما منهم دونك في الحسن والجمال وحسن الخلق، فما مالت نفسي إلى واحد منهم، رغبة مني عن ذلك النِّتاج وتسلط الأزواج، ثم ولّت كأن لم يكن بيني وبينها كلام"[1].

ب_ ويروى[2] عن علي بن الجهم أنه قال بحضرة الفضل، جارية أمير المؤمنين المتوكل وهو حاضر:

لاذ بها يشتكي إليها ... فلم يجد عندها ملاذا

فقال لها المتوكل: أجيزي. فقالت:

ولم يزل ضارعا إليها ... تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد عشقا ... فمات وجدا فكان ماذا

ج_ وعن الأصمعي: حججت فبينا أنا أطوف ليلة حول البيت إذ أقبلت

---

(١) طبقات الشافعية ٢٦١/١ ـ ٢٦٣.
(٢) المصدر السابق ٢٦٣/١ وانظر سمط اللآلي ٦٥٦ تحقيق الميمني القاهرة ١٩٣٦.

جاريتان، لم أر أحسن منهما، فطافتا سبعا، ثم وقفتا تتحدثان، فنصت إليهما، وإذا إحداهما تقول:

لا يقبلُ اللهُ من معشوقةٍ عملاً يوما وعاشقُها غضبانُ مَهْجُورُ

فأجابتها الأخرى:

وليس يأجُرُها في قتلِ عاشِقها لكن عاشقَها في ذاك مأجورُ

فقلت لهما: يا حزب الشيطان، في مثل هذا الموضع تقولان هذا القول! فنظرت إليّ إحداهما، فقالت: لا رهقك الحب، فقلت لها: وما الحب؟ فقالت: جلّ عن أن يخفى، وخفي عن أن يرى، فهو كامن في الأحشاء مثل كمون النار في الحجر إن قدحته أورى، وإن تركته توارى. فقلت لها: قاتلك الله ما أوصفك للحب، فقالت: اسمع يا شيخ نحن كما قال جرير:

حُورٌ حرائرُ ما هَمَمْنَ بريبةٍ كظباء مكّةَ صيدُهنّ حرامُ
يُحْسَبْنَ مِن ليِنِ الحديثِ زوانياً ويصدُّهنّ عن الخَنَا الإسلامُ[1]

ومما أورده تاج الدين قصة رجل من العرب نزل بامرأة من العرب والمرأة من بني عامر، فأكرمته وأحسنت قراه، فلما أراد الرحيل تمثل ببيت يهجوها فيه:

لعمُك ما تبلَى سرابيلُ عامرٍ من اللُّؤْمِ ما دامت عليها جلودُها

فلما أنشده، قالت لجاريتها: قولي له ألم تحسن إليك وتفعل، وتفعل؟! فهل رأيت تقصيرا؟ قال: لا، قالت فما حملك على البيت، قال: جرى على لساني، فخرجت إليه جارية من بعض الأخبية، فحدثته حتى أنس واطمأن ثم قالت له: ممن أنت يا ابن عم؟ قال: رجل من تميم. قالت له: أتعرف الذي يقول:

---

(١) طبقات الشافعية ٢٦٦/١.

تميمٌ بطُـرْقِ اللُّـؤم أهْـدَى مـن القَطَـا ولـو سـلكتْ سُـبْلَ المكـارمِ ضلَّـتِ
أرى الليـلَ يجلـوه النـهارُ ولا أرَى خـلالَ المخـازِي عـن تميـمٍ تَجلَّـتِ
الأبيـات ....

قال: لا، والله ما أنا من تميم. قالت: ما أقبح الكذب بأهله فممن أنت؟ قال: رجل من بني ضبة، قالت: أفتعرف الذي يقول:

لقـد زرقـتْ عينـاكَ يـا ابـن مُعَكْـبرٍ كمـا كـلُّ ضبِّـيٍّ مـن اللـؤمِ أزرقُ

قال: لا، والله ما أنا من بني ضَبَّة. قالت: فممن؟ قال: من بني عِجل. قالت: أفتعرف القائل:

أرى النـاسَ يُعطـون الجزيـلَ وإنَّمـا عطـاءُ بنـي عجـلٍ ثـلاثٌ وأربـعُ
إذا مـات عِجلـيٌّ بـأرضٍ فإنمـا يُخَـطُّ لـه فيـها ذراعٌ وإصبـعُ

ثم صار الرجل ينكر نسبته إلى القبيلة التي أنشد له فيها هجاء ويعتزي إلى قبيلة غيرها، فتنشده الجارية أبياتا في هجائها ولا زال يتنقل في قبائل العرب حتى أعجزته الحيلة. فقال لها: رجل من الشيطان الرجيم!! فقالت له: فعليك لعنة الله، وعلى الشيطان الرجيم. أفتعرف من يقول:

ألا يـا عبـادَ اللهِ هـذا عدوُّكـم وذا ابـنُ عـدوِّ اللهِ إبليـس خاسـئا

فقال الرجل: الله الله أقيليني العثرة! فوالله ما ابتُليتُ بمثلك قط"[1].

يعقب تاج الدين على رواياته السالفة بقوله: "فانظر إلى نساء العرب وأدبهن، ولو أكثرنا في هذا لطال الخطاب، وفي شعر الخنساء وأنظارها ما يشهد لهن"[2] فهو يشهد للمرأة العربية بالأدب والإجادة فيه، وإن كانت قصة الجارية التي أوردت أبياتا في هجاء القبائل حتى هجت الشيطان بحاجة إلى توثيق، فسياقها

---

(١) طبقات الشافعية ٢٦٩/١ – ٢٧٩.
(٢) المصدر السابق ٢٧٩/١.

يوحي بأنها مصنوعة. ومهما يكن من أمر، فتاج الدين لا يعد التفوق شيئا نادرا في النساء، كما يقرر المبرد حين يقول: "وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما، متقدمتين لأكثر الفحول ورب امرأة تتقدم في صناعة، وقلما يكون ذلك"[١] واستأنس المبرد بقول بشار: "لم تقل امرأة الشعر إلا تبين الضعف فيه، فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ فقال تلك كان لها أربع خصى"[٢] ولم يتحدث حديث ابن قتيبة في عيون الأخبار عن حسنهن وقبحهن وما يتعلق بهن من صفات[٣] بل أورد أخبارا تدل على الزكانة والفطانة ورهافة الحس عند المرأة العربية ولا تخلو هذه الأخبار من الطرافة والإمتاع وهذا أمر يتسق مع ما رسمه تاج الدين من منهج كتابه.

---

(١) الكامل ٤/٤٦.
(٢) الكامل ٤/٣٥.
(٣) عيون الأخبار ١/٤ وما بعدها.

الفصل الثالث

تراجمه للأدباء

منهجه في الترجمة:

يتكلم تاج الدين السبكي عن منهجه في التراجم بعامة فيقول: "... نذكر فيه ترجمة الرجل مستوفاة، على طريقة المحدثين والأدباء ونورد نكتا تسحر عقول الألبا. وإذا كان ممن غلب عليه الفقه، وقلت الرواية عنه، أعملنا جهدنا في تخريج حديثه مسندا منا إليه، ومنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم"[١].

ثم يقول: "إذ أعظم مقاصدنا أنا عند الفارغ من ترجمة كل رجل، أو في أثنائها ننظر، فإن كان من المشهورين الذين طارت تصانيفهم فملأت الأقطار، ودارت الدنيا ولم تكتف بمصر من الأمصار، نظرنا فإن وجدنا له تصنيفا غريبا استخرجنا منه فوائد، أو مسائل غريبة أو وجوها في المذهب واهية وكتبناها وإلا فنذكر وجها غريبا ذكر عنه، أو مقالة غريبة ذهب إليها، وشذ بها عن الأصحاب. وإن كان من المقلين أعملنا جهدنا في حكاية شيء من ذلك عنه، وربما غلب الفقه على إنسان، ولم نر عنه في الفقه مستغربا، فنقلنا عنه فائدة غير فقهية. إما حديثية، أو غيرها. وربما غلب عليه الحديث أو غيره من العلوم سوى الفقه، فأعملنا جهدنا في نقل شيء من الفقه، أو ما يناسبه فإن لم نجد له شيئا لم نخل ترجمته من حكاية، أو شعر، أو فائدة تستغرب"[٢] ويقول: "مع أن من أخليته من إسناد حديث لم أخله من إسناد شعر أو حكاية وعلى أنك إذا اعتبرت الكتاب وجدته مشحونا بحديثهم، لكثرته في غير تراجمهم"[٣].

في الاقتباسات المتقدمة يحدد السبكي منهجه في ترجمة رجال الطبقات ومن بينهم الأدباء الذين ترجم لهم. ونلحظ أن السبكي قد ترجم لهؤلاء الأدباء لصلتهم بالمذهب الشافعي، لأن الكتاب أصلا صنف عن رجال المذهب الشافعي ومن ثم أتحفنا من خلال طبقاته بتراجم مفيدة لصفوة من الأدباء كتابا وشعراء،

---

(١) طبقات الشافعية ٢٠٧/١.
(٢) المصدر السابق ٢٠٨/١.
(٣) المصدر السابق ٢٢٠/١.

اشتهروا عند عامة القراء بالأدب أكثر من شهرتهم بالفقه والحديث، وليس غريبا أن ينبغ فقيه في الشعر، أو شاعر في الفقه، وليس صحيحا ما يقال - ولا أعرف له مصدرا - ما أفلح في الشعر فقيه سوى الشافعي، ولعل منشأ هذه الظنة ما رواه ابن خلدون عن أبي القاسم بن رضوان، قال: "أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال: ذاكرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن وكان المقدم في البصر واللسان لعهده، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسبها وهو هذا:

لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالي

فقال على البديهة: هذا شعر فقيه، فقلت له: ومن أين لك ذلك، فقال من قوله "ما الفرق" إذ هي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب"[1] فقلت له: لله أبوك إنه ابن النحوي".

وصحيح أن أهل كل صناعة ربما غلبت على ألسنتهم الكلمات أو المصطلحات التي يستخدمونها في أثناء ممارستهم لصناعاتهم، ولقد أورد الجاحظ في "البيان والتبيين"[2] في باب "أن يقول كل إنسان على قدر خلقه وطبعه" - كلمات عليها صبغة صناعة قائليها. لكن القدرة على الإبداع الفني إنما ترجع إلى استعداد وسليقة يرفدها ذوق يتكون بالاطلاع على الأساليب الأدبية، حتى يصبح المنشئ ذا طبع وأصالة.

يتحرى تاج الدين في تراجمه أن يذكر مكان مولد المترجم وزمانه وتاريخ الوفاة، كما يحرص على ذكر المشايخ الذين أخذ عنهم صاحب الترجمة العلم،

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٩، ط مصطفى محمد، القاهرة.

(٢) البيان والتبيين ١/١٧٥ وما بعدها. وانظر معيد النعم ص ١٢٧ حيث يقول السبكي وهو يتكلم عن المغربين في اللغة: إنهم بحكم ملازمتهم لفن من فنون اللغة يصدرون عنه لأنه اختلط بلحمهم ودمهم وسبق لسانهم إليه. بتصرف.

والذين رووا أو أخذوا عنه، ثم يورد مصنفاته ومؤلفاته، وطرفا من فتاويه وما أثر عنه مما هو طريف أو غريب وهذا يطرد مع ما رسمه من منهج في التراجم ويروي أشعاره وشيئا من نثره إن كان أديبا ناثرا، وقد يفيض في إيراد اختيارات من شعر المترجم وذلك في أغراض شتى، وهذا يجعل للكتاب أهمية خاصة في الترجمة الفنية للشعراء، وفي جمع أشعارهم وتوثيقها[١] ونلحظ أن السبكي يطيل في تقريظ من يترجم لهم، وهو تقريظ فيه إعجاب وانفعال يقول في ابن دقيق العيد: "الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، الحافظ الزاهد الورع الناسك ..... أكمل المتأخرين وبحر العلم الذي لا تدركه الدلاء ومعدن الفضل الذي لقاصده منه ما يشاء، وإمام المتأخرين كلمة لا يجحدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدونها ..... هذا مع ما أضيف إليه من أدب أزهى من الأزهار وألعب بالعقول - لا أدري بين يدي هذا الشيخ ما أقول، استغفر الله - من العقار"[٢] ويقول في ترجمة أبي حيان: "شيخ النحاة العلم الفرد والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المد، سيبويه الزمان والمبرد إذا حمى الوطيس بتشاجر الأقران، وإمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء، ولسان العرب الذي لكل سمع لديه الإصغاء، كعبة علم تُحَج ولا تَحُجّ، ويقصد من كل فج. وكان عذبا منهلا وسيلا يسبق ارتداد الطرف وإن جاء منهملا. يعم المسير إليه الغدو والرواح، ويتنافس على أرج ثنائه مسك الليل وكافور الصباح ولقد كان أرق من النسيم نفسا وأعذب مما في الكؤوس لعسا طلعت شمسه من مغربها، واقتعد مصر فكان نهاية مَطْلَبِها ....."[٣].

ويروي تاج الدين مقالات العلماء في المترجم ويعدد مآثره ويورد من

---

(١) يلاحظ أن كتاب الطبقات كان من أهم مصادر جامع ديوان ابن دقيق العيد بل كان مصدره الوحيد في إثبات خمس عشرة قطعة شعرية. انظر ديوان ابن دقيق العيد، جمع على صافي حسين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٠.

(٢) طبقات الشافعية ٢٠٧/٩ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق ٢٧٦/٩ و ما بعدها.

الأخبار ما يرسم حياة الشخصية رسما ويتكلم عن صفاته الخلقية واجتهاداته في العبادة ويسوق أمثلة من قصص شواهد على ما يقول. وربما وقف مع مسائل علمية عرض لها صاحب الترجمة وناقشها ونقل ما يدور في فلكها من آراء العلماء.

فعل ذلك في ترجمة أبي حيان فهو يعرض لمسألة نحوية تناولها أبو حيان في أثناء روايته لأثر مرفوع إلى عمر بن أبان أن أنس بن مالك أراه الوضوء، فمسح أنس صماخه، فقال له عمر قد مسحت أذنيك فقال: "يا غلام إنهما من الرأس ليس هما من الوجه"[١] يقول أبو حيان قول أنس ليس هما من الوجه "وجه الكلام أن يقول ليستا من الوجه ..." ثم يمضي في شرح المسألة ويورد كلام سيبويه وأبي عمرو بن العلاء ومقاله النحويين ثم يورد قول ابن هشام الذي يرد به على أبي حيان ويطيل في سرد هذه الآراء النحوية[٢]. وكذلك يفعل في أثناء ترجمته للحريري. فهو يورد آراء النحاة حول ما ورد من قول الحريري في المقامة العاشرة" حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان"[٣] وما يجوز من الإغراب في هذا القول. ثم يركز تاج الدين على رأي ابن هشام ويورده رأيا فصلا في المسألة.

وتطبيقا للقاعدة التاريخية التي تكلم عنها[٤] من قبل وعن شروط المؤرخ المنصف الذي ينأى بنفسه عن التعصب الذي يحمل على التزيد والظلم، نجده يلمح تلميحا فيه احتياط لما يقال عن الشيخ صدر الدين بن المرحل، ويسوق ذلك على أنه أقاويل لا تثبت عند التحقيق، بينا نرى تصريحا عن ذلك عند ابن كثير، فهو يتكلم في ترجمة الشيخ صدر الدين عن رمي الناس له بعظائم ويقول: "إنه كان مسرفا على نفسه قد ألقى جلباب الحياء فيما يتعاطاه من القاذورات والفواحش[٥]"

---

(١) طبقات الشافعية ٢٨٠/٩ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ٢٨٠/٩ وما بعدها.
(٣) المصدر السابق ٢٦٩/٧ وما بعدها.
(٤) المصدر السابق ٢٢/٢ وما بعدها.
(٥) البداية والنهاية ٨٠/١٤.

نرى السبكي يقول: "قيل فيه ما هو بعيد وكثر القائل فارتاب العاقل"[١] وهذا التحفظ من تاج الدين نابع من منهجه في التراجم، فهو لا يريد أن يشيع التهم التي رماه بها المتعصبون عليه، ويعطي احتمالا أنه ربما تكون مناظراته للإمام ابن تيمية قد جرت عليه ما غمزه به الغامزون من تلاميذ الشيخ يقول تاج الدين: "وله مع ابن تيمية المناظرات الحسنة وبها حصل عليه التعصب من أتباع ابن تيمية، وقيل فيه ما هو بعيد عنه وكثر القائل، فارتاب العاقل"[٢].

وتبدو دقة تاج الدين في تحقيقه أسماء رجال الطبقات، فهو يذكر الاسم غالبا إلى أبي الجد، ثم يذكر كنيته ولقبه ونسبته. ونراه يقف وقفة في ترجمة أبي سليمان الخطابي البستي[٣] ليصحح اسمه الأول فيقول "وذكره أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة وسماه أحمد[٤]، وهو غلط والصواب حمد" وذكر السيوطي في البغية[٥] "قال السلفي: ذكر الجم الغفير أن اسمه «حمد» وهو الصواب. وقيل اسمه أحمد" وهذا يدل على حرص تاج الدين على تحقيق أسماء من ترجم لهم. وكذلك حكى قولين في اسم جد أبي الفتح البستي لا يرجح واحدا على الآخر، يقول: قيل اسم جده حسين وقيل الحسن"[٦].

وفيما يلي سنعقد مقارنة بين تراجمه لطائفة من الأدباء وتراجم معاصرين له، وسابقين عليه لهؤلاء الأدباء أنفسهم. وسنختار من معاصريه ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية" وصلاح الدين الصفدي في كتابه "الوافي بالوفيات" وابن شاكر في

---

(١) طبقات الشافعية ٢٥٣/٩.
(٢) المصدر السابق ٢٥٣/٩.
(٣) المصدر السابق ٢٨٢/٣.
(٤) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٣٣٤/٤، الثعالبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩، القاهرة.
(٥) بغية الوعاة ٥٤٦/١ للسيوطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي، ط ١ ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.
(٦) طبقات الشافعية ٢٩٣/٥.

"فوات الوفيات".

ومن السابقين عليه سنأخذ تراجم ابن خلكان وهو من القرن السابع الهجري وكتابه "وفيات الأعيان"، وأحيانا تراجم صاحب "معجم الأدباء" ياقوت الحموي، وصاحب "اليتيمة"، الثعالبي حين تكون الترجمة حافلة مستوفاة أما المتأخرون فلا سبيل إلى المقارنة لأنهم غالبا ما يعتمدون في تراجمهم على نقول يأخذونها من المتقدمين كابن كثير والصفدي وغيرهما، فعل ذلك ابن حجر في الدرر الكامنة.

تبين لنا من هذه المقارنة أن تاج الدين يحرص حرصا يطرد ولا يكاد يتخلف - على ذكر من أخذ عنهم المترجم له العلم ومن سمع عنهم، ومن رووا عنه، لا يكاد يغفل ذلك في ترجمة. بينا نجد غيره من أصحاب التراجم لا يولون ذلك عناية كبيرة وليس أدل على ما نقول من مقارنة ترجمته للأنباري مع ترجمة ابن كثير وابن خلكان والقفطي[١] له. فقد ذكر السبكي مشايخ أبي البركات الأنباري النحوي الذين سمع عنهم، ومن رووا عنه[٢] بينا نجد ابن خلكان لا يعرض لذكر شيء من هذا. ويكتفي القفطي بذكر من أخذ عليهم[٣] ويذكر ابن خلكان كتبه في اللغة والأدب. ويبدي السبكي اهتماما بكتبه الفقهية في المذهب الشافعي. ويعطي رقما لمصنفاته في النحو واللغة فيقول: إنه صنف ما يزيد على خمسين مصنفا وله شعر حسن كثير. ولا يروي له تاج الدين بيتا واحدا في ترجمته، ولعله لم يتصل له سند في رواية شيء من شعره بطرق التحمل التي يحرص عليها في روايته الأشعار. فأضرب عن إيراد شيء من شعره مع أنه حكم بأن له شعرا حسنا كثيرا.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ٣١٠/١٢ ووفيات الأعيان ٣٢٠/٢ وإنباه الرواة ١٦٩/٢ القفطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب، مصر ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥.

(٢) طبقات الشافعية ١٥٥/٧.

(٣) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣٢٠/٢ وفي إنباه الرواة ١٦٩/٢.

في ترجمة الحريري يتحدث صاحب "المعجم" وابن كثير والقفطي[١] عن اتهام الناس له بأن المقامات ليست من وضعه، بينا نجد السبكي لم يشر إلى شيء من ذلك الشك في نسبتها إليه وهذا يرجع - في رأيي - إلى تحرج تاج الدين السبكي من إثارة هذه التهم التي لا يجد لها بينة تصححها عنده، تمسكا بمنهجه في تحري النصف مع من يترجم لهم.

وفي ترجمة البستي بينا نرى صاحب اليتيمة يورد أشعارا كثيرة للبستي غير مسندة[٢] يورد تاج الدين طرفا من شعره بالأسانيد ويروي قصيدة له تسمى عنوان الحكم، وقد ذكر الزركلي في الاعلام أنه جاء في الحلل السندسية أنها من نظم أبي البقاء صالح ابن شريف الرندي[٣] ولم يشر تاج الدين إلى أنها تنسب إلى غير البستي. كما نلحظ في ترجمة ابن خلكان أنه أخذ عبارات من صاحب اليتيمة في ترجمة البستي ولم ينص على ذلك والعبارات هي "صاحب الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيس البديع التأسيس"[٤] بينا تاج الدين لا يورد عبارة من مقالات السابقين إلا مسندة إليهم، وهذه دقة أهل الحديث وأمانتهم في النقل.

وقد يعرض تاج الدين من خلال ترجمته لنقد آثار صاحب الترجمة فعل ذلك في ترجمته للعماد الكاتب[٥] حين قال "إن أكثر ما يعاب على العماد كثرة استعمال الجناس لا سيما في النثر بحيث تضيق به الأنفاس ... وإنما يحسن الجناس

---

(١) انظر ترجمة الحريري في معجم الأدباء ٢٦١/١٦، البداية والنهاية ١٩١/١٢، إنباه الرواة ٢٣/٣.

(٢) يتيمة الدهر ٣٠٥/٤ وما بعدها.

(٣) طبقات الشافعية ٢٩٤/٥ انظر هامش التحقيق. ذكر المحققان أن هذه القصيدة من أطول وأشهر ما نظم البستي. وأن الزركلي في الاعلام ١٤٤/٥ قال: وفي الحلل السندسية ٥٤٦/٣ أن "زيادة المرء" من نظم أبي البقاء.

(٤) وفيات الأعيان ٥٠٨/١ وانظر يتيمة الدهر ٣٠٢/٤.

(٥) طبقات الشافعية ١٧٨/٦ وما بعدها.

إذا خف على القلب واللسان ولم يتعد المرتين"[١] ثم يستعرض آراء الأديب صلاح الدين الصفدي في أدب العماد وفي سياق هذا يقدم لنا - نقلا عن صلاح الدين - مثالين من نثره[٢]. أحدهما خال من الجناس عذب في السمع وقعه، وآخر فيه جناس أصابه بقلق التركيب ويذكر أنه قد يمج سمعه فواتح أبواب الخريدة لما يكثر فيها من الجناس، ثم يقارن مقارنة خاطفة جزئية بين عبارة للعماد وأخرى للقاضي الفاضل.

ويحرص تاج الدين على تتبع رحلات المترجم له، وذكر البلاد التي دخلها والمشايخ الذين أخذ عنهم في كل بلدة، وهذا أثر من آثار تطبيقه لمنهج المحدثين في التراجم، إذ أنهم يضبطون صحة الرواية بمعرفة رحلات المحدث هل دخل ذلك المصر الذي زعم أنه سمع به ولقي من روى عنه؟ وأهمية الرحلة للعلماء مذكورة في تاريخ أدبائنا وعلمائنا فكانت مما تذكر في مآثرهم العلمية أنه "كانت له رحلة إلى كذا ......"، من أمثلة ذلك:

أ_ يتتبع تاج الدين رحلات العماد الكاتب ويذكر أنه "..... قدم بغداد وتفقه على أبي منصور بن خيرون ..... ثم عاد إلى أصبهان وتفقه بها أيضا على أبي المعالي الوركاني ..... ثم عاد إلى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة، وقدم مصر وسمع من السلفي وغيره ..... وورد دمشق في أيام نور الدين"[٣]

ب_ وفي ترجمة أبي حيان يشير إلى جولته في بلاد المغرب ثم قدومه إلى مصر، ثم يذكر سماعه بمالقة، وتونس وبالإسكندرية وبمكة، ومصر .....[٤]. كما نلحظ أن تاج الدين يتكلم عن المناقب الخلقية للمترجم، من زهد وتعفف وتصدق واشتغال بالعبادات والقربات، ولا يكتفي بمجرد ذكرها فحسب بل يورد شواهد من

---

(١) طبقات الشافعية ١٨٠/٦.
(٢) المصدر السابق ١٨١/٦.
(٣) المصدر السابق ١٧٩/٦.
(٤) المصدر السابق ٢٥٧/٩ وما بعدها.

حياته وأحواله وقصصا يدل على ذلك الزهد والتعفف والكرم وما إلى ذلك[1]. بينا غيره من أصحاب التراجم ربما أشاروا إلى الصفات الخلقية ولم يشيروا إلى أقاصيص ووقائع تنبئ عن هذه الخصال. من مثل ما فعله ابن شاكر في ترجمة الأنباري، فإنه أشار إلى زهده وورعه بينا السبكي حرص على رواية ما يفيد ذلك. وجدوى ذكر السجايا الشخصية في الترجمة الذاتية ملموسة، فذكرها يعين الدارسين على استبطان أدب صاحب الترجمة بمعرفة أبعاد شخصيته.

نخلص من كل ما تقدم أن سمات منهج تاج الدين - في التراجم - الذي يطرد ولا يتخلف هو: ذكره لتاريخ الميلاد والوفاة ومكانيهما، وأحيانا يتحرى ذكر اليوم والشهر، كما أنه يحرص على تحري أسماء من يترجم لهم وكناهم وألقابهم ونسبتهم، ولا يهمل أن يذكر من أخذ عنهم صاحب الترجمة العلم ومن تلمذ لهم ومن أخذوا عنه أو رووا عنه، ويذكر أيضا المؤلفات والمصنفات ويحلي الترجمة بمقتطفات من أشعاره وآثاره النثرية إن كان أديبا ناثرا وقد يتعرض لمسائل علمية ناقشها صاحب الترجمة ويورد تاج الدين آراء العلماء فيها ومحاوراتهم، وكل هذه السمات تجعل لتراجمه قيمة بين كتب التراجم.

وبالإحصاء وجدنا أن تاج الدين قد ترجم لثمانية وثلاثين من الأدباء فيهم الشاعر، وفيهم الكاتب، وفيهم من جمع بين الكتابة والشعر وقد ألحقت بالبحث ثبتا بأسمائهم مرتبا على حروف المعجم.

---

(1) انظر على سبيل المثال طبقات الشافعية ١٥٥/٧ ترجمة أبي البركات النحوي وفي ٢٥٧/٩ ترجمة صدر الدين بن المرحل، وفي ٢١١/٩ ترجمة ابن دقيق العيد.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثالث

مواقفه الأدبية والنقدية

الفصل الأول

قضية الإسلام والشعر

يقول السبكي عن منهجه في تراجم الرجال: "مع أن من أخليته من إسناد حديث فلم أخله من إسناد شعر وحكاية"[١] ثم يتناول موقف الإسلام من الشعر فيقول: "وأما الشعر فقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن منه لحكمة" ونطق به جماهير الصحابة، وعدد بالغ من أحبار الأمة، وإمامنا الشافعي رضي الله عنه مقدم التالين للصحابة رضي الله عنهم في ذلك"[٢] ثم يورد السبكي الأحاديث الواردة عن الشعر بأسانيدها فيقول: "حديث (إن من الشعر حكمة) ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه البخاري، وأحمد، وأبو داود وابن ماجة من حديث أبي بن كعب[٣] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واستخدم السبكي ثقافته الحديثية في عرض الأحاديث وتمحيصها من حيث الأسانيد وتبين درجاتها وتوجيه مدلولاتها. فقد روى الحديث المتقدم الشافعي رضي الله عنه مرسلا، عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث. ورواه أحمد وأبو داود أيضا من حديث ابن عباس[٤] ولفظه: أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم بكلام بين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما".

وقد اختلف الناس في تأويل: "إن من البيان لسحرا" على قولين، حكاهما أبو سليمان الخطابي، ونقلهما عنه أبو المحاسن الروياني، من أصحابنا في كتاب

---

(١) طبقات الشافعية ١/٢٢٠.

(٢) المصدر السابق ١/٢٢٠.

(٣) المصدر السابق ١/٢٢١ وانظر حديث أبي بن كعب في فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الأدب ١٠/٥٣٧ لابن حجر، المكتبة السلفية القاهرة ١٣٨٠ وانظر مسند الإمام أحمد ٣/٤٥٦ المكتب الإسلامي للطباعة، بيروت، ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ وانظر جامع الترمذي ٤/٣١ نشر الحاج حسن إيراني، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٥٣.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/٢٤٢٤ وأبو داود ٥/٢٧٧ وما بعدها باب ما جاء في الشعر من كتاب الأدب، مطبعة دار الحديث، حمص، ط ١، ١٩٧٤.

"البحر" في كتاب الشهادات: أحدهما: أنه جار مجرى الذم للسعة والتصنع في الكلام، والتكلف بتحسينه، استمالة لقلوب السامعين. فجعل بمنزلة السحر الذي يخيل ما لا حقيقة له والسحر مذموم، فكذلك ما هو مشبه به. والثاني: قال الروياني - وهو قول الأكثرين - إن القصد به مدح البيان والحث على تخير الألفاظ، والتأنق في الكلام، بدليل قوله: "وإن من الشعر لحكما"[١].

ويوضح السبكي المقصود من "إن من البيان لسحرا" فيقول: "فالرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق"[٢] ويروي السبكي حديثا في إسناده عدد من الشعراء: ".... أخبرنا عبد الله ابن موسى السلامي الشاعر، بفائدة ابن بكير، حدثني أبو بكر مفضل بن الفضل الشاعر، حدثني خالد بن يزيد الشاعر، حدثني أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر، حدثني صهيب بن أبي الصهبا الشاعر، حدثني الفرزدق الشاعر، حدثني عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الشاعر، حدثني أبي حسان بن ثابت الشاعر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اهج المشركين وجبريل معك" قال: "إن من الشعر حكمة"[٣] وفي الصحيحين من حديث البراء[٤]: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان "اهج المشركين وأنا معك" وفي رواية "اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"[٥] ويورد حديثا عن عروة وعائشة رضي الله عنهما قالت[٦]: كان رسول الله

---

(١) طبقات الشافعية ٢٢١/١ و٢٢٢ بتصرف، رواه أحمد في المسند ٢٤٢٤/٤.
(٢) المصدر السابق ٢٢١/١.
(٣) إن من الشعر حكمة رواه أبي بن كعب: مسند الإمام أحمد ١٢٥/٥.
(٤) جاء في روايات البخاري ما يقارب ألفاظ الرواية الأولى. في باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، من كتاب المغازي، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤١٦/٧ والرواية الثانية بنصها في الباب نفسه ٤١٦/٧، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي باب فضائل حسان بن ثابت من كتاب فضائل الصحابة ٤٦/١٦.
(٥) طبقات الشافعية ٢٢٣/١.
(٦) المصدر السابق ٢٢٣/١ وفي المستدرك على الصحيحين ٤٨٧/٣،

====

صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد، فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" وأورد السبكي في سياق استدلاله حديثا بسنده المتصل يبدأه بأخبرنا ..... عن هذيل بن مسعدة حدثنا شعبة بن دخال الهذلي، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]: إن هذا الشعر سجع من كلام العرب، به يعطى السائل، وبه يكظم الغيظ، وبه يؤتى القوم في ناديهم" وذكر له طريقا آخر ولكنه لم يشر إلى كونه في كتب الصحاح.

بعد عرضه لهذه النصوص من السنة ينتقل إلى مرحلة أخرى من الاستدلال على موقف الإسلام من الشعر وهي استماع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر واستنشاده ممن يحفظ، يروي السبكي بأسانيده، عن عمرو بن الشريد قال: قال الشريد كنت ردفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أمعك من شعر أمية بن الصلت شيء؟" قلت: نعم. قال: "أنشدني" فأنشدته بيتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم "هيه" فأنشدته حتى أنشدته مائة بيت، قال: ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم، وسكت"[2].

ورواه مسلم في صحيحه[3]، ولفظه: إن الشريد قال: ردفت رسول الله صلى

== ويقول إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكر مناقب حسان بن ثابت كتاب معرفة الصحابة المستدرك للحاكم مطابع النصر الحديثة، الرياض. جاء في روايات البخاري ألفاظ تقارب ما جاء في هذه الرواية "إن روح القدس ..... روى البخاري بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان يستشهد أبا هريرة فيقول: يا أبا هريرة ناشدتك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا حسان أجب عن رسول الله اللهم أيده بروح القدس قال أبو هريرة: نعم وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتح الباري بشرح صحيح البخاري باب هجاء المشركين ٥٤٦/١٠.

(١) طبقات الشافعية ٢٢٤/١.

(٢) المصدر السابق ٢٢٤/١.

(٣) صحيح مسلم كتاب الشعر ٢٢٥٥/٤ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،

====

الله عليه وسلم يوما، فقال: "هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟" قلت: نعم. قال: "هيه" فأنشدته، فقال: "هيه" فأنشدته، فقال "هيه" حتى أنشدته مائة بيت. وفي رواية لقد كاد يسلم في شعره. وفي أخرى "إن كاد ليسلم"[١].

ثم ينتقل تاج الدين إلى الأحاديث المعارضة لما تقدم ليناقش القضية من جوانبها كلها، فيقول: "فإن قلت ما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم[٢] "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا" وهذا حديث ثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة[٣] وفي مسلم[٤] أيضا من حديث أبي سعيد: بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان. لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا"[٥].

ثم يطرح السبكي السؤال فيقول: "وهذه أحاديث دالة على ذم الشعر، وهي تعارض ما قدمتم فكيف الحال؟[٦] ويجيب السبكي: قال قائلون إنما أراد بالشعر الذي هو هجو له صلى الله عليه وسلم، حملا لمطلق الحديث على مقيد حديث آخر روي من حديث جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنهم. قال الحافظ ابن عدي في كتاب "الكامل": حدثنا أحمد بن خالد بن عبد الملك بن مسرح، حدثني عمي الوليد بن عبد الملك، أخبرنا أبو يوسف، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

== عيسى الحلبي مصر ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥.

(١) طبقات الشافعية ٢٢٥/١ في شيء من التصرف.

(٢) المصدر السابق ٢٢٥/١.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الأدب ٥٤٨/١٠، وانظر مسند أحمد ١٥٠٧/٣.

(٤) صحيح مسلم ٢٢٥٩/٤.

(٥) طبقات الشافعية ٢٢٦/١.

(٦) المصدر السابق ٢٢٦/١.

"لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا" فقالت عائشة: لم يحفظ الحديث إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا هجيت به." وهذا لو ثبت عن عائشة رضي الله عنها كان قاطعا لكل وهم ولكنه لا يكاد يثبت."[١] وناقش السبكي الحديث من حيث إسناده وذكر أن العقيلي رواه في كتاب الضعفا[٢]، ثم تعرض لنقد رجال السند، وأورد توجيه[٣] أبي عبيد للحديث عن سنن أبي داود.

يقول الدكتور هدارة "وهذا الحديث إن كان صحيحا ينبغي أن يوجه بحيث لا يعم الشعر كله بوصفه فنا في ذاته حتى ينسجم مع ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث أخرى فيها إعلاء لشأن الشعر كقوله: "إن من الشعر حكمة"[٤].

وواضح أن السبكي لم يجد ما يقدح في صحة الحديث، فالحديث رواه مسلم في صحيحه. لذا أورد توجيه الحديث كما ورد عن أبي عبيد. وهو بهذا التوجيه، لا يفهم على إطلاقه. ونقل السبكي ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة[٥] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، "امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار".

---

(١) طبقات الشافعية ٢٢٦/١ قال أبو عبيد: والذي عندي في هذا الحديث غير هذا القول لأن الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم لو كان شطر بيت لكان كفرا، فكأنه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه أنه قد رخص في القليل منه ولكن وجهه عندي أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وذكر الله. وذكر السهيلي أن عائشة تأولت الحديث على ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وأنكرت على من حمله على العموم في جميع الشعر ..... ثم ذكر ابن حجر استشكال أبي عبيد وقال: عائشة أعلم منه، انظر فتح الباري كتاب الأدب ٥٤٩/١٠.

(٢) المصدر السابق ٢٢٧/١.

(٣) انظر هامش ١ من هذه الصفحة.

(٤) دراسات في الشعر العربي ص ٣٢ وما بعدها د. محمد مصطفى هدارة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٢.

(٥) مسند الإمام أحمد ٢٢٨/٢.

"فتوجيه الحديث - إن صح - إنما ينصب على الشعراء الذين اشتهروا بالفحش والتعهر في القول، نسوا الله فنسيهم، وهؤلاء وجدوا في الجاهلية كاتجاه واضح يمثله امرؤ القيس، كما لحظ ابن سلام من قبل، وقد تقصى الأستاذ أحمد شاكر هذا الخبر المذكور في عيون الأخبار والأغاني ومعجم البلدان فقال: إنه مشهور عند الإخباريين والأدباء ولكنه غير معروف عند المحدثين وهم الحجة فيما ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار"[١].

ومن العجيب أن السبكي المحدث قد أورد هذا الحديث في أثناء كلامه عن الشعر وسكت عنه وقد يدل سكوت علماء الحديث عن الحديث على أنه حسن[٢] ويقول الأستاذ أحمد شاكر: "رواه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة مرفوعا إلى النبي وهو ضعيف جدا ذكره ابن كثير وقال: هذا منقطع"[٣].

وقال عنه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان[٤] إنه خبر باطل ويروي السبكي آثارا تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع الشعر وأجاز عليه. ودعا لقائله مستحسنا، وشفّع من شفع به.

يقول السبكي: "وقد كان عليه الصلاة والسلام يسمع المدحة ويجيز، وذلك برهان على أنه لم يكن يمنع ذلك بل يجيز"[٥] ثم يروي بأسانيده قصة كعب بن زهير وقصيدته المشهورة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء مسلما، فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردته، وقد أورد القصيدة وشرحها[٦].

---

(١) دراسات في الشعر العربي ص ٤٩، وانظر هامش الشعر والشعراء ١٢٧/١.
(٢) انظر الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، لأحمد محمد شاكر ص ٤١، بيروت ١٩٥١.
(٣) الشعر والشعراء ١٢٧/١.
(٤) لسان الميزان ٢٤٩/٣ و ٢٥٠ ابن حجر ط ١، حيدر آباد ١٣٣٠.
(٥) طبقات الشافعية ٢٢٩/١.
(٦) المصدر السابق ٢٣٤/١ وما بعدها وانظر ص ٥٤ وما بعدها من فصل رواياته الأدبية من هذا البحث.

ثم أورد بالسند قصة زهير بن أبي جرول سيد قومه من بني هوزان يوم حنين، حين قعد بين يديه وطفق يذكره نشأته في هوزان رهط ظئره حليمة السعدية وأنشد أبياتا يستعطفه ليرد سبيهم فاستجاب له رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفانا بفضل ظئره حليمة، وقد كان استأنى بالسبي حتى يأتوه مسلمين ولكنهم تأخروا فلما استعطفه وأنشد الأبيات، قال صلى الله عليه وسلم: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فلله ولكم" وقالت الأنصار: "ما كان لنا فلله ولرسوله" فردت الأنصار ما كان في أيديها من الذراري والأموال، وقد أوردنا القصة بنصها وإسنادها في فصل رواياته الأدبية من هذا البحث[١].

ويروي السبكي من غير طريق أبيات النابغة الجعدي التي أنشدها بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم:

بلغنا السماءَ مجدُنا وجدودُنا ... وإنَّا لنرجُو فوق ذلكَ مَظْهرَا

فقال صلى الله عليه وسلم: "أين المَظْهرا يا أبا لَيْلَى؟ قلت: الجنة قال: أجل، إن شاء الله تعالى" ثم قلت:

ولا خيرَ في حِلمٍ إذا لم يكن لهُ ... بوادرُ تحمِي صفوَهُ أن يُكَدَّرَا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ لهُ ... حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصْدَرَا

وفي الرواية استحسانه صلى الله عليه وسلم لبيتين دعا له بعدهما وشهد بالإجادة فقال: "أجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ" قالها مرتين"[٢].

وأورد السبكي مطلعها وأبياتا منها. ويقول إنها نحو مائتي بيت. ويظن ابن عبد البر[٣] أن النابغة قد أنشد الشعر كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم. بعد عرض

---

(١) انظر الأبيات في طبقات الشافعية ٢٤٤/١ وانظر ص ٦٩ وما بعدها من فصل رواياته الأدبية من هذا البحث.

(٢) طبقات الشافعية ٢٤٧/١.

(٣) المصدر السابق ٢٤٧/١، وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٢٢/١

====

هذه الروايات يقول السبكي: "ولو غدوت أسرد ما وقع لي مسندا مما أنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الاستيعاب لطال الخطاب وفيما أوردته مقنع وبلاغ والله المستعان"[١].

حظيت قضية الشعر وموقف الإسلام منه بكل هذا الاحتفاء والاستقصاء، ولا يزال للقضية ذيل، وهو ما وقر في أذهان الناس "أن الإسلام منذ ظهر في الجزيرة العربية وأشرق بنور قرآنه استطاع أن يطفئ نار الشعر التي ظلت مشتعلة طوال العصر الجاهلي"[٢].

ويعطي الدكتور هدارة تفسيرا لمنشأ هذا الظن فيقول: "لعل مرجع ذلك إلى كلمة[٣] للأصمعي قالها منذ القرن الثاني الهجري ورواها عنه ابن أخيه قال: "الشعر نكد، يقوى في الشر، فإذا دخل في الخير ضعف ولان" ثم استشهد على صحة نظريته بحسان بن ثابت، فقال هذا حسان فحل من فحول الشعراء في الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره"[٤] وكأن الأصمعي ومن ارتأى رأيه يحسبون أن الشعر خلق للشر ونزواته والهوى وغواياته، ولعلهم تأثروا بزعم الشعراء في الجاهلية أن لهم شياطين[٥] يلهمونهم الشعر، وما دام الأمر كذلك، فلا بد أن يكون الشعر ضربا من نزغ

== لابن عبد البر ط ١ حيدر آباد ١٣١٨ وقد أورد ابن عبد البر البيت: بلغنا السماء ..... برواية أخرى هي: علونا على طر العباد تكرما .....

(١) طبقات الشافعية ٢٥٣/١.

(٢) دراسات في الشعر العربي ص ٢١.

(٣) الاستيعاب ١٣٠/١ وقيل لحسان لان شعرك أو هرم شعرك في الإسلام يا أبا حسام فقال: يا ابن أخي إن الإسلام يحجز عن الكذب أو يمنع عن الكذب وإن الشعر يزينه الكذب. ومثل ذلك ما يقال الشعر أكذبه أعذبه. وكلها تعليلات مبنية على افتراضات خاطئة. انظر الشعر والشعراء ٣٠٥/١ مقالة الأصمعي: الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل في الخير ضعف وهذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره".

(٤) دراسات في الشعر العربي ص ٢١.

(٥) جاء في جمهرة أشعار العرب أن ابن المروزي روى عن أبيه أنه لقي جانا أو شيطانا من شياطين الشعر أنشده أبياتا، قال أبوه هذا لعبيد بن الأبرص فقال الشيطان ومن

====

الشيطان ووسواسه. قال أبو النجم:

إني وكل شاعرٍ من البشرْ شيطانُه أنثى وشيطاني ذَكَرْ[١]

وقال آخر:

إني وإن كنتُ صغيرَ السنِّ وكان في العين نُبوٌّ عنِّي
فإن شيطاني كبيرُ الجنِّ يذهبُ بي في الشعرِ كلَّ فنِّ
حتى يزيل عنِّي التظنِّي[٢]

وربما رسخ هذا الاعتقاد ما كان عليه بعض الشعراء في الجاهلية من الإسراف في الفحش والبذاء وهجر القول صنيع امرئ القيس ومن لف لفه. فظنوا أن الشعر لا يكون شعرا إلا إذا كان مشتملا على الإباحية في القول بلا حدود.

جاء الإسلام بضوابطه الأخلاقية ودعا إلى السلوك الفاضل والطهارة في القول وتنزيه الكلام عن كل ما يجرح أو يقدح في الخلق الكريم أو يخدش الحياء ونهى عن التفحش والبذاء، فظن بعضهم أن في ذلك تقييدا لحرية الفن الشعري والفرق بيّن بين الحرية والفوضى، وبين الالتزام بالمبادئ التي تسود المجتمع فلا يندُّ عنها تصرف ولا يصادمها قول أو فعل، وبين التحلل الذي يبيح لمن شاء أن يقول أو يفعل ما شاء. ومن ثم أصبحت الدول في العصر الحديث تجعل حرمة لنظامها العام وخطا إعلاميا تحاكم إليه ما يطبع وينشر وينشد ويغنى.

"وموقف الإسلام واضح لا لبس فيه، فهو يدعو إلى القول بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا معيار أخلاقي لا يختص بالشعر وحده"[٣] فكيف يبيح الإبداع في

== عبيد لولا هبيد، فأخبره عن صاحب الكميت وهو ابن عمه مدرك بن واغم. ويسوق روايات مفادها أن للشعراء شياطين لامرئ القيس والنابغة وغيرهما الجمهرة ص ٤١ وما بعدها.

(١) انظر الحيوان ٢٢٩/٦.

(٢) المصدر السابق ٢٢٩/٦ والخصائص ٢٢٥/١.

(٣) دراسات في الشعر العربي ص ٢٨.

الفن أن يحدث الشعراء في أشعارهم ما يتعارض مع مبادئه. وليس في هذا جناية على الشعر وتقييد له كما يظن بعض الذين يدعون إلى حرية الإبداع في الفن من غير ضوابط "وليس بعجيب أن يضع القرآن حدودا أخلاقية للشعر والشعراء، بل العجيب ألا يفعل، فغاية الدين الحرية في كل مجالاتها، ولكن ليست على إطلاقها، كما يدعو بعض المتحللين اليوم الذين ينادون بأن يكون الفن طليقا من كل قيد، فيتسع لأحط غرائز الإنسان ونزعاته بدعوى الواقعية،

ولكن الحقيقة التي ينبغي أن تدرك جيدا أن الفن اختيار وليس من الضروري أن تضاهى كل حركات الواقع لتأكيد معنى حرية الفن"[١] أو الواقعية التي تستمد تصورها من النظرة المادية الحيوانية للإنسان، والتي يزعم دعاتها أنهم يضيق صدورهم بصورة البطولة المثالية التي تمثل فضائل مثالية لا وجود لها في زعمهم[٢] ومن ثم يركزون على لحظات الضعف البشري والهبوط والتدنّي على أنها لحظات بطولة، فينبغي إبرازها من غير حياء ولا تأثم، بحجة أنها واقع الإنسان. ومن يعرف الإسلام يعرف بداهة أنه لا ينزه البشر عن الشر أو عن الهبوط، وإنما يقرر أن في الإنسان استعدادا لذلك، وأن النفس الأمارة بالسوء قد تغويه، وتزين له أسباب السقوط، ولكن الإسلام لا يسلط الأضواء على لحظات الهبوط، وإنما يسلطها على لحظات الأوبة إلى الوعي، والإفاقة من الغي، فالله يحب المحسنين ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[٣].

ولقد أبان السبكي بما أورده من أشعار في طبقاته، أن الإسلام لم يرفض من الشعر ما كان غزلا عفيفا، أو دعابة بريئة ولقد روى السبكي مختارات من ذلك فيما

---

(١) دراسات في الشعر العربي ص ٢٨ وما بعدها.

(٢) انظر ص ٤٨ وما بعدها من كتاب منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، دار الشروق بيروت، ١٤٠١ ـ ١٩٨١.

(٣) سورة آل عمران آية ١٣٥.

رواه من شعر فقهاء عرفوا بعلو كعبهم في الفقه، وبالسير على الجادة، بل هم عند تاج الدين من أصحاب الكرامات. من هؤلاء الشيخ ابن دقيق العيد الذي قدم ترجمته بقوله: "الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد ..... هذا مع ما أضيف إليه من أدب أزهى من الأزهار وألعب بالعقول - لا أدري بين يدي هذا الشيخ ما أقول، أستغفر الله - من العقار"[١] ويروي له في الغزل[٢]:

يـــا بديـــعَ الحُســـنِ مـــا أحْـــ ـــلَـــى بقَلْبـــي خَطَراتِـــكْ
فِيـــكَ سِـــرٌّ ســـحرِ الألـــ ـــبـــابَ فـــي استِحســـانِ ذاتِـــكْ
مـــا فـــهِمْنا عَنـــكَ إلا أنَّـــه فـــي لَحَظـــاتِكْ

ويروي لشيخه أبي حيان الذي صنف التصانيف السائرة كالبحر المحيط في التفسير، وعقد اللآلئ في القراءات[٣]، يروي له[٤]:

قـد سـبَاني مـن بنـي الـتُّرك رَشَـا جَوْهَـرِيُّ الثَّغْـرِ مسـكيُّ النَّفَـسْ
نـاظِري للـوَرْدِ منـهُ غـارسٌ مالـهُ لا يَجْتَنـي مِمَّـا غَـرَسْ
قـد حَكَـى شَمْسـاً وغُصْنـاً ونقـاً فـي انبـلاجٍ وارتجـاجٍ ومَيَـسْ
ضيِّـقُ العَيْنيـنِ تُركيُّـهُما واسـعُ الوَجْنَـةِ خَـزِّيُّ المَجَـسْ

ثم يعقب تاج الدين موثقا لما روى بقوله: "هذه نبذة من مقروآتي على شيخنا أبي حيان"[٥] وروى له - أيضا - طرفا من موشحاته، منها[٦]:

وبـي رَشَـاً أهْـيَـفْ قـد لَـجَّ فـي بُعْـدِي
بَـدْرٌ فـلا يُخْسَـفْ منـه سـنا الخَـدِّ
بلَحْظِـهِ المُرْهَـفْ يَسْـطُو علـى الأُسْـدِ

---

(١) طبقات الشافعية ٢٠٧/٩ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ٢٢٥/٩.
(٣) المصدر السابق ٢٧٩/٩.
(٤) المصدر السابق ٢٨٦/٩ وما بعدها.
(٥) المصدر السابق ٢٨٧/٩.
(٦) المصدر السابق ٢٩٠/٩ وانظر ص ١٦٩ من هذا البحث.

ومن مرويات السبكي - أيضا - قول الشيخ صدر الدين بن المرحل في موشحاته[١]:

غـــزالُ أنْـــــسٍ نـــــافِرْ ... نِيطَـــتْ بـــه التَّمـــــائِمْ
وغُصْـــنُ بـــانٍ نـــــاضِرْ ... أزهـــــارُهُ المَباسِـــــمْ
قلبـــي عليـــــه طـــــائرْ ... تَبْكِـــي لـــه الحمـــــائِمْ
وإن غـــابَ فَـــهْوَ حـــاضرْ ... بـــالفِكرِ لِـــي مُـــــلازِمْ

وقد أورد تاج الدين من شعره أبياتا رقيقة من قصيدة كتب بها من القاهرة إلى صديقه وأستاذه صلاح الدين الصفدي سنة ثلاث وستين وستمائة يقول فيها[٢]:

واهجـرْ غـزالاً نـارُ خـــــ ... ـــدَّيـــه إذا حقَّقـــتَ جَنَّـــهْ
وســـنانُ كـــم نبَّهتُـــه ... والعُجْبُ يُطبِـقُ منـه جَفْنَـهْ
مُتغـــافلٌ أدعـــوه مـــن ... وَجـدٍ إذا مـا الليـل جَنَّـهْ
فـي النَّفسِ حاجـاتٌ إليـــ ... ـــك من الوصالِ وفيـك فِطْنَـه
فـرضٌ علـى العيـنِ البُكـا ... إذْ لحظُـه للفَتْـكِ سُـنَّهْ
أحـوَى بديـعُ الحُسْـنِ ظبـ ... ـيٌ فـي الحقيقـةِ أو كأنَّـهْ
ولـهُ معَـاطِفُ مـا دَعَـا ... هُـنَّ الصَّبـا إلا أجَـبْـنَهْ
هـذا وذا مـع أنَّـه ... لـم يَلْتَفِـتْ يومـاً لأنَّـهْ
ويخـافُ مِـنْ واشٍ لـه ... عَيْـنٌ مُراقِبـةُ الأكِنَّـهْ
وفَـمٌ فُضُولـيٌّ تُقِـلُّ ... الرِّجـلُ منـه رأسَ فِتْنَـهْ
بَكَـرَ العـواذلُ فـي الغَـرا ... مِ يَلُمْنَنـي وألُومُهُنَّـهْ[٣]

---

(١) طبقات الشافعية ٩/٢٦٠ وانظر ص ١٦٤ من هذا البحث.
(٢) المصدر السابق ١٠/٩ وما بعدها.
(٣) هذا البيت والذي يليه لعبيد الله بن قيس الرقيات، ورواية البيت الأول في ديوانه ص ٦٦ تحقيق د. محمد يوسف نجم بيروت ١٩٥٨.

بكـرت علـى عواذلـي ... يلحيننـي وألومهنـه

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قد علا ... كِ وقد كَبِرتَ فقلت إنَّهْ
أبرزن لمَّا لُمْنَ قلـ ... ـبي المُضْمَراتِ المُسْتكِنَّهْ
فتحرَّكتْ نفسٌ على ... نارِ الصَّبابةِ مُطمئنَّهْ
قد هِجْنَ حين عَذَلْنها ... وعواذلُ العاني يُهجْنَهْ

ويروي لنا السبكي أن سعيد بن المسيب رضي الله عنه التابعي المحدث، مر ببعض أزقة البصرة، فسمع قائلا يقول[1]:

تضوَّعَ مِسكاً بطنُ نعمانَ إذ مشت ... به زينبٌ في نسوةٍ خَفِراتِ
لها أرجٌ من مِجمَرِ الهندِ ساطعٌ ... تَطَلَّعُ رياه من الكَفِراتِ

فضرب سعيد برجله الأرض، وقال: هذا والله يلذ سماعه ثم يروي بقية الأبيات:

يُخبِّئن أطرافَ البنانِ من التقى ... ويخرُجن جُنحَ الليلِ مُعتجراتِ
وليست كأخرى وسَّعَتْ جَيْبَ درعِها ... وأبدتْ بنانَ الكفِّ بالجمراتِ
وقامت تُرائي يوم جَمْعٍ فأفْتنتْ ... برؤيتِها من راح من عرفاتِ

وقد احتفى تاج الدين - كما ألمعنا من قبل - بفتاوى شعرية طريفة تدور حول حكم الضم والتقبيل، وأورد ردود العلماء عليها ورمى بإيرادها - كما أسلفنا - إلى أن الفقهاء استمعوا للشعر بقبول وإن كان فتاوى في لبانات العشق والهوى وردوا عليها بشعر طريف[2].

ويروي تاج الدين قصيدة ابن نباتة التي امتدح بها الشيخ ابن الزملكاني ومقدمة القصيدة غزلية يقول فيها[3]:

---

(١) طبقات الشافعية ٢٦٧/١ الأبيات لمحمد بن عبد الله النميري تشبب بزينب أخت الحجاج ابن يوسف. انظر الكامل ١٠٣/٢.
(٢) انظر ص ١٣٨ من هذا البحث وما بعدها.
(٣) طبقات الشافعية ١٩٣/٩ وما بعدها.

قضى وما قُضِيَتْ منكم لُباناتُ مُتَيَّمٌ عَبَثَتْ فيه الصَّبابـاتُ
ما فاضَ مِن جَفْنِه يومَ الرَّحيل دَمٌ إلا وفي قَلْبِه مِنكُمْ جِراحاتُ
الأبيات ....

ويصفها بأنها كلمة بديعة، حاول أدباء عصره معارضته، فما أحسنوا صنعه بل كل قصر ولم يلحق[١]. ولما أنشد الخياط الشاعر تاج الدين قصيدته التي عارض بها قصيدة ابن نباتة قال له تاج الدين: كيف رضي ابن الزملكاني بهذه عراضا لتلك يقصد تائية ابن نباتة، فحاول أن يطعن في قصيدة ابن نباتة لأنه استهلها بالغزل فقال: "أنا أنكرت على ابن نباتة تغزله ونسيبه اللذين جاء بهما على هذا الوجه وهو يمدح عالما من علماء المسلمين"[٢] ولم يعر السبكي هذا المطعن أي اهتمام بل علق بقوله: ومن أراد من أهل هذه المائة أن يلحق ابن نباتة في نظم أونثر أو خط فقد أراد المحال، وحاول ما لا يصير بحال[٣] مما يدل على أن ما أثاره الخياط ليس بمطعن عند السبكي ولا يغض من شأن الشعر.

فالإسلام لا يرفض من الشعر إلا ما كان هتكا للأعراض وتفحشا ينضح بالبذاء ولقد أثرت عن الأصمعي كلمات كان لها صدى عند بعض الباحثين مثل مقالته التي سبقت الإشارة إليها "الشعر نكد يقوى في الشر، فإذا دخل في الخير ضعف ولان"[٤] ومثل ما يرويه ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم قال: قال لي الأصمعي "شعر لبيد كأنه طيلسان طبري، يعني جيد الصنعة وليست له حلاوة، فقلت له: أفحل هو؟ قال: ليس بفحل. قال أبو حاتم: وقال مرة: كان رجلا صالحا كأنه ينفي عنه جودة الشعر"[٥].

---

(١) طبقات الشافعية ٩/٢٠٠.
(٢) المصدر السابق ٩/٢٠٠ وما بعدها.
(٣) المصدر السابق ٩/٢٠١.
(٤) الاستيعاب ١/١٣٠.
(٥) الموشح ص ١٠٠ لأبي عبيد الله بن محمد بن عمران المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ١٩٥٦.

وروى عنه الأصمعي – أيضا – أنه قال: "طريق الشعر هو طريق الفحول، مثل امرئ القيس، وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار فإذا أدخلته في باب الخير لان"[١].

مثل هذه الكلمات جعلت أحد الباحثين يقول: "والملاحظة التي وقف عندها النقد العربي. وأصر في كل حالة على موقفه هي أن الفن القولي لا يمكن أن يعيش في كنف الدين أو الأخلاق وكأن الأهداف الدينية لا تأتلف وطبيعته وكأن استهداف أوجه الخير يضعفه كما قال الأصمعي"[٢].

في كلام الباحث – في رأيي – ضرب من المبالغة والتعميم فكأن الأصمعي – عنده – هو النقد العربي كله، فما دام قد أثرت عنه أقوال مثل "الشعر بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف ولان" فإن الشعر والخير ضدان، وما دام لبيد – عنده – أصبح صالحا، فهو بهذا الصلاح ليس بفحل، فكأن من مقتضيات الفحولة أن يكون طالحا ذا شرة يستبهر بالفواحش!!! وهل نحن ملزمون بالتسليم للأصمعي بهذه الأحكام النابعة من ذوقه الشخصي الذي ربته المعاني السائدة في بعض الشعر الجاهلي، ونلحظ أن الأصمعي قد لخص لنا مقومات الشعر عنده في كلمته التي سلفت الإشارة إليها وحدد بها سمات الفحولة ومعالم طريق الشعر كما يراها فما خرج عما حدده من موضوعات فهو شعر "خير لين" وهذه الموضوعات التي ذكرها الأصمعي يتوقف دخولها في الشر والخير على أسلوب معالجتها ومناسبتها. ويمكننا أن نخرج بمعياره الذي وصفه قدرا من عيون الشعر الذي لا تجري موضوعاته على السنن الذي حدده وأطلق عليه "طريق الشعر" يمكننا أن نخرج من شعر زهير أشعاره في الحكمة، ومن النابغة شعره في الاعتذار، وكل شعر يشتمل على الحكمة والأمثال،

---

(١) الموشح ص ٨٥.

(٢) الأسس الجمالية في النقد العربي ص ١٨١ د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ٧ =، ١٩٥٥.

ويمكننا أيضا أن نتهم الأصمعي بالتناقض، إذ يبدو التعارض واضحا بين ما حدده من معالم طريق الشعر وكلمات - بعضها رواه، وبعضها من كلامه - في الثناء والإشادة بأشعار لا تدخل تحت معاييره هذه بحال: مثل ما قاله عن قصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري التي يقول في مطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

"كانت العرب تفضلها وتقدمها، وتعدها من حكمها، وكانت تسميها اليتيمة، لما اشتملت عليه من الأمثال"[1] ومثل ما روي أنه - أي الأصمعي - وأبا عمرو بن العلاء وغيرهما قالوا: أبرع بيت شعر قالته العرب قول أبي ذؤيب:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتَها وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

وقالوا أحسن ما قيل في الصبر قول أبي ذؤيب[2]:

وتَجلُّدِي للشامِتينَ أُرِيهُمُ أنِّي لرَيْبِ الدَّهرِ لا أتضعضعُ
حتى كأنِّي للحوادثِ مروةٌ بصفا المُشَرَّقِ كلَّ يومٍ تُقرعُ

وهذه الأبيات تدخل في باب الخير ومع ذلك شهد لها الأصمعي بالبراعة والحسن فلماذا لم تلن بدخولها في باب الخير مصداقا لما أثر عنه. وهي لا تجري على طريق الفحول كما وصفها الأصمعي وحدد معالمها. وليس هذا فحسب فقد اختار الأصمعي في اختياراته أبيات السموأل أخي سعية وهو السموأل بن غريض ابن عادياء المشهور - بالوفاء - وهي أبيات تتحدث عن نشأة الإنسان مذ كان نطفة، وتتحدث عن مصيره إلى الموت، ثم مرجعه إلى الله يوم البعث، ويذكر السموأل فيها الحساب. وهذه معان دينية بحتة تدخل في باب الخير فعلام اختارها الأصمعي - واختيار المرء قطعة من عقله - وهي من الشعر اللين بمعاييره وليست على طريق

---

(١) المفضليات ص ١٩٠.
(٢) المصدر السابق ص ١٩٠.

الفحول كما عرفها.

يقول السَّمَوْأل في الأبيات[1]:

نطفةً مـا مُنيتُ يـومَ منيتُ ... أُمِرتْ أمرهـا وفيـها وُبيتُ
كنَّها اللهُ فـي مكـانٍ خَفـيٍّ ... وخفـيٍّ مكانُـها لـو خَفِيتُ
أنـا مَيْتٌ إذ ذاك ثُمَّتَ حـيٌّ ... ثـم بعـد الحيـاةِ للبعـثِ مَيْتُ
إن حِلمـي إذا تغيَّـبَ عنِّـي ... فـاعلمي أننـي كبـيرٌ رُزيتُ
فـاجعلنْ رزقـيَ الحـلالَ مـن الكَسْـبِ ... وبِـراً سـريرتي مـا حَييتُ

ثم يقول:

مَيْتَ دهـرِي قـد كنتُ ثـم حييتُ ... وحيـاتي رَهْـنٌ بـأن سـأموتُ
وأتتنـي الأنبـاءُ أنِّـي إذا مـا ... مِـتُ أو رَمَّ أعظمـي مبعـوتُ

ومنها:

ينفـع الطيّـبُ القليـل مـن الـرزق ... ولا ينفـعُ الكثـير الخبيـث

وإذا كانت هذه المعايير السالفة الذكر خاصة بالأصمعي وذوقه فهل يجوز لنا أن نأخذها بقوة لنقفذ إلى الحكم الذي قفذ إليه الباحث وهو "أن الفن القولي لا يمكن أن يعيش في كنف الدين أو الأخلاق، ومن الخطأ البين - في رأيي - أن نحكم على الفن القولي بالضعف لمجرد أن كان موضوعه أخلاقيا وفي كنف الدين ومن التحكم أن نقول إن الأهداف الدينية والأخلاقية لا تأتلف مع الفن ضربة لازب، لأن الأصمعي قال قولته تلك، فالشعر فن، والفن انفعال ذاتي بالأحداث والأشياء، وعلى قدر صدق معاناة الشاعر وبراعته في التعبير والتصوير يكون الإبداع والتأثير.

ثم يصطدم الباحث بشهرة قصيدة كعب بن زهير التي أنشدها بين يدي

---

(١) الأصمعيات ص ٨٥ وما بعدها، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: "أما قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير، فإن شهرتها لم تكن ترجع فيما يبدو إلى فنيتها، ولكنها كذلك لم تكن ترجع إلى العنصر الديني فيها فحسب، فقد اشتملت إلى جانب العنصر الديني (مدح الرسول) على عنصر العصبية (مدح قريش والإنحاء على الأنصار) الذي كمن في النفوس مرة ثم عاد فاستعلن"[1].

وواضح أن الباحث يجعل من أهم أسباب شهرتها ما أسماه عنصر العصبية وأين عنصر العصبية في القصيدة الذي يذكره الباحث، لعله اعتمد في استنباط هذا الحكم على بيت واحد قاله كعب يعرض بالأنصار لما استقبلوه به من غلظة، فهم لم ينسوا له ما ذكر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل. يقول صاحب طبقات فحول الشعراء: "فتجهمته الأنصار وغلظت عليه لما ذكر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانت له قريش وأحبوا إسلامه وإيمانه. فقال:[2]

يمشُونَ مشْيَ الجمالِ الزُّهـــرِ يعصِمُـهمْ ضـربٌ إذا عَـرَّدَ السُّـــودُ التَّنـــابِيلُ

يعرض بالأنصار، لغلظتهم عليه. فأنكرت قريش ما قال: وقالوا لم تمدحنا إذ تهجوهم ولم يقبلوا ذلك حتى قال[3]:

مـن سـرَّه كـرمُ الحيـاةِ فـلا يـــزَلْ فـي مِقْنَـبٍ مِـن صـــالحِ الأنْصـــارِ
البَـــاذلينَ نفوسَـــهُمْ ودمـــاءَهُمْ يـــومَ الـــهِياج وسـطْوةِ الجبَّـــارِ
يَتطـــهَّرون كأنَّـــه نُسُـــكٌ لـــهُمْ بدمـاءِ مَـن عَلِقُـوا مـن الكفَّـار
صدَمُـوا قُريشًـا يـومَ بـدرٍ صدمـــةً زالـتْ لوقْعتِـها جميـــعُ نِـــزارِ

فظاهر من الرواية المتقدمة أن البيت الذي يعرض بالأنصار جاء رد فعل

---

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي ص ١٨٢.
(٢) طبقات فحول الشعراء ١٠٠/١.
(٣) المصدر السابق ١٠٢/١ وما بعدها، وانظر الأبيات في ديوان كعب شرح السكري في الصفحات ٢٥، ٢٧، ٣٥، ٣٤.

لغلظة الأنصار عليه في نفس المقام الذي جاء فيه مسلما ثم راجعته قريش فتراجع فما حجم هذه العصبية في القصيدة التي جعلت الباحث يقول: "إنها من أسباب شهرة هذه القصيدة"، ويكشف لنا تهافت هذا الاستنتاج موقف قريش من البيت فهو لم يجد عندهم قبولا، فقالوا لكعب: - وهم يصدرون عن العقيدة التي أماتت دعوى الجاهلية وأذهبت عبيتها - "لم تمدحنا إذ هجوتهم" كان يكون لكلام الباحث حجة تنهض به إذا كان لهذا البيت صدى إعجاب في نفوس قريش أو إذا هيج عصبيتهم فقالوا لكعب: لله أبوك، فتجهمتهم الأنصار، وتساور الحيان واستطار الشر بينهما. إذا حدث ذلك، كان يمكن أن نجد مبررا لكلمات الباحث وزعمه أن من أسباب شهرة قصيدة كعب عنصر العصبية الذي كمن في النفوس ثم عاد فاستعلن، ولكن كلمات قريش تكذب زعمه فهي تنبئ عن عمق الإخاء وصدقه الذي أصله الدين في قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويجعل مدح أخيه من مدحه.

نستطيع أن نخلص من هذا الفصل إلى أن السبكي قد استطاع أن يجلو موقف الإسلام من الشعر، وقد أفاد من ثقافته الحديثية في توجيه الأحاديث وفي الجمع بينها حين تعارضت، واعتضد لرأيه - أيضا - بما رواه مسندا من الشعر الذي أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستحسنه وأجاز عليه واستطعنا أن نتعرف على اللون الذي لا يحبذه الإسلام من الشعر وهو ما كان مشتملا على فحش أو هتك عرض، أو ما كان محرضا على الرذائل والقبائح. ولمسنا - أيضا - الروح التي أفصحت عنها مرويات السبكي من أشعار العلماء مما يدل على أن القضية كانت واضحة في أذهانهم، فقد تميزت أشعارهم بالخفة والعفة، وما تجهموا لأشعار الظرفاء الذين استفتوهم في لبانات الهوى. ولعل فيما ساقه السبكي في موضوع الإسلام والشعر جلاء بيانا.

الفصل الثاني

أحكامه النقدية وشروحه

وقف السبكي من خلال كتابه الطبقات وقفات نقدية مع بعض النصوص الأدبية يدل على مواطن الضعف والقوة في النص الأدبي، وقد يختار لفظا على لفظ مستحسنا تارة، ومستهجنا تارة أخرى. ولا يكتفي بهذا بل يبين ما كان ينبغي أن يكون عليه النص ليكون مستقيما لفظا ومعنى. وإذا عرض لنص درس من قبل يستعرض ما قاله الدارسون قبله، ثم يبدي رأيه، وهذا منهج علمي صالح وإن لم تخل بعض أحكامه من أن تكون تعبيرا عن الانطباع الكلي، يصدر فيها عن ذاتية: مستحسنا أو مستهجنا من غير تفصيل ولا تعليل ومن ثم اتسمت بالجزئية والتعميم شأن النقد في مرحلته الأولى.

أ_ يتناول تاج الدين العماد الكاتب فيقول: "أكثر ما يعاب عليه كثرة استعمال الجناس، لاسيما في النثر، بحيث تضيق به الأنفاس، يكاد لا يترك للفظة مجالا، وإنما يحسن الجناس إذا خف على القلب واللسان ولم يتعد المرتين"[1] يشير ابن تقي الدين السبكي إلى ظاهرة تتعلق بموسيقى الكلام فمن توالي هذه الألفاظ المتجانسة بكثرة تضيق الأنفاس وتنبهر، وتعي بالكلام وتتعثر، وهذا يورث الألفاظ نبوا وقلقا فلا تستقر كلمة في مكانها ولا تجد مجالا تسلس به على اللسان. ويعطينا تاج الدين معيارا لما يحسن من الجناس فيقول: "إنما يحسن إذا خف على القلب واللسان ولم يتعد المرتين" ولعله ألمح بلفظة اللسان إلى سهولة مخارجه واطراد نسقه من غير كثرة واستكراه وبالقلب إلى أن المعنى يقتضيه، فليس فيه تعسف وتكلف. فهو يخف على اللسان بلا معاظلة وعلى القلب بصحة المعنى. ويثري أحكامه النقدية بذكر جهود من سبقوه في هذا المجال، وهذه توضح منهجية تاج الدين، فهو لا

---

(1) طبقات الشافعية ٦/١٨٠ وعند عبد القاهر الجرجاني لا يكون حسنا حتى يكون تابعا للمعنى، فهو يقول: فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه ... ومن هاهنا كان أحلى تجنيس نسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه انظر أسرار البلاغة ص ١٥.

يهمل رأي من سبقه بالحديث في ذات الموضوع، فيروي ما ذكره القاضي صلاح الدين الصفدي من ملاحظات على أدب ابن العماد فهو يرى أن شعره ألطف من نثره ويرد المسألة إلى إكثاره من الجناس في النثر، وهذا الذي جعله أقل فنية وجودة من شعره أما الشعر فقد سلم من الإسراف في الجناس لأن طبيعة النظم في الشعر والوزن كانت تضيق عليه المسالك فلا تدعه يتمكن من الجناس[١]، فهو لطف اضطراري. ويستمر تاج الدين في إيراد حديث الصفدي عن ابن العماد، فيورد ما استشهد به الصفدي من كلام ابن العماد الخالي من الجناس كقوله "فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتها والآية التي لا أخت لها، فيقول هي أكبر من أختها. أفضت الليلة الماطلة إلى فجرها، ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها، وجاءت بواحدها الذي تضاف إليه الأعداد وملكها الذي له الأرض بساط، والسماء خيمة، والحبك أطناب، والجبال أوتاد، والشمس دينار، والقطر دراهم، والأفلاك خدم، والنجوم أولاد"[٢] وهذا - في رأي الصفدي - عذب في السمع وقعه، واتسع في الإحسان صقعه[٣] لخلوه من الجناس.

ثم ذكر من كلامه المشتمل على الجناس ما يصفه الصفدي بالقلق في التركيب والتعسف[٤]، وهو قوله: من جواب مكاتبة "فوقف الخادم عليه وأفاض في شكر فيض فضله المستفيض، وتبلج وجه وجاهته وتأرج نبأ نباهته ما عرفه من عوارفه البيض"[٥].

وكأن السبكي بروايته آراء الصفدي يريد أن يشرك القارئ في هذه النظرة النقدية المبينة بنماذج من نثر العماد. ومن سداد المنهج أن يعرض آراء من سبقوه

---

(١) طبقات الشافعية ١٨٠/٦.
(٢) المصدر السابق ١٨١/٦.
(٣) المصدر السابق ١٨١/٦ وانظر الوافي بالوفيات ١٣٤/١.
(٤) المصدر السابق ١٨١/٦ وانظر الوافي بالوفيات ١٣٤/١.
(٥) المصدر السابق ١٨١/٦.

كما ألمعنا من قبل.

ثم يعقب بعد ذلك بقوله: "والأمر كما وصف، ولقد يمج سمعي فواتح أبواب (الخريدة) كما يكثر فيها الجناس، ورد العجز على الصدر"[١] وهنا يحكم تاج الدين ذوقه وحاسته السمعية إذ نسب السآمة للسمع "ولقد يمج سمعي ..." والنقد منصب على الشكل وموسيقى الكلام. ولكن السبكي - فعل الناقد القاضي الذي يتحرى النصف في القضايا - بعد أن بين مواطن القبح استثنى فقال: "ولكن قد يقع له الجناس المطبوع، وأكثر ما يكون ذلك في شعره" وهو متفق مع أستاذه الصفدي في علة لطف شعر ابن العماد الذي يضايقه فيه الوزن فلا يدعه يتمكن من الإغراق في الجناس. ويستشهد السبكي بمطلع قصيدة لابن العماد يمدح بها القاضي الفاضل:

.....[٢]

ويأتي تاج الدين بشاهد من شعره يدلل به على ملاحظاته السالفة. فيقول "كقوله، وقد ساير القاضي الفاضل وقد انتشر الغبار لكثرة فرسان العسكر[٣]:

أمّـــا الغبـــــارُ فإنّـــــه ممـــــا أثارَتْـــــهُ السَّـــــنابِكْ
والحـــــقُّ منـــــه مُظْلـــــمٌ لكـــــن أنارتْـــــهُ السَّـــــنابِكْ
يـــا دهـــرُ لـــي عبـــدُ الرحيـــ ـــمِ فلستُ أخْشَـــى مـــسَّ نـــابِكْ

ويعقد مقارنة موجزة بين عبارة للعماد وأخرى للقاضي الفاضل قال ابن العماد للقاضي الفاضل وهو يساير: "سر فلا كبا بك الفرس" وأجابه القاضي: "دام علا العماد" يقول تاج الدين: "ولا يخفى أن جواب القاضي الفاضل أرشق وأحلى من كلام العماد. وأن بين كلاميهما كما بينهما"[٤]، وكلمة أحلى وأرشق تعبير تأثري

---

(١) طبقات الشافعية ١٨١/٦.
(٢) المصدر السابق ١٨١/٦ نص المحققان بأنه سطر بياض.
(٣) المصدر السابق ١٨٢/٦.
(٤) المصدر السابق ١٨٢/٦.

عن وقع الكلام في حس وذوق الناقد.

ونلحظ أن نقد تاج الدين للعماد كله منصب على الناحية الشكلية. وحقا لقد كان كلف أدباء العصر بالمحسنات اللفظية بلاء نازلا على الأدب دمغه بالضعة والضعف. ويعلل مصطفى صادق الرافعي كلف المتأخرين بالمحسنات اللفظية، بضعف اللغة، فاللغة لما أخذت تضعف فشت الصناعات فيها، "ووجد الأدباء من جهل الخاصة وانصرافهم عن الأدب الصحيح ما صرفهم إلى أنفسهم فتنافسوا في الاكتساب والإغراب، وصارت الصناعات مقصودة لذاتها فتبعتها اللغة بعد أن كانت متبوعة، وصار أول ما يجيد الشاعر أن يطرح معمى أو ينظم لغزا أو يبرع في بعض أنواع الجناسات"[1] فأصبح الأدباء يؤتون من غرامهم بالصناعات اللفظية ومن ثم كثر النعي عليهم من هذه الجهة.

ب_ ولا يقف تاج الدين عند التعليق على النصوص فحسب. ولكنه يستبطن النص، فيوضح مواطن الضعف ثم ما ينبغي أن يكون عليه النص ليكون بريئا من العيب مستقيما لفظا ومعنى. فعل ذلك في أبيات يمدح بها الحافظ أبو الطاهر السِّلَفِي[2] أبا بكر بن السمعاني[3] فيقول:

---

(١) تاريخ آداب العرب ص ٣٨٢.

(٢) هو الحافظ أبو طاهر السلفي، يقول في ترجمته السبكي، كان حافظا جليلا واسع الرحلة، دينا ورعا فقيها لغويا انتهى إليه علو الإسناد، قيل مولده سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تخمينا لا يقينا، هو أصبهاني الأصل رحل إلى بغداد وغيرها ثم استوطن الإسكندرية وصارت له بها وجاهة. توفي سنة ست وسبعين وخمسمائة. طبقات الشافعية ٣٢/٦ وما بعدها.

(٣) الإمام أبو بكر بن الإمام أبي المظفر بن الإمام أبي منصور بن السمعاني، الفقيه الأديب، المحدث، الحافظ، برع في الأدب والفقه وبرز في علم الحديث رجالا وأسانيد ومتونا، مولده سنة ست وستين وأربعمائة كانت له إحاطة بالتواريخ والأنساب توفي سنة عشر وخمسمائة عن ثلاث وأربعين سنة انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٥/٧ _ ١٠.

هـــو المُزَنـــيُّ إبَّـــانَ الفتـــــاوَى وفـــي علـــمِ الحديـــث الـــتِّرْمِذِيُّ
وجـاحظُ عصـرِه فـي النـثرِ صِدْقـــاً وفـــي وقـــتِ التَّشـــاعُرِ بُحْـــتُرِيُّ
وفـي النحـوِ الخليـلُ بـــلا خـــلافٍ وفـــي حِفْـــظِ اللغـــاتِ الأصْمَعِـــيُّ

يقول تاج الدين: "وددتُ لو قال: وفي الشعر الأديبُ البُحْتُريّ وسلم من لفظ التشاعر، ومن تنكير البحتري"[١].

وكلمة "التشاعر" - في رأيي - معيبة من حيث أنها توحي بالتكلف في الشعر ومنها قولنا "فلان متشاعر" وقد أوقعته الضرورة فيها وفي تنكير "البحتري" والضرورة[٢] إن كان في التعبير سعة ومندوحة فيحسن اجتنابها. بل اجتنابها أدل على مقدرة الشاعر اللغوية. وقد أبان تاج الدين السبكي بإصلاحه النص عن بصر سديد فيما يحسن من صياغة في الشعر ولا شك أن الفرق ظاهر بين كلمة البحتري بالتعريف الدالة على علم معروف وبين "بحتري" النكرة التي تعم كل من نسب إلى بحتر، وليس كل من نسب إلى بحتر أصبح ضرورة بهذه النسبة الشاعر المفلق المجيد الذي يضرب به المثل في الإجادة.

جـ ويورد تاج الدين وقفة نقدية ممتعة في ترجمة الشيخ تاج الدين المراكشي فقد دخل عليه تاج الدين السبكي مرة وهو ينشد قول ابن بقى[٣]:

حتـى إذا مـالت بـه سـنةُ الكَـرَى زحزحتُـه شـيئا وكـان مُعـانقي
أبعدتُـه عـن أضلـعٍ تشـتاقُهُ كـي لا ينـامَ علـى وسـادٍ خـافق

---

(١) طبقات الشافعية ٩/٧، البحتري نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر.

(٢) انظر العمدة ٢٦٩/٢ حيث يقول ابن رشيق "على أنه لا خير في الضرورة، على أن بعضها أسهل من بعض، ومنها ما يسمع عن العرب ولا يعمل به، لأنهم أتوا به على جبلتهم والمولد المحدث قد عرف أنه عيب ودخوله في العيب يلزمه إياه"، العمدة لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٧٢.

(٣) هو يحي بن عبد الرحمن بن بقى الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور توفي سنة أربعين وخمسمائة، انظر ترجمته في معجم الأدباء ٢/٢٠.

وقول الحكم بن عقال:

إن كـــان لا بـــدَّ مـــــن رُقـــــاد لأضلُعـــي هـــاك عـــــن وِســـــاد
ونـــمْ علـــــى خفقِـــــها هُـــــدُوّاً كـــالطفلِ فـــي نَهْنَـــهِ المِـــــهادِ[1]

وهو ومن عنده يقولون "إن قول الحكم أجدر بالصواب فإنه لا يناسب المحب أن يبعد حبيبه، وينشدون قول الشيخ صلاح الدين الصفدي، أمتع الله ببقائه في ذلك ردا على ابن بقى[2]:

أبعدتَـــه مـــن بعـــد مـــا زَحزحتَـــه مـــا أنـــتَ عنـــدَ ذوي الغـــرامِ بعاشـــق
إن شـــئتَ قـــلْ أبعـــدتُ عنـــه أضـــالعي لِيكـــونَ فِعـــلَ المُســـتهامِ الوامِـــق
أو قلْ فبـــات علـــى اضطـــرابِ جَوانحـــي كـــالطفلِ مُضطجِعـــاً بمـــهدٍ خـــافق

يقول تاج الدين السبكي: "إن ابن بقى وإن أساء لفظاً حيث قال: أبعدته، فقد أحسن معنى، لأنه وصف أضلعه بالخفقان والاضطراب الزائد الذي لا يستطيع الحبيب النوم عليها، فقدم مصلحته على مصلحته، وترك ما يريد لما يريد، وأبعده عما يقلقه ولو قال:

أبعـدت عنـه أضلعـا تشـتاقه

لأحسن لفظا كما أحسن معنى، وأما الحكم فإنه وصف خفقانه بالهدوء، وهو خفقان يسير يشبه اضطراب سرير الطفل، وهذا نقض، فوقع النزاع في ذلك"[3].

يتضح مما تقدم أن تاج الدين يوافق الناقدين على قبح كلمة "أبعدته" وإن كان يشهد للشاعر بإجادته المعنى حين وصف هذه الأضلع التي خاف على محبوبه منها لما فيها من شدة الخفقان، وجيشان الصبابة ولواعج الوجد فقد أثبت حرارة الوجد وشدة الشوق لحبه، فهذا فيه إصابة معنى كما يرى تاج الدين ويورد نقد

---

(١) نهنه: الثوب الرقيق النسج، انظر القاموس مادة "نهنه".
(٢) طبقات الشافعية ١٤٨/٩ وما بعدها.
(٣) المصدر السابق ١٤٩/٩.

الشيخ صلاح الدين الصفدي الذي جاء شعرا. فهو يقول: كان الأوفق أن يقول الشاعر: وأبعدت عنه أضالعي، ليكون فعل المستهام الوامق، وهذا التركيب لا يسد - في رأيي - خلل المعنى الذي يخشاه الصفدي لأن "أبعدت عنه أضالعي" على إطلاقها توهم بأنه نفر وفر عنه، وهذا يطعن في صدق الشوق والتوق للمحب، وهنا يشأى تاج الدين السبكي نقد الصفدي وتصويبه للبيت حين يضع كلمة "تشتاقه"، فيأتي تصويب تاج الدين على هذا النحو:

أبعدت عنه أضلعا تشتاقه

فجعل المبعد الأضالع. وليس المحبوب وأثبت كلمة "تشتاقه" التي حذفها الصفدي وبإثباتها أصبح البيت ينبض بالمعاناة وشدة الصراع بين رغبتين تتنازعان الشاعر: فهو يريد شفاء شوقه وري ظمئه بالتصاق هذا الحبيب بأضالعه. وفي الوقت نفسه يخشى عليه من قلق المرقد ونبو المضجع. لما يعتمل داخله من جيشان المشاعر واهتزامها، فهو - إذن - متنازع بين رغبتين: رغبته في شفاء شوقه بالتصاق هذا الحبيب بأضالعه، ورغبته في إبعاده عما يقض مضجعه ويلهب مرقده. وكلمة "تشتاقه" التي وافق عليها تاج الدين الشاعر تصبح قرينة مانعة من النفرة والفرار والتفريط في لبانة من لبانات الحب. ويصبح المعنى - كما قال السبكي - أنه قدم مصلحة محبوبه وهو النوم القار بعيدا عن ما يقلقه ويقض مضجعه، على مصلحته في القرب وشفاء الوجد والشوق وهذا التفسير يدلنا على سداد تصويب تاج الدين للبيت.

ثم يورد تاج الدين حكم القاضي شهاب الدين أحمد بن يحي لما سئل عن ابن بقى والحكم، أيهما المصيب؟ وتأتي إجابته موافقة لرأي تاج الدين: أن وصف الأضلع بالخفقان والاضطراب حسنت المعنى وأبانت عن صدق الشاعر. يقول شهاب الدين:

قـولُ ابـــن بقّـــيٍّ عليـــه مـــأُخَذٌ ... لكنـــه قـــولُ المحـــبِّ الصـــادقِ
يَكْفِيـه فـي صِـدْقِ المَحبَّـةِ قولُـهُ ... كـي لا ينـامَ علـى وســاد خـافقِ
مـا الحـبُّ إلا مـا يُـهَدُّ لـه الحشـا ... ويَـهُدُّ أيْسَـرُه فـؤادَ العاشـق[1]

ويزيد تاج الدين قراءة من النص الذي دار حوله النقاش، فيقول: "وأبيات ابن بقى هذه من كلمة له حسنة، وهو[2]:

بـأبي غـزالٌ غازلتْـه مقلتـي ... بيـن العُذيـبِ وبيـن شَـطَّيْ بـارقِ
وسـألتُ منـه زيـارةً تشـفي الجَـوا ... فأجـابني منـها بوعـدٍ صـادقِ
بتنـا ونحـن مـن الدجـا فـي خَيْمـةٍ ... ومـن النجـومِ الزُّهـرِ تحـتَ سُـرادقِ
عاطيتُـه والليـلُ يسـحبُ ذيلَـه ... صـهباءَ كالمسـكِ الفتيـق لناشـق
وضممتُـه ضـمَّ الكَمِـيِّ لسـيفِهِ ... وذؤابتـاه حمـائلٌ فـي عـاتقي
حتـى إذا مـالتْ بـه سـنةُ الكـرى ... زحزحتُـه شـيئا وكـان مُعـاتقي
أبعدتُـه عـن أضلُـعٍ تشـتاقه ... كـي لا ينـامَ علـى وسـادٍ خـافقِ
لمَّـا رأيـتُ الليـلَ آخـرَ عُمْـره ... قـد شـاب فـي لِمَـمٍ لـه ومَفـارقِ
ودَّعـتُ مـن أهـوى وقلـتُ تأسُّـفاً ... أعـزِزْ علـيَّ بـأن أراك مُفـارقي

د_ وينتقل تاج الدين السبكي إلى نقد يتعلق باللفظ يذكره به النقد المتقدم، فيقول: "ويقرب من هذه النكتة أن جريرا قال[3]:

طرقتـك صـائدةُ الفـؤادِ وليـس ذا ... وقـتَ الزيـارةِ فـارجعي بسـلامِ

فعيب عليه قوله: "فارجعي" وهو نقد حسن، فأي لفظ أبشع من قول المحب لمن يحب: "ارجع"[4] ثم يورد - كما فعل آنفا - نقد الشيخ صلاح الدين

---

(١) طبقات الشافعية ١٤٩/٩.
(٢) المصدر السابق ١٤٩/٩ وما بعدها.
(٣) ديوان جرير ص ٥٥١ من قصيدة مطلعها:

سـرت الـهموم فبتـن غـير نيـام ... وأخو الـهموم يـروم كـل مـرام

(٤) طبقات الشافعية ١٥٠/٩ قال الآمدي: "وقد استجفى الناس قوله فارجعي بسلام

====

الصفدي للبيت، فيقول: "رأيت الشيخ صلاح الدين الصفدي نفع الله به، قد قال رادا عليه[1]:

يـــا خجلتـــا لجريـــرٍ مـــن قـــولِ كفانـــا اللهُ عـــارَهْ
طرقتـــك صـــائدةُ الفـــؤا دِ وليـــس ذا وقـــتَ الزيـــارهْ
هـــل كـــان يلقـــى إن أتـــا ه خيـــالُ مـــن يَـــهوَى خَســـارهْ
أو كـــان قَلْـــبٌ قـــد حـــوا هُ مـــن حديـــدٍ أوحِجـــارَهْ

ويعجب تاج الدين من الصفدي كيف لم يشر إلى كلمة "ارجعي" يقول تاج الدين: "فعجبت له كيف ترك لفظة 'ارجعي' وهو أبشع ما عيب به على جرير، وقلت[2]:

أمـــا جريـــرُ فجـــرَّ ثـــوبَ العَـــارِ فـــي دعْـــوَى الضَّـــنَى ولـــه دِثـــارُ غَـــرامِ
إذ كَـــذَّبَ الدَّعـــوى وقـــال لـــها وقَـــدْ زارَتْـــهُ فـــي الغَلَـــسِ ارْجِعِـــي بسَـــلامِ

ثم قلت: لعل الشيخ صلاح الدين إنما ترك لفظة الرجوع لنكارتها، وقلت[3]:

إنـــي لأعجـــبُ مـــن جريـــرٍ وقولِـــه قـــولاً غَـــدَوتُ بـــه أُنكِّـــرُ حالَـــهْ
طَرَقَتْـــكَ صـــائدةُ الفُـــؤادِ وليـــس ذا وُقْـــتَ الزيـــارة فاســـتمع أقوالَـــهْ
واعـــذِرْ فلســـتُ بقـــادرٍ واللهِ أن أحكـــي الـــذي بعـــدَ الزِّيـــارةِ قالـــهْ

فهو يستدرك على الصفدي ويعجب كيف ترك لفظة "ارجعي" وهو أبشع ما

= وإنما قال هذا لأنه عاتب عليها، ألا ترى إلى قوله بعد هذا:

لو كـــان عـــهدي كـــالذي عاهدتـــها لوصلـــت ذاك فكـــان غـــير رمـــام

ويروي أبو الفرج أن جريرا جاء إلى باب سكينة بنت الحسين يستأذن عليها فلم تأذن له، وخرجت إليه جارية لها فقالت: تقول لك سيدتي أنت القائل: طرقتك صائدة القلوب، قال: نعم. قالت: فألا أخذت بيدها فرحبت بها وأدنيت مجلسها وقلت لها ما يقال لمثلها، أنت عفيف وفيك ضعف. فخذ هذين الألفين فالحق بأهلك. الأغاني ٣٧/٨ ط ٤ بيروت ١٩٧٨.

(١) طبقات الشافعية ١٥٠/٩.
(٢) المصدر السابق ١٥١/٩.
(٣) المصدر السابق ١٥١/٩.

عيب به على جرير. وعاب عليه "وليس ذا وقت الزيارة" فحسب. ويضمن تاج الدين السبكي رأيه النقدي في استقباح "ارجعي" بيتين من الشعر، يصف جريرا بأنه "كذب الدعوى" ويبدو تأثر تاج الدين بمهنة القضاء واضحا في نقده، فلفظة "الدعوى" اصطلاح قضائي، ويدرأ تاج الدين القاضي بالشبهة حكمه على الصفدي بالغفلة عن كلمة "ارجعي" كأنه يتأثر القاعدة الشرعية - وهو قاض - "ادرأوا الحدود بالشبهات" فيقول: لعل الشيخ صلاح الدين إنما ترك لفظة الرجوع ولم يشر إليها في أبياته النقدية لنكارتها. ويمكن الرد على هذا العذر الذي يسوقه تاج الدين لتبرئة ساحة الصفدي من الغفلة، بأن المقام مقام نقد وإنكار، ومن تمام منهج الناقد أن يورد ما يراه معيبا في النص من غير إضراب عن ذكره، ولكن تاج الدين درأ بالشبهة حكمه على صاحبه بالغفلة وقال أبياتا توضح أنه يثقل على اللسان ذكر ما قال جرير[1]:

إني لأعجبُ من جريرٍ وقولِه ... قولاً غَدَوتُ به أُنكِّرُ حالَهْ

طَرَقَتْكَ صائدةُ الفُؤادِ وليس ذا ... وُقْتَ الزيارة فاستمع أقوالَهْ

واعذِرْ فلستُ بقادرٍ واللهِ أن ... أحكي الذي بعدَ الزِّيارةِ قالَهْ

والطريف في الأمر أن تساق قضايا النقد شعرا، وليس عجيبا أن يعجب صلاح الدين العذر الذي اتخذه له تاج الدين، فيزعم أن السبكي اعترف له بحسن النقد، يقول تاج الدين: "فلما وقف الشيخ صلاح الدين على كلامي هذا كله، زعم أني أعترف له بحسن النقد"[2]. وهو عذر ليس فيه ما يبرره، وربما قوى درء الحكم بالشبهة أو العذر المجاملة التي اقتضتها علاقة الود بين السبكي وصلاح الدين الذي تخرج به في الأدب وهو صبي يافع. فليس في النص ما يؤيد السبكي في قوله: "إن صلاح الدين ترك لفظة «ارجعي» لنكارتها ولا يضير الناقد أن يذكر سقطة مهما كانت نكارتها في نص ليس مسئولا عن إنشائه، وكيف ندت عن تاج الدين - وهو رجل فقه

---

(١) انظر الأبيات في طبقات الشافعية ١٥١/٩.

(٢) المصدر السابق ١٥١/٩.

- مقالة الفقهاء: "حاكي الكفر ليس بكافر"!!!

ولقد سارع الصفدي بعقب أبيات تاج الدين، واتخاذه له العذر في الغفلة في كلمة "ارجعي" فنظم أبياتا عرض فيها للفظة "ارجعي" تصريحا فليت شعري هل خفت نكارتها فعاد يذكرها بعد أن أضرب عنها حينا؟ أم خشي أن يتهم بالغفلة من ناقد آخر لا يراعيه كما راعاه تاج الدين فبادر يذكرها في قوله[1]:

أمّـــا جريـــرُ فلـــم يكـــن صبًّـــا ولكـــن يَدَّعـــي
أو مـــا تـــراه أتتـــه صـــا ئـــدةُ الفـــؤادِ فلـــم يَعِـــي
بـــل قـــال جـــهلاً ليـــس ذا وقـــتَ الزيـــارةِ فـــارجعي
لـــو كنـــتُ حـــاضرَ أمـــرِه قلـــت ارجعـــي ولـــه اصفعـــي

ويعلق السبكي على النقد المتقدم بقوله: "ولا يخفى أن هذه الاعتراضات كلها لفظية طرقت قائلها: ولم يحقق، فإن جريرا لم يقصد برجوعها إلا الشفقة عليها من الزيارة في غير وقت الزيارة، فجاءه الاعتراض من لفظة الرجوع فقط كما جاء ابن بقي من لفظة "الإبعاد" وربما أتي أقوام من سوء العبارة"[2].

وغلبت على تاج الدين السبكي عادته في تخفيف الأحكام باتخاذ المعاذير ولا أحسب أن الإساءة في الألفاظ هنة هينة في النص الأدبي، فهي قوالب المعنى ومما يحاسب الشاعر عليه ألفاظه وصياغته، فمن أساء في اللفظ فقد أساء التعبير، فالفن يقتضيه أن يعبر عن المعنى الصحيح بلفظ مصيب، ولا يعذر بالنية والقصد إن قصر أو سقط في أثناء التعبير عما في نيته ومقصده من المعاني.

التزام السبكي:

كان تاج الدين إذا قرأ شعرا ووجد فيه ما يخالف هدى الإسلام أو عقيدة

---

(١) طبقات الشافعية ٩/١٥١.
(٢) المصدر السابق ٩/١٥١.

أهل السنة التي كان يعتقدها تصدى له وبين ما فيه من انحراف ونكاد نقول هو ناقد ملتزم بعقيدة أهل السنة، ولعل تتبعه لمناقشات المعتزلة وغيرهم من الفرق في القضايا المتصلة بالعقيدة قد أكسبه حساسية تجاه ما يقرأ من أشعار فهو لا يدعها من غير تمحيص، ثم ينص على مواطن الانحراف.

في ترجمة الفيروزآبادي يورد بيتين من جملة أبيات يرفعها بسنده إلى الإمام أبي إسحاق الشيرازي الذي أنشدها ببغداد ولم يسم قائلها والبيتان هما:

تبارك رزّاقُ البريَّةِ كلِّها ... على ما أراد لا على ما استحقتِ
فكم عاقلٍ لا يَستبيتُ وجاهلٍ ... ترقَّتْ به أحوالُه وتعلَّتِ[1]

ويقول: "تبارك رزاق البرية" البيتين، أصدق من قول أبي العلاء المعري[2]:

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيتْ مذاهبُه ... وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهامَ حائرةً ... وصيَّر العالمَ النحريرَ زنديقا

ثم يقول تاج الدين: "قبحه الله، ما أجرأه على الله عز وجل، وقد أحسن الذي قال نقضا عليه[3]:

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيتْ مذاهبُهُ ... وجاهلٍ جاهلٍ شبعان ريَّانا
هذا الذي زاد أهلَ الكُفْرِ لا سلموا ... كُفراً وزاد أولي الإيمان إيمانا

فهو يرى في البيتين المنسوبين إلى المعري روح الاعتراض على ما تجري

---

(١) طبقات الشافعية ٢٣٢/٤، يقال فلان لا يستبيت ليلة: أي ما له بيتُ ليلة، أي قوت ليلة، والمستبيت الفقير، انظر القاموس مادة "بيت".

(٢) المصدر السابق ٢٣٢/٤ ونسب العباسي البيتين إلى ابن الراوندي انظر معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص ٥٣/١ المطبعة البهية المصرية ١٣٠٤ وذكر البيت الذي قبلهما: سبحان من وضع الأشياء موضعها
وفرق العز والإذلال تفريقا

(٣) المصدر السابق ٢٣٢/٤ وانظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤١٠، دار الكتب المصرية، لجنة من رجال وزارة المعارف ١٣٦٣-١٩٤٤.

به المقادير في تقسيم الأرزاق حتى يقع العالم النحرير في الفتنة ويتزندق، ونأخذ على تاج الدين محاولته إخضاع الشعر للمنهج العقلي، وهذا - في رأيي - نابع من تأثره بمناظرات العلماء حول قضايا العقيدة، والتي أكسبته حساسية تجاه كل ما يتعلق بهذه القضايا، فإخضاع الشعر للعقل ومحاكمته إلى المنطق ربما يخرجانه - في الغالب - عن طبيعته، فالشاعر يعبر عن صدى الأحداث في نفسه وعن تجاربه الشعورية، فهو يصدر فيها عن عاطفة وانفعال يتجلى في قوالبه اللفظية، وربما أفسد التعبير تحري الدقة المنطقية ومضايق الاحتراز والاحتراس وما يسميه الفقهاء سد الذرائع. فقد أراد الشاعر في البيتين أن يوضح ما يقع في عالمنا من مفارقات في تفاوت الأرزاق لحكمة قد جلت عن الأفهام فتلقى العاقل النابه مكديا، والجاهل الغمر غنيا. فظاهر هذه المفارقات قد يسبب للعالم حيرة وفتنة، وقول الشاعر "هذا الذي جعل الأوهام حائرة، يحمل على المبالغة التي لا تأباها طبيعة الشعر، فلعله يريد أن يصور حدة الفتنة حول هذه الحكمة المستكنة وراء هذه المفارقات، وقد احترز الشاعر في البيت الذي رواه العباسي قبل هذين البيتين ولم يروه السبكي وهو:

سبحان من وضع الأشياءَ موضعَها ... وفرَّق العز والإذلال تفريقا[1]

من الاشتباه في مراده، فهو يبدأ البيت بتنزيه الله، ويشهد أنه وضع الأشياء موضعها. وهذا المعنى الذي أراده الشاعر بالبيتين اللذين اعترض عليهما السبكي. ألح عليه الشعراء كثيرا كقول القائل[2]:

ولو كانت الأرزاقُ تجري على الحجى ... هَلَكْن إذن من جهلِهنَّ البهائمُ

وإن كان بيت أبي تمام فيه تقرير للواقع بغير مبالغة. ويدنو من الإشارة إلى هذا

---

(١) في عجز البيت نظر إلى قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ سورة آل عمران الآية رقم ٢٦.

(٢) ديوان أبي تمام /١٧٨ بشرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف مصر ٢، ١٩٦٩ - ١٩٧٦.

التفاوت في الجاه والسؤدد، قول أحمد بن عبد العزيز[١]:

الحمـــدُ لله علـــى مـــا أرى ... كـــأنني فـــي زمنـــي حـــالمُ
يســـودُ أقـــوامٌ علـــى جهلِـــهمْ ... ولا يســـودُ المـــاجدُ العـــالمُ

وقريب مما تقدم قول ابن الرومي[٢]:

أحمـــدُ اللهَ حمـــدَ شـــاكرِ نعمـــى ... قـــابلٍ شـــكرَ ربِّـــهِ غـــيرَ آبِ
طـــار قـــومٌ بخفَّـــةِ الـــوزنِ حتـــى ... لحقـــوا رِفعـــةً بقـــابِ العُقـــابِ
لا أعـــدُّ العُلـــوَّ منـــهم عُلـــوًّا ... بـــل طُفـــوًّا يميـــنَ غـــير كِـــذابِ
جيـــفٌ أنتنـــت فـــأضحت علـــى اللجـــة والـــدر تحتـــها فـــي حجـــاب

إلى أن يقول:

أتُرانـــي دونَ الأُولَـــى بلغـــوا الآمـــالَ مـــن شـــرطةٍ ومـــن كتـــابِ
وتجـــارٍ مثـــلِ البـــهائمِ فـــازوا ... بـــالمُنى فـــي النُّفـــوسِ والأحبـــاب
فيـــهم لكنـــةُ النبيـــطِ ولكـــن ... تحتـــها جاهليـــةُ الأعـــرابِ

وإن كان في كلامه نقمة وهجاء مبعثهما تجربته الشخصية فيما يراه في مجتمعه وللشعراء فيما يحاولون مذاهب.

وفي ترجمة الكرجي يقول تاج الدين: "أعلم أنا قد وقفنا على قصيدة تعزى إلى هذا الشيخ وتلقب بـ "عروس القصائد في شموس العقائد" نال فيها من أهل السنة، وباح بالتجسيم فلا حيا الله معتقدها ولا حيا قائلها كائنا من كان، وتكلم فيها في الأشعري أقبح كلام، وافترى عليه أي افتراء.

ثم رأيت شيخنا الذهبي حكى كلام ابن السمعاني الذي حكيته ثم قال:

---

(١) بغية الوعاة ٣٢٦/١.

(٢) ديوان ابن الرومي ٢٧٩/١-٢٨٢، تحقيق د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣.

قلت أولها[١]:

محاسنُ جسمي بُدِّلت بالمعايبِ وشيَّب فَوْدِي شَوْبُ وصلِ الحبائبِ

ومنها:

عقائدهم أن الإلهَ بذاته على عرشِه مع علمِه بالغَوائبِ

ويعلق تاج الدين على هذه القصيدة فيقول: "إني ارتبت في أمر هذه القصيدة وصحة نسبتها إلى هذا الرجل، وغلب على ظني أنها مكذوبة عليه، أو بعضها"[٢] وقد عالج تاج الدين أدلة تتعلق بتوثيق الرواية، فنفى صحة نسبتها إلى الشيخ الكرجي بخاصة الأبيات التي تنافي عقيدة أهل السنة وقد أوردنا هذه الأدلة في فصل "رواياته الأدبية"[٣].

ونعرض هنا تناوله لبعض أبياتها من حيث اللغة والقيمة الفنية فهو يتحدث حديث الناقد عن مستوى الشعر ولغته، ويريد أن يعتضد بهذا النقد على عدم صحة نسبتها فيقول "إن أبياتها غير متناسبة فإن بعضها شعر مقبول وأظنه شعره وبعضها وهو المشتمل على القبائح في غاية الرداءة لا يرضى به من يحسن الشعر وها أنا أحكي لك بعضها. فأولها يقول:

محاسنُ جسمي شانها بالمعايبِ وشيَّب فَوْدِي شَوْبُ وصلِ الحبائبِ
وأقبل شيبي والشبيبةُ أدبرت وقُرِّب من أحزاننا كلُّ غاربِ

ومنها أيضا:

وليس يردُّ العمرَ ما قلتُ آهةٌ ولا الحزنُ يُدني قاصياتِ الشبائبِ

---

(١) طبقات الشافعية ١٤١/٦.
(٢) المصدر السابق ١٤١/٦.
(٣) انظر ص ٨٠ وما بعدها من هذا البحث.

وهذا كله شعر مقبول، لا يصل إلى درجة الحسن، ولا ينزل إلى درجة الرداءة كما يعرف ذلك من يذوق الأدب"[١].

ومنها أيضا:

عقـــائدُهم أن الإلـــهَ بذاتـــه علـى عرشِـه مـع علمِـه بـالغوائب

يقول إنه بيت سمج مردود فإن قوله "على عرشه مع علمه بالغوائب" كلام لا ارتباط لبعضه ببعض، فإنه لا ارتباط لعلم الغيب بمسألة الاستواء"[٢].

وينتقد البيت من حيث اللغة فيقول: "قوله "بالغوائب" إن أراد جمع غيب فهو لحن، فإن الغيب لا يثنى ولا يجمع، لأنه اسم جنس ولئن جمع فجمعه غيوب وإن أراد جمع غائبة، لحن عليه"[٣].

ومضى تاج الدين يحلل معانيها ويدل على مقاتلها وغلبت عليه غيرة العالم السني الذي لا يقبل آراء المجسمة، فيقول: "إن صاحب القصيدة ساق أبياتا في اليدين والكف، والصوت والضحك ووضع القدم والأصابع، إلخ ... وجمعها مما يدل على محاولة التجسيم ذلك أنها لم ترد في الشريعة مجموعة، بل مفرقة، وفي كل مكان قرينة ترشد إلى المراد فإذا جمعها جامع أضل ضلالا مبينا"[٤].

ثم يعد من تمام تحامل صاحب القصيدة أنه ذكر أصحاب البدع[٥] حقا بلا خلاف بين الفقهاء والمحدثين في بيتين، ثم انثنى على الأشاعرة يشنع عليهم وأطال في ذلك، ولا يخفى أن الأشاعرة إنما هم نفس أهل السنة أو هم أقرب الناس إلى

---

(١) طبقات الشافعية ١٤٢/٦ و١٤٣.
(٢) المصدر السابق ١٤٣/٦.
(٣) المصدر السابق ١٤٣/٦.
(٤) المصدر السابق ١٤٣/٦.
(٥) يقول تاج الدين "فإن أهل البدع، الذين هم أهل البدع حقا بلا خلاف بين المحدثين والفقهاء، هم المجسمة، والمعتزلة، والقدرية، والجهمية، والرافضة والمرجئة" انظر طبقات الشافعية ١٤٤/٦.

أهل السنة"[١].

ثم يقول: "وأورد السمعاني كثيرا من شعره، وكله لا بأس به، وليس فيه إلا ما إذا وقف عليه أديب وعلى الأبيات القبيحة التي اشتملت عليها هذه القصيدة، قضى بأن قائل هذه غير قائل ذاك"[٢].

ه_ يعطي السبكي نموذجا آخر لما يدخل على المنشئين من سوء التعبير. يروي أن ابن سهل النحوي، قال: "حكيت للوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي قول أبي الحسن الكرخي أوصانا شيوخنا بطلب العلم، وقالوا لنا: اطلبوه واجتهدوا فيه، فلأن يذم لكم الزمان أحسن من أن يذم بكم الزمان. قال فاستحسن الوزير ذلك وكتبه، ثم عمل أبياتا وأنشدنيها وهي[٣]:

ولقد بلوتُ الدهر أعجَمُ صَرْفَهُ ... فأطاع لي أصحابُه ولسانُهُ
ووجدتُ عَقْلَ المرءِ قِيمةَ نَفْسِهِ ... وبجِدِّه جَدواهُ أو حِرْمانُهُ
وعلى الفتى أن لا يُكَفْكِفَ شَأْوَه ... عندَ الحفاظِ ولا يُغَضُّ عِيانُهُ
فإذا جفاه المَجْدُ عِيبتْ نفسُهُ ... وإذا جفاه الجَدُّ عِيبَ زَمَانُهُ

ويصف تاج الدين هذه الأبيات بأنها حسنة بالغة في بابها، ثم يورد محاولة الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني اختصارها، فقال:

تجنَّبْ أن تُذَمَّ بكَ الليالي ... وحاوِلْ أن يُذَمَّ لكَ الزمانُ
ولا تحفِلْ إذا كُمِّلتَ ذاتاً ... أصَبْتَ العِزَّ أم حَصَلَ الهوانُ

ويرى السبكي أن الشيخ "أغفل ما تضمنته أبيات الوزير الثلاثة من المعاني واقتصر على ما تضمَّنه البيت الرابع، ثم انقلب عليه المعنى، وأتي من سوء

---

(١) طبقات الشافعية ١٤٤/٦.
(٢) المصدر السابق ١٤٦/٦.
(٣) المصدر السابق ١٥١/٩، ١٥٢.

التعبير"[١]، وهذا هو المزلق الذي يؤكد السبكي في نقده للنصوص أن الشعراء يؤتون من جهته. كما رأينا في المثالين السابقين[٢]، ويوضح انقلاب المعنى عليه فيقول: (إن المقصود أن المرء يُكمِّلُ نفسه) ويجتهد دأبه ولا يقصر في طلب المعالي ولا يضيره زمانه، (وأما أنه يسعى في أن يذم له الزمان فليس بمقصود ولا هو مراد أشياخ الكرخي ولا يحمده عاقل)[٣] لأن الإنسان إذا كمّل نفسه وساعده جده، فذاك مبتغاه وغاية مناه، أمَّا أن يسعى في أن يتنكر له الزمان فهذا ما لا يطلبه عاقل. ولا يقف السبكي عند نقد المحاولة ولكنه يعطي النموذج لما ينبغي أن يقال ويكون وافيا بالغرض مؤديا للمعنى في مطابقة. فيقول: "وكان الصواب حيث اقتصر على معنى البيت الرابع أن يأتي بعبارة مطابقة، كما قلناه[٤]:

عليك كمالَ ذاتِك فاسْعَ فيها ... وليس عليك عِزٌّ أو هوانُ
وليس إليك أيضاً فاسعَ فيما ... إليك وأنت مشكورٌ مُعانُ
فذَمُّ الدهْرِ للإنسانِ خَيْرٌ ... من الإنسان ذُمَّ به الزمانُ

فهذا البيت عند السبكي وافٍ بالمعنى الذي قاله أشياخ الكرخي، مطابق له من غير زيادة ولا نقص. وليت السبكي استغنى عن البيت الثاني من أبياته فهو حشو ظاهر ثم يورد أبياتا مفردة[٥] يعدها أحسن مما تقدم كله:

جهلُ الفتى عارٌ عليه لذاتِهِ ... وخُمولُه عارٌ على الأيَّامِ

وقول الآخر:

أن يكونَ الزمانُ عَيْبِيَ أولى ... بِيَ من أن أكونَ عيبَ الزَّمانِ

---

(١) طبقات الشافعية ١٥٢/٩.
(٢) انظر ص ٢١٧ و٢١٨ من هذا البحث.
(٣) الكلمات بين الأقواس للمصنف، انظر طبقات الشافعية ١٥٢/٩.
(٤) المصدر السابق ١٥٣/٩.
(٥) المصدر السابق ١٥٣/٩.

وقول الآخر:

ما في خُمُولي مـــن عـــارٍ علـــى أدبـــي بـــل ذاك عـــارٌ علـــى الدُّنيـــا وأهلِيـــها

لعل هذه الأبيات فاقت ما قبلها - عند السبكي - لأنها عبرت عن المعنى في بيت واحد موجز من غير إخلال ولا إساءة تعبير.

و_ أورد تاج الدين في ترجمة تقي الدين أبي الفتح السبكي قصيدة حائية له مطلعها[1]:

وافتـــك عـــن قُـــربٍ تباشـــيرُ الفَـــــرَحْ وأتتـــكَ مُســـــرعةً مباشـــيرُ المِنَـــــحْ

ويعلق تاج الدين بقوله: "وهذه قافية حلوة، أول من بلغني نظم فيها عبد الله بن المعتز، حيث يقول:

خَـــلِّ الزمـــانَ إذا تقـــاعَسَ أو جَمَـــــحْ واشكُ الـــهُمُومَ إلـــى المُدامـــةِ والقَـــدَحْ

ثم يمضي فيستقصي القصائد التي جرت على هذا النمط من الوزن والقافية، فيذكر خمس قصائد، مما يدل على سعة اطلاعه على الأشعار، وله خلال استعراضه لأبيات من هذه القصائد، وقفات نقدية، اجتزأها اجتزاء، ولم يتعد في أحكامه كلمات ... كأنكر عليه فيها كذا وكذا ....."[2] من غير تحليل وتبيين لعلة الإنكار، أما حكمه على القافية بأنها حلوة، فهو حكم جزئي انطباعي لم يوضح لنا معيارا بعينه لهذه الحلاوة، إلا أن تكون ذوقا خاصا في تفضيل وزن على وزن وقافية على قافية، فالحلاوة في النص - إذا أراد بها جماله - ترجع إلى جميع عناصره شكلا ومضمونا. فصياغة الألفاظ في سلاسة من غير نبو ولا قلق مطلوبة، وحس أدائها للمعاني مطلوب. وسداد المعاني ونفاستها مطلوبة. "فالنقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة، يبدأ بالتذوق أي

---

(١) طبقات الشافعية ١٨١/٩ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ١٨٢/٩.

القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقويم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى وهي متدرجة على هذا النسق"[١] وليت السبكي أعطانا معيارا لهذه الحلاوة، ونرى السبكي يصدر أحكاما نقدية في أثناء استعراضه لهذه الأشعار الجارية على وزن واحد وقافية واحدة، فيقول عن ابن المعتز "... في أبيات أنكر عليه قوله فيها:

وإذا تمادَى في العتابِ قَطَعْتُهُ بالضَمِّ والتَّقبيلِ حتَّى نَصْطَلِحْ

لم يفصح السبكي عن علة الإنكار، ولعله لم يفعل لأنه يرى أن وجه النقد أظهر من أن يدل عليه بعلة وتبيان.

ويبدو أن الإنكار يأتي من جهة أن ابن المعتز وصف محبوبه بالسهولة والتهافت، فهو يرجع عن عتابه بالضم والتقبيل وهذا شيء ينافي دلال الحبيب وتمنعه وتأبيه وضنه، ولا سيما وهو عاتب على محبه فكيف يكون موطأ الأكناف يبيحه من نفسه ما كان أحرى أن يضن به إدلالا عليه شأن الحبيب المثالي في أعراف المحبين في تاريخ الشعر العربي، الذي يرضى محبه منه بما يرضى به جميل من بثينة:

وإنِّي لأرضى مِنْ بُثينةَ بالذي لو ابصرَهُ الواشِي لَقَرَّتْ بلابلُهْ
بلا، وبألاَّ أستطيع وبالمُنى وبالأملِ المَرْجُوِّ قَدْ خابَ آملُهْ
وبالنَّظرةِ العَجْلَى، وبالحولِ تنقضِي أواخرُه لا نَلْتَقِي وأوائلُهْ[٢]

ولا يتهالك محبوب ابن المعتز ويتهافت فحسب، بل يرده عن عتبه وإعراضه الضم والتقبيل فيرضى ويتصالح معه. أحسب أن وجه الإنكار عند تاج الدين من هذه الجهة، إذ أخل ابن المعتز بما يكون عليه الحبيب العزيز المنيع المدل على محبه -

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٤ د. احسان عباس ط ١، ١٣٩١-١٩٧١ بيروت.
(٢) ديوان جميل ص ٩٤ طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٨ وفيه "وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله" انظر الأغاني ١٠٥/٨ ط ٤، ١٩٧٨.

الذي لا يقضي لباناته إلا بقدر يسير يذكي أوار المحب في طلب المزيد.

يتناول بعد ذلك أبياتا من قصيدة مهيار:

ما كان سَهْماً غـــارَ بـل ظَبْيـــاً سَـنَحْ إن لـم يكـن قَتَـل الفـؤادَ فقـد جَـرَحْ
فـي خَـدِّهِ الكـافُورُ سُـــبْحَةُ عَنْـــبَر ما كـــان أغْفَلَنـي الغَـداةَ عـن السُّـبَحْ
وأمـــا ومِشْـــيتِه تَوقَّـــرَ تـــــارةً صَلَفـاً وأحيانـاً يُجَـنُّ مـــن المَـــرَحْ

في أبيات أنكر عليه قوله فيها بطح[1] يريد في قوله:

طـرفٌ تعـوَّدَ أنَّـه لـــو طـــاردَ الرِّيـــحَ الشـــمالَ عليـــه فارســـه بطـــح

وجاء بحواشي الديوان: يريد بقوله "بطح" ألقى الريح على وجهها وتقدمها[2]. ولم يبين تاج الدين وجه الاعتراض أو الإنكار، ولعل إشارة تاج الدين إلى كلمة "بطح" تكشف لنا علة إنكاره: فوصف الريح بأن تلقى على وجهها وصف ركيك.

ثم يورد أبياتا من قصيدة لابن سناء الملك يمدح بها القاضي الفاضل[3]:

يا قلبـــي ويحـــك إن ظبيـــك قـــد ســـنح فتنـــحَّ جُـــهدَكَ عـــن مَراتِعِـــه تَنَـــحْ

ويختار منها أبياتا متفرقة، ثم يورد ما قاله ابن سناء الملك من تعليق شعري على ما عيب على ابن المعتز ومهيار، ويبدو أن هذه القصائد جاءت في صورة معارضات، وهذه خطة معروفة في الشعر العربي. يقول ابن سناء الملك مشيرا إلى بيتي مهيار وابن المعتز[4]:

أضحـت علـى مِـهيارِ قبلـى ناشِـــزاً إذا قـــال عـــن محبُوبـــهِ فيـــها بَطَـــحْ
وتتـــــابعتْ فتحاتُـــــها فتـــــنزَّهتْ عـــن قـــولِ عبـــدِ اللهِ حتـــى نَصْطَلِـــحْ

---

(١) طبقات الشافعية ١٨٢/٩.
(٢) ديوان مهيار ١٨٧/١، دار الكتب المصرية القاهرة ط ١، ١٣٤٤-١٩٢٥ والبيت الذي قبله: وشكا جوادك في الضوامر بثه لما استراحت وهو تحتك لم يرح
(٣) طبقات الشافعية ١٨٢/٩ وما بعدها.
(٤) المصدر السابق ١٨٣/٩ و ١٨٤.

يقول تاج الدين: "ولقائل أن يقول: إن ابن سناء الملك قد وقع فيما وقع فيه عبد الله حين حكى قوله، وجعله قافية في قصيدته. وقد وقع هذا لكثير من شعراء العصر"[١] ولا أدري ما وجه العيب في أن ينقل شاعر كلمة لينقدها. فليس في هذا ما يعاب كما أسلفنا من قبل[٢] ثم يبين تاج الدين أن ابن سناء الملك الذي اعترض ابن المعتز ومهيارا بما اعترضهما قد وقع هو في واحدة، وهي قوله[٣]: "لا نمسح" فإنها لحن، ولي أبيات منها:

إن كان عبدُ الله أخطأ قولَهُ ... بالضَّمِّ والتَّقبيلِ حتى نَصْطَلِحْ
وأتى بشيءٍ ليس يحسُنُ ذِكْرُهُ ... مِهيارُ حيث يقولُ قافيةً بَطَحْ
فلقد لحنتَ وقلتَ فيما قُلتَهُ ... لو شئتُ أمسحُه بلثمِي لا نمسح[٤]

وظاهر أن السبكي نفسه قد حكى ما عاب على ابن سناء الملك حكايته في شعره من قول ابن المعتز ومهيار ويستوفي تاج الدين ما ورد في البحر والقافية فيروي أبياتا لكمال الدين بن النبيه[٥] مطلعها:

قم يا غلامُ ودعْ نصيحةَ من نَصَحْ ... فالدِّيكُ قد صَدَعَ الدُّجَى لَمَّا صَدَحْ

ثم يورد مطلع قصيدة شهاب الدين بن التلعفري[٦]:

ماءُ الغمامةِ والمُدامةِ والقَدَحْ ... وابنُ الحمامةِ في الآراكةِ قد صَدَحْ

ونستطيع أن نخلص مما تقدم عرضه من أحكام نقدية إلى أن السبكي كان ذا ملكة أدبية ناقدة ونظرة فاحصة ينفذ بها خلال النص إلى مواطن الضعف والقوة

---

(١) طبقات الشافعية ١٨٤/٩ وقد تقدم قوله: "لعل الشيخ صلاح الدين إنما ترك لفظة الرجوع ولم يذكرها في نقده لجرير - لنكارتها".
(٢) انظر ص ٢١٨ من هذا البحث.
(٣) المصدر السابق ١٨٤/٩.
(٤) المصدر السابق ١٨٤/٩.
(٥) المصدر السابق ١٨٤/٩ وهي في ديوانه ٢٦ و٢٧.
(٦) المصدر السابق ١٨٤/٩.

في النص الأدبي، ولا يكتفي بذلك، بل يوضح ما كان ينبغي أن يكون عليه النص ليصبح سالما مما أخذه عليه.

وأنه كان منهجيا - إلى حد ما - في نقده، فهو يعرض لآراء من سبقوه في نقد النص، ويناقش هذه الآراء ما لها وما عليها ويتخذ منها موقفا في استقلال رأي إن موافقا أو مخالفا. ونلحظ من خلال ذلك ملحظا طريفا وهو غلبة روح مهنة القضاء على أحكامه، فهو يميل أحيانا إلى درء الحكم بظن أو عذر لا يحمل عليه شيء صريح في النص، كأنه يستوحي القاعدة الشرعية "ادرأوا الحدود بالشبهات" ومن طريف ما أطلعنا عليه تاج الدين صياغة الآراء النقدية شعرا.

كما نلحظ أيضا أن بعض أحكام تاج الدين النقدية تتسم بالجزئية والتعميم من مثل قوله: قصيدة غراء، طنانة، قافية حلوة، شعر حلو ..... وما إلى ذلك.

ولعل مما يلحق بالمواقف النقدية للسبكي شروحه لبعض النصوص فتفسير النص - كما نعلم - جزء مهم من عملية النقد الأدبي، غير أن الجانب اللغوي قد غلب على شروح السبكي كما نرى في شروحه لقصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير، فهو يقول في شرح مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ مُتَيَّمٌ إثرَها لم يفدَ مكبُولُ

إثرها: بكسرة وسكون، وهو إما ظرف لمتيم متعلق به وإما حال من ضميره فيتعلق بمحذوف. ومكبول: اسم مفعول من كبله وكبله مشددا، إذا وضع في رجله الكبل بفتح الكاف وقد يكسر وهو القيد.

وما سعادُ غداةَ البين إذ رحلُوا إلا أغنُّ غضيضُ الطَّرفِ مكحُولُ

سعاد علم مرتجل، يعني به امرأة يهواها حقيقة أو ادعاء وقد أعاد ذكرها، والأصل وما هي، فأناب الظاهر عن المضمر، تلذذا بذكر اسم المحبوب، وسهل ذلك أنهما في جملتين مستقلتين، وبينهما جملة فاصلة.

وفي شرح قوله:

من كـــلِّ نضّاخـــةِ الذِّفـرى إذا عرِقـتْ عُرضَتُـــها طـــامِسُ الأعـــلامِ مَجْـــهُولُ

يقول السبكي:

الذفرى: ما تحت الأذن من يمين الرقبة وشمالها.

النضخ: أغلظ من الرشح.

وعرضتها: من قولهم فلان عرضة للسفر أي قوي عليه. معناه أنها مطيقة لقطع طامس الأعلام من الأرض.

ويقول في شرح قوله:

تَرْمِـــي الغُيُـــوبَ بعَيْنَـــيْ مُفْـــرَدٍ لَـــــهَقٍ إذا توقَّـــــدتِ الحِـــــزَّانُ والمِيـــــلُ

المفرد: ثور الوحش، شبه به الناقة.

اللهق: الأبيض.

والحزان: جمع حزيز، وهو الغليظ من الأرض. والمعنى: أن هذه الناقة قوية على السير في الهواجر إذا توقدت هذه المواضع من الحر.

ويقول في شرح قوله:

زالـــوا فمـــا زال أنكـــاسٌ ولا كُشُـــــفٌ عنـــــد اللقـــــاءِ ولا ميـــــلٌ معـــــازِيلُ

أنكاس: جمع نِكْس، وهو الرجل الضعيف.

والكُشُف: جمع أكشف، وهو الذي لا ترس معه.

وميل: جمع مائل، وهو الكفل الذي لا يحسن الفروسية.

والمعازيل: من قولهم رجل أعزل، إذا لم يكن معه رمح.

أي زالوا من بطن مكة وليس فيهم من هذه صفته، بل هم ذوو سلاح، فرسان عند اللقاء، رضي الله عنهم[1].

---

[1] طبقات الشافعية ١/٢٣٤-٢٤٢ انظر شرح السبكي لقصيدة كعب بن زهير.

وقد استقصى السبكي شرح معاني "العين" التي أوصل معانيها الشيخ بهاء الدين السبكي في قصيدة عينية له، مدح بها أخاه الشيخ جمال الدين الحسين، إلى خمسة وثلاثين معنى في المطلع[1]:

هنيئـــاً قـــد أقـــرَّ اللهُ عينـــي فـــلا رمـــتِ العـــدى أهلـــي بعيـــن

يقول تاج الدين: الأولى: الحاسة، والثانية: الإصابة بالعين.

وفي البيت:

يُخـــبِّرني بـــأن أخـــي أتـــاه مُنـــاهُ وسَـــعْدُهُ مِـــن كـــلِّ عَيْـــن

عين: الناحية.

وفي البيت:

فلـــو ســـمح الزمـــانُ لكنـــت أعطـــي لـــه مـــا فيـــه مـــن ورق وعيـــن

عين: الذهب عامة.

وأورد قصيدة للشيخ شرف الدين محمد بن عثمان، أوصل معاني الهلال فيها إلى ستة عشر معنى[2] تتبع السبكي كلمة الهلال الواردة في القصيدة بالشرح:

فالهلال في قول الشاعر:

إن شـــعري قـــد حـــط ســـعري حتـــى صـــار قـــدري كمثـــل قـــدر الـــهلال

ذؤابة النعل. وفي قوله:

ثـــم نحـــوي جـــر المكـــارم نحـــوي فـــاعتراني منـــها كلســـع الـــهلال

ضرب من الأفاعي.

---

(١) القصيدة في طبقات الشافعية ٩/٤١٦-٤٢٣.

(٢) القصيدة في طبقات الشافعية ٨/٧٦-٧٨ وصاحب القصيدة هو الشيخ شرف الدين القاهري، الفقيه، الأصولي، النحوي، توفي في المحرم سنة خمس وتسعين وستمائة، انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٨/٧٦.

وتكشف النماذج السالفة عن غلبة الجانب اللغوي على شروحه، ومما لا شك فيه أن استجلاء المعاني اللغوية هو أول خطوة في تحليل النص وقد تجاوز تاج الدين - أحيانا - مرحلة الشرح اللغوي إلى إعطاء المعنى الكلي للأبيات، فعل ذلك في بعض أبيات قصيدة كعب بن زهير.

رقم
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

تبين لنا من هذه الدراسة أن كتاب الطبقات يمثل مصدرا ثرا لكثير من النصوص الأدبية الموثقة بالأسانيد والتراجم الفنية للأدباء.

وقد تبينا القيمة العلمية لروايات تاج الدين الأدبية فقد أفاد من ثقافته الحديثية فجاءت جل رواياته مسندة على طريقة المحدثين، وإذا كان الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وغيرهم قد اهتموا بالأسانيد في بعض مروياتهم وأهملوه في بعضها تخفيفا على القراء، أو في الروايات التي ساقوها للتسلية والإمتاع فإن تاج الدين حرص على الإسناد في رواياته تسلية كانت أو غير تسلية. وحرص على تبيين درجات التحمل فتميز إسناده بالاتصال المرفوع، ولقد اكتملت في تاج الدين مؤهلات الراوية الموثق وهذا يعطي رواياته قيمة علمية نفيسة.

وتبين لنا أن تاج الدين لم يوافق غيره من الرواة في طرق تخريج الآثار الأدبية إلا في القليل النادر، مما يدل على أن كتابه أصيل في رواياته لا يعتمد على مصادر أخرى إلا قليلا، وبذلك أضاف إلى توثيق النصوص طرقا في التخريج تزيدها قوة وقيمة.

كذلك بينا أن تاج الدين كان ذا إدراك واع بأهمية الأمانة في النقل، والبعد عن الهوى الذي يحمل على تحريف الكلم عن مواضعه، فيشوه السير والأخبار. ومن ثم يؤكد تاج الدين أهمية اشتراط توفر العلم ومعرفة مدلولات الألفاظ في المؤرخ أو الكاتب، فإذا كانت مدلولات الألفاظ غائمة في ذهن من يستعملها أورث ذلك فوضى في نقل المعلومات وكان فيه تجنٍ على الحقائق العليمة، فهو ينبه إلى ما يشترطه رجال المنهج في تحديد معاني المصطلحات التي يستعملونها في معالجة قضايا الفكر فإن لم تكن مدلولاتها واضحة محددة في ذهن من يستخدمها فسيقع في أخطاء، ويوقع غيره في أخطاء، وهذه لفتة بارعة من السبكي. وقد أوضح الشروط التي ينبغي توفرها في المؤرخ والتي نقلها عن أبيه،

وفرعنا عليها القول بأن تاج الدين مؤرخ اجتمعت لـه آلة الرواية، فهو محدث يجل أمر الأسانيد، وقاض يتوخى القصد في شهاداته وعدل يستنزه عن أن يشان بما يقدح في صدقه ويخل بمروءته ويجرح في عدالته.

وتبين لنا من دراسة أحكامه النقدية أنه كان ذا ملكة أدبية ناقدة، ونظرة فاحصة ينفذ بها خلال النص إلى مواطن الضعف والقوة في النص الأدبي، ولا يكتفي بالدلالة على ذلك، بل يوضح ما كان ينبغي أن يكون عليه النص ليصبح سالما مما أخذه عليه. وأنه كان منهجيا - إلى حد ما - في نقده، فهو يعرض لآراء من سبقوه في نقد النص ويناقش هذه الآراء ما لها وما عليها، ويتخذ منها موقفا في استقلال رأي إن موافقا أو مخالفا. ولحظنا من خلال ذلك ملحظا طريفا وهو غلبة روح مهنة القضاء على أحكامه، فهو يميل إلى درء الحكم بظن أو عذر لا يحمل عليه شيء صريح في النص كأنه يستوحي القاعدة الشرعية (ادرأوا الحدود بالشبهات) ومن طريف ما أطلعنا عليه تاج الدين صياغة الآراء النقدية شعرا.

ولحظنا أيضا أن بعض أحكامه النقدية تتسم بالجزئية والتعميم مثل قوله: قصيدة غراء، طنانة، قافية حلوة، شعر حلو ... وما إلى ذلك.

وكشف لنا فصل التراجم حرص تاج الدين على ذكر تاريخ الميلاد ومكان وتاريخ الوفاة ما أمكن ذلك، كما يحرص على ذكر المشايخ الذين أخذ عليهم صاحب الترجمة والذين رووا عنه، ثم يورد أسماء مؤلفاته وطرفا من نشاطه الفقهي في الفتوى والحديث، ثم يفيض في إيراد اختيارات من شعره في أغراض شتى، وهذا يجعل للكتاب أهمية خاصة في الترجمة الفنية وفي توثيق وجمع أشعار من ترجم لهم.

كما تبين لنا احتفاء تاج الدين بالشعر التعليمي وهذا نابع من تكوينه الفقهي، فهو فقيه ومدرس، ونابع أيضا من طبيعة العصر الذي ألف فيه الكتاب، فهو عصر إحياء للعلوم وجمعها وتدوينها ومن ثم أعان على اهتمام تاج الدين بهذه

الناحية التعليمية فأورد أشعارا في موضوعات شتى من المعارف والعلوم وخص الفتاوى والأسئلة بعناية كبيرة فأورد منها قدرا، وهي وسيلة من وسائل التعليم. كما كشف لنا استخدام الشعر التعليمي في نصرة الآراء الفقهية وفي نفي شبهات الطاعنين في الشريعة أما احتفاؤه بتلك الفتاوى التي تدور حول حكم الضم والتقبيل فقد أوردها تاج الدين بقصد التسلية، وهذا أمر يطرد مع ما رسمه من منهج لكتابه ورمى بإيرادها ضمنا إلى أن الفقهاء استمعوا إلى الشعر في سعة صدر وإن كان فتاوى في لبانات العشق والهوى وردوا عليها وهذا يدخل في تجليته لموقف علماء المسلمين من الشعر. كما تبينا من خلال معالجته لقضية الإسلام والشعر محاولته الجادة في تجلية موقف الإسلام من الشعر، فقد أعانته في ذلك ثقافته الحديثية فساق الأحاديث الواردة في مدح الشعر وذمه وعلق عليها متنا وسندا، وجمع بينهما حين تعارضت واعتضد بما رواه مسندا من الشعر الذي أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحسنه وأجاز عليه.

وكشف لنا تاج الدين بما أورده من رسائل دارت بينه وبين بعض معاصريه، عن بعض خصائص الكتابة على عصره وبخاصة الرسائل الإخوانية، فقد غلب على أسلوبها الزينة اللفظية من جناس واقتباس وتضمين وسجع.

أما بعد، فهذا أهم ما استبان لي من نتائج هذا البحث الذي أرجو أن يكون في مادته ومنهجه ونتائجه مستحقا للجهد الذي بذل فيه، وأنا ذاكر بأخرة لكلمات العماد الأصفهاني: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ثبت المصادر والمراجع

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري د. محمد مصطفى هدارة، الطبعة الثانية درا المعارف مصر ١٩٦٩.

٢. الأدب في العصر المملوكي الدولة الأولى (٦٤٨ - ٧٨٣) د. محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر ١٩٧٠.

٣. الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي، أحمد صادق الجمال، الدار القومية القاهرة ١٩٦٦.

٤. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، علق حواشيه أحمد مصطفى المراغي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٦٧ - ١٩٤٨.

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر القرطبي ٣٦٨ - ٤٦٣ هـ الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد ١٣١٨ هـ.

٦. الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، الطبعة الأولى دار الفكر العربي مصر ١٩٥٥.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢) طبعة بالأوفست مكتبة المثنى، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨ هـ.

٨. الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي ١٢٢ - ٢١٦ هـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية دار المعارف مصر ١٩٦٤.

٩. الأغاني، علي بن الحسين المعروف بأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق د. عبد الستار أحمد فراج، طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٧٥.

١٠. اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية ٦٦١ – ٧٢٨، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، مطبعة السنة المحمدية مصر ١٣٦٩ هـ.

١١. ألحان السواجع، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي مخطوط تحت رقم ١٢٧٦ ب مجموعة في الأدب، مكتبة محافظة الإسكندرية.

١٢. إنباه الرواة على أنباه النحاة، الوزير جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف القفطي، ٥٦٠ – ٦٤٦ هـ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية ج١ – ج٣ (١٩٥٠ – ١٩٥٥).

١٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام ت ٧٦١، شرح وتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٦٨ – ١٩٤٩.

١٤. البداية والنهاية، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤، نشر مكتبة المعارف بيروت والنصر الرياض ١٩٦٦.

١٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاضي محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ، مطبعة السعادة الطبعة الأولى القاهرة ١٣٤٨ هـ.

١٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١٩، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٤ – ١٩٦٤.

١٧. البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ١٥٠ – ٢٥٥ هـ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٨.

١٨. البيت السبكي، محمد الصادق حسين، دار الكتاب المصري القاهرة ١٩٤٨.

١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي، الزبيدي ت ١٢٠٥ هـ المطبعة الخيرية بجمالية مصر الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ.

٢٠. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري ت ٦٧٦ هـ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة الطبعة الثانية ١٣٩٣ - ١٩٧٣.

٢١. تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين. د. إحسان عباس دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٤.

٢٢. تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، د. إحسان عباس دار الأمانة بيروت الطبعة الأولى ١٣٩١- ١٩٧١.

٢٣. تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ٦٨٣ - ٧٤٨ مخطوط دار الكتب تحت رقم ٤٢ تاريخ

٢٤. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، مصر، الطبعة الثانية ١٣٥٩ - ١٩٤٠.

٢٥. تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر د.ت.

٢٦. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، اعتنى بطبعة السيد مصطفى علي، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد د.ت.

٢٧. تزيين الأسواق، داود الأنطاكي، المطبعة الأزهرية القاهرة ١٣٢٨ هـ.

٢٨. التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ١٩٦٥.

٢٩. تعريف القدماء بأبي العلاء، جمعه وحققه لجنة من رجال وزارة المعارف العمومية بإشراف د. طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٣ - ١٩٤٤.

٣٠. توشيع التوشيح، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ٦٩٦ - ٧٦٤، تحقيق ألبير حبيب مطلق، دار الثقافة بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٦.

٣١. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ.

٣٢. تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، مطابع دار التراث العربي بيروت ١٤٠١ - ١٩٨١.

٣٣. ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي، ذيل المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين أحمد الأبشيهي مصر د.ت.

٣٤. جامع الترمذي، الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة ٢٠٠ - ٢٧٩، الناشر الحاج حسن إيراني، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٥٣ هـ.

٣٥. جمهرة أشعار العرب أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، دار صادر بيروت ١٩٦٣ - ١٣٨٣.

٣٦. حديث الأربعاء، د. طه حسين دار المعارف مصر ١٩٥٧.

٣٧. الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول د. عبد اللطيف حمزة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي القاهرة ١٣٦٦ - ١٩٤٧.

٣٨. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، مطبعة إدارة الوطن القاهرة ١٢٩٩ هـ.

٣٩. الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الحلبي / مصر ١٣٥٦ - ١٩٣٨.

٤٠. الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، د. أحمد أحمد بدوي، الطبعة الأولى، نهضة مصر القاهرة ١٩٥٤.

٤١. الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، د. أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٣.

٤٢. خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي الملقب بتقي الدين، ت ٨٣٨ هـ، المطبعة الأميرية القاهرة ١٢٩١ هـ.

٤٣. الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر محمد النعيمي الدمشقي ت ٩٢٧، تحقيق جعفر الحسيني، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٨.

٤٤. دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة ١٩٣٣.

٤٥. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧١.

٤٦. دراسات في الشعر العربي، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية ١٩٨٢.

٤٧. دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، من عمل يوهان فك، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٧٠ - ١٩٥١.

٤٨. درة الأسلاك في دولة الأتراك، الإمام الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الشافعي ٧١٠ - ٧٧٩ هـ مخطوط (من خط ١٣٥٨ هـ) دار الكتب المصرية.

٤٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند حيدر آباد الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ.

٥٠. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ، صححه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزي، دار المنار مصر الطبعة الثالة ١٣٦٦ هـ.

٥١. دول الإسلام، مختصر على ترتيب السنين ينتهي إلى سنة خمس عشرة وسبعمائة، ثم ذيله إلى سنة أربع وتسعين وسبعمائة. الذهبي، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الطبعة الثانية ١٣٦٤ هـ.

٥٢. ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس ابن جريج، تحقيق د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣.

٥٣. ديوان ابن المعتز، تصحيح ب لوين استانبول، مطبعة المعارف ١٩٥٠.

٥٤. ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبرزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية ١٩٦٩-١٩٧٦.

٥٥. ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ، دار صادر بيروت د.ت.

٥٦. ديوان امرئ القيس، لأبي الحجاج بن يوسف بن سلمان المعروف بالأعلم الشنتمري، صححه الشيخ ابن أبي شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٣٩٤ - ١٩٧٤.

٥٧. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي دار الكتب المصرية ١٩٥٧.

٥٨. ديوان جرير، شرح عبد الله الصاوي، القاهرة ١٣٥٣ هـ.

٥٩. ديوان جميل بن معمر، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٨.

٦٠. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، اعتنى بتصحيحه محمد أفندي شكري، مصر مطبعة الإمام ١٣٢١ هـ.

٦١. ديوان الحلاج، تحقيق لويس ماسينيون، المطبعة الأهلية باريس د.ت.

٦٢. ديوان حميد بن ثور الهلالي، حققه عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧١ - ١٩٥١.

٦٣. ديوان شعر ذي الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، عني بتصحيحه كارليل هنري هيس مكارنتي، طبعة كلية كمبردج ١٣٣٧ - ١٩١٩.

٦٤. ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٥.

٦٥. ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر بيروت ١٣٨٢ - ١٩٦٢.

٦٦. ديوان طرفة بن العبد، تحقيق وشرح كرم البستاني مكتبة صادر بيروت د.ت.

٦٧. ديوان علقمة الفحل، مجموعة الخمسة دواوين، المطبعة الوهبية القاهرة ١٢٩٣.

٦٨. ديوان الفرزدق، جمعه وطبعه عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٥٤ - ١٩٣٦.

٦٩. ديوان مهيار الديلمي، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الأولى ١٣٤٤ - ١٩٢٥.

٧٠. ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٩.

٧١. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، القسم الأول، المجلد الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة، ١٣٦١ - ١٩٤٢.

٧٢. زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق الحصري القيرواني، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم د. زكي مبارك، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٩٢٥.

٧٣. سجع المطوق لابن نباتة المصري، مخطوط تحت رقم ١٢٧٦ ب مجموعة في الأدب، مكتبة محافظة الإسكندرية.

٧٤. السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، قام بنشره د. محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٢.

٧٥. سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، الناشر الحاج حسن إيراني ١٣٢٣ هـ

٧٦. السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد القاهرة ١٣٨٤ - ١٩٦٤.

٧٧. سيرة ابن هشام، علق عليها وضبطها طه عبد الرءوف سعد مطبعة دار الجيل بيروت ١٩٧٥.

٧٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩، المكتب التجاري للطباعة بيروت د.ت.

٧٩. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى مصر الطبعة الرابعة عشر ١٣٨٥ - ١٩٦٥.

٨٠. شرح ديوان الحماسة، لأبي علي بن محمد بن الحسن المرزوقي، ت ٤٢١، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧١ - ١٩٥١.

٨١. شرح ديوان كعب بن زهير، الإمام أبي سعد بن الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري ٢١٢ - ٢٧٥، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٦٩ - ١٩٥٠.

٨٢. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي بيروت د.ت.

٨٣. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف مصر ١٩٦٦.

٨٤. شعر صفي الدين الحلى، جواد أحمد علوش، بغداد مطبعة المعارف، الطبعة الأولى ١٩٥٩.

٨٥. صبح الأعشى في كتابة الإنشا، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ٧٥٦ - ٨٢١، المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٢٠.

٨٦. صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محي الدين أبي زكريا بن شرف النووي ٦٣١ – ٦٧٦، الطبعة الأولى، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧ – ١٩٣٩.

٨٧. صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٣٧٥ – ١٩٥٥.

٨٨. صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى النهضة الحديثة، عبد الحميد حسن، دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الأولى ١٩٥٠.

٨٩. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٧٢٧ – ٧٧١ تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٣ – ١٣٩٥، ١٩٦٤ – ١٩٧٦.

٩٠. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي ١٣٩ – ٢٣١ تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة ١٩٧٤.

٩١. طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة الطبعة الأولى القاهرة ١٣٩٢ – ١٩٧٢.

٩٢. علوم الحديث ومصطلحه، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة عشرة بيروت ١٩٨٢.

٩٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي بن رشيق القيرواني الأزدي ٣٩٠ – ٤٥٩ هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت ١٩٧٢.

٩٤. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبعة بولاق ١٣١٧ هـ.

٩٥. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة، دار الكتب القاهرة ١٣٤٨ – ١٩٣٠.

٩٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر المكتبة السلفية، القاهرة ١٣٨٠ هـ.

٩٧. فوات الوفيات، محمود بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣ - ١٩٧٤.

٩٨. في النقد الأدبي عند العرب، د. محمد طاهر درويش، دار المعارف القاهرة ١٩٧٩.

٩٩. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت ٨١٧ هـ، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧١ - ١٩٥٢.

١٠٠. قصة الأدب في العالم، أحمد أمين وزكي نجيب محمود القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٣.

١٠١. قواعد في علوم الحديث، للعلامة ظفر أحمد العثماني التهانوي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٢ - ١٩٧٢.

١٠٢. الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمود أبي الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة د.ت.

١٠٣. كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة الطبعة الأولى، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٦٨ - ١٩٤٩.

١٠٤. كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي الملقب بتقي الدين المطبعة الأميرية القاهرة ١٢٩١ هـ.

١٠٥. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١ هـ، درا صادر للطباعة والنشر ودار بيروت ١٣٧٤ - ١٩٥٥.

١٠٦. لسان الميزان، الحافظ ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، حيدر آباد ١٣٣٠هـ.

١٠٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة الطبعة الأولى، نهضة مصر القاهرة ١٣٧٩ - ١٩٥٩.

١٠٨. المستدرك على الصحيحين في الحديث، الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ت ٤٠٥، مطابع النصر الحديثة، الرياض د.ت.

١٠٩. مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

١١٠. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٦٦.

١١١. المعارضات في الشعر العربي، د. محمد بن سعد بن حسين، الرياض، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

١١٢. معاهد التنصيص (شرح شواهد التلخيص) عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي، المطبعة البهية المصرية، القاهرة ١٣٠٤ هـ.

١١٣. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، مطبعة السعادة مصر ١٣٢٤هـ.

١١٤. معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ٦٢٦هـ، نشر دافيد مرجليوث، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأخيرة، مطبوعات دار المأمون، إشراف د. أحمد فريد الرفاعي د.ت.

١١٥. موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٥.

١١٦. معيد النعم ومبيد النقم، عني بتصحيحه وطبعه داود ولهلم موهرمن، طبع في ليدن ١٩٠٨.

١١٧. المفضليات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٨٣ - ١٩٦٤.

١١٨. ملامح الشخصية المصرية في الدراسات البيانية في القرن السابع الهجري، د. مصطفى الصاوي الجويني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠.

١١٩. مناقب الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي المعروف بابن الخطيب، القاهرة ١٢٧٩.

١٢٠. منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، د. عثمان موافي، مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية، الطبعة الثانية ١٩٧٦.

١٢١. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الأتابكي، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١١١٣ تاريخ

١٢٢. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي المعروف بالمقريزي، مطبعة النيل بمصر ١٣٢٦هـ.

١٢٣. الموشح، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ت ٣٨٤هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر ١٩٦٥.

١٢٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨، عبسي الحلبي، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٢ - ١٩٦٣.

١٢٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥١ - ١٣٧٥، ١٩٣٢ - ١٩٥٦.

١٢٦. نهاية الإرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت ٧٣٣، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥٧، ١٩٣١ - ١٩٣٨.

١٢٧. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي الطبعة الثانية باعتناء هلموت ريتر، دار النشر فرانزستانير بفنسنادن، الطبعة الثانية ١٣٨١ - ١٩٦٢.

١٢٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ٦٠٨ - ٦٨١ تحقيق د. إحسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٦٨.

١٢٩. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك ابن محمد بن إسماعيل الثعالبي ت ٤٢٩، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٩٩ - ١٩٧٩.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مـــلـــحـــق

ثبت أسماء الأدباء الذين ترجم لهم السبكي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ثبت أسماء الأدباء الذين ترجم لهم تاج الدين السبكي مرتب على حروف المعجم

١. إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي، أبو إسحاق الشيرازي، ولد بفيروز آباد، وهي بليدة بفارس سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة، توفي في الليلة التي صبيحتها يوم الأربعاء الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وأربعمائة يقول عنه تاج الدين: له أدب أعذب من الزلال مازجته المدام وأزهر من الروض باكره الغمام.

(الطبقات ٤/٢١٥-٢٣٦)

٢. أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله أبو شمر الخمقري، القاضي، أبو نصر البهوني من أهل بهونة، إحدى القرى الخمس التي يقال لها بنج ديه، من قرى مرو، ويقال لمن ينسب إليها خمقري. قال ابن السمعاني: كان إماما فاضلا متفننا، مناظرا مبرزا، عارفا بالأدب واللغة، مليح الشعر، ولد في العشرين من شعبان سنة ست وستين وأربعمائة. توفي في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

(الطبقات ٦/٢٠-٢١)

٣. أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي قاضي القضاة، شمس الدين، ابن شهاب الدين. يقول تاج الدين "وله في الأدب اليد الطولى، وشعره أرق من أعطاف ذي الشمائل لعبت به الشمول وأعذب في الثغور من ارتشاف الضرب وإنه لفوق ما تقول". من مصنفاته كتاب "وفيات الأعيان" وهو كتاب جليل. توفي بدمشق في سنة إحدى وثمانين وستمائة.

(الطبقات ٨/٣٣-٣٤)

٤. أحمد بن محمد بن أحمد، القاضي أبو العباس الجرجاني، صنف كتاب "كنايات الأدباء وإشارات البلغاء" جمع فيه محاسن النظم والنثر. توفي سنة اثنين وثمانين وأربعمائة.

(الطبقات ٤/٧٤-٧٥)

٥. أحمد بن محمد بن الحسين، القاضي، أبو بكر الأرجاني الشاعر الملقب ناصح الدين. ولد في حدود سنة ستين وأربعمائة، أصله من شيراز، توفي بتستر، سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

(الطبقات ٦/٥٢-٥٣)

٦. إسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد صاحب حماة، توفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.

(الطبقات ٩/٤٠٣-٤٠٧)

٧. الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بندار، أبو علي الديار بكري الشاتاني. كان مقيما بالموصل. مولده بشاتان سنة عشر وخمسمائة، مات في شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

(الطبقات ٧/٦١-٦٢)

٨. الحسن بن صافي بن عبد الله، أبو نزار الملقب بملك النحاة. له شعر مجموع في ديوان. ولد ببغداد سنة تسع وثمانين وأربعمائة، توفي يوم الثلاثاء الثامن من شوال سنة ثمان وستين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق.

(الطبقات ٧/٦٣)

٩. الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد الوركاني، من وركان، الشيخ فخر الدين أبو المعالي. توفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة عن نيف وثمانين سنة.

(الطبقات ٧/٦٦)

١٠. سعد بن محمد بن سعد بن صيفي، الشيخ شهاب الدين أبو الفوارس التميمي، الشاعر المشهور كان يلقب بالحيص بيص. له ديوان شعر مشهور، توفي سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

(الطبقات ٩١/٧)

١١. صلاح الدين الصفدي، خليل بن إيبك، الإمام الأديب الناظم الناثر، أديب العصر، ولد سنة ست وتسعين وستمائة، مات عاشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة.

(الطبقات ٥/١٠-٣٣)

١٢. عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، كمال الدين أبو البركات ابن الأنباري، توفي ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

(الطبقات ١٥٥/٧-١٥٦)

١٣. عبد الرحيم بن علي بن الحسن، القاضي الفاضل ولد في نصف جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة مات سنة ست وتسعين وخمسمائة.

(الطبقات ٢١٥/٤-٢٣٦)

١٤. عبد العزيز محمد بن عبد المحسن شرف الدين أبو محمد الحموي الأديب، الماهر، الشاعر، المفلق، ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة بدمشق. توفي في ثامن رمضان سنة اثنين وستين وستمائة.

(الطبقات ٢٥٨/٨)

١٥. عبد القاهر الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن الشيخ أبو بكر الجرجاني. من مصنفاته إعجاز القرآن الكبير، وإعجاز القرآن الصغير. توفي سنة إحدى وسبعين وقيل أربع وسبعين وأربعمائة.

(الطبقات ١٤٩/٥-١٥٠)

١٦. عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن علي الميانجي، أبو المعالي بن أبي بكر. قال عنه ابن السمعاني كان فقيها فاضلا شاعرا مفلقا رقيق الشعر. صلب ظلما ببلدة همذان، ليلة الأربعاء السابع من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

(الطبقات ١٢٨/٧)

١٧. عبد الله بن محمد البخاري، الشيخ الإمام أبو محمد البافي، توفي في المحرم سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، نسبة إلى "باف" قرية من قرى خوارزم.

(الطبقات ٣١٧/٣-٣٢٠)

١٨. علي بن الحسن بن علي الباخرزي، أبو الحسن الباخرزي الأديب. صاحب "دمية القصر"، قتل بباخرز في ذي القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة.

(الطبقات ٢٥٦/٥-٢٥٧)

١٩. علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل أبو الحسن الجرجاني. قاضي جرجان، له ديوان شعر مشهور، صنف كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" توفي بالري في ذي الحجة، سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة.

(الطبقات ٤٥٩/٣-٤٦٢)

٢٠. علي بن محمد، وقيل علي بن أحمد هو أديب زمانه أبو الفتح البستي مات سنة إحدى وأربعمائة ببخارى.

(الطبقات ٢٩٣/٥-٢٩٦)

٢١. عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس، الشيخ الفقيه النحوي زين الدين بن الوردي يقول عنه السبكي: شعره أحلى من السكر المكرر وأغلى قيمة من الجوهر. توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة بحلب.

(الطبقات ٣٧٣/١٠ وما بعدها)

٢٢. القاسم بن سلام، أبو عبيد، الفقيه، الأديب المحدث، صاحب التصانيف الكثيرة: في القراءات والفقه واللغة والشعر، توفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين.

(الطبقات ١٥٣/٢-١٦٠)

٢٣. القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة وتوفي في يوم الإثنين ثامن رجب سنة ست عشرة وخمسمائة.

(الطبقات ٢٦٦/٧-٢٧٠)

٢٤. محمد بن إبراهيم بن ثابت بن فرج أبو عبد الله ابن الكيزاني، الشاعر المشهور، توفي في ربيع الأول، سنة اثنين وستين وخمسمائة، له ترجمة في خريدة القصر ١٨/١-٤٠، وفي وفيات الأعيان ٤٦١/٤.

(الطبقات ٩٠/٦-٩١)

٢٥. محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد أبو المظفر الأبيوردي، يقول تاج الدين "ورد في شعره ما عجز عنه الأوائل" توفي بأصبهان، في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة.

(الطبقات ٨١/٦-٨٤)

٢٦. محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية، الإمام أبو بكر الأزدي، البصري نزيل بغداد، مولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين وهو صاحب القصيدة المعروفة بمقصورة ابن دريد. يقول السبكي: كان رأسا في العربية وأشعار العرب. توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

(الطبقات ١٣٨/٣-١٤٢)

٢٧. محمد بن الحسن بن سليمان، أبو جعفر الزوزني البحاث، ذكر أن مصنفاته في الحديث والتفسير والفقه وأنواع الأدب تربو على المائة، وله شعر كثير كما نص تاج الدين السبكي، توفي ببخارى سنة سبعين وثلاثمائة.

(الطبقات ١٤٣/٣-١٤٥)

٢٨. محمد بن عبد الرحمن بن عمر، قاضي القضاة جلال الدين القزويني. توفي بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

(الطبقات ٩/١٥٨-١٦١)

٢٩. محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد، أبو عبد الرحمن النيلي، أحد أئمة خراسان، له ديوان شعر، توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة.

(الطبقات ٤/١٧٨-١٧٩)

٣٠. محمد بن عبد اللطيف بن يحيى بن علي بن تمام السبكي، تقي الدين أبو الفتح، الفقيه، المحدث، الأديب، المتقن، له الأدب الغض والألفاظ التي لو أصغى إليها الجدار لأراد أن ينقض، كما يقول تاج الدين.

(الطبقات ٩/١٦٧-١٨٧)

٣١. محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عمر بن ميمون أبو الفرج الدارمي. ولد يوم السبت، الخامس والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. مات بدمشق يوم الجمعة أول ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

(الطبقات ٤/١٨٢-١٨٨)

٣٢. محمد بن علي بن الحسن بن علي بن عمر، أبو الحسن، ابن أبي الصقر الواسطي. فقيه، أديب شاعر، مولده في ذي القعدة سنة تسع وأربعمائة توفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة بواسط.

(الطبقات ٤/١٩١-١٩٢)

٣٣. محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد بن حمدان أبو سعيد الجاواني، الحلوي، العراقي، من مؤلفاته "شرح المقامات" و"عيوب الشعر". مولده في سنة ثمان وستين وأربعمائة. يبدو أن تاج الدين انفرد بترجمته.

(الطبقات ٦/١٥٢-١٥٣)

٣٤. محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، أبو الفتح تقي الدين، ولد الشيخ القدوة مجد الدين بن دقيق العيد، توفي حادي عشر صفر سنة اثنين وسبعمائة.

(الطبقات ٢٠٧/٩-٢٤٩)

٣٥. محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد، الشيخ الإمام صدر الدين بن المُرَحِّل. مولده سنة خمس وستين وستمائة، وتوفي بالقاهرة في سنة ست عشرة وسبعمائة. أديب شاعر وشاح.

(الطبقات ٢٥٣/٩-٢٦٧)

٣٦. محمد بن محمد بن حامد بن محمد، العماد الكاتب ويعرف بابن أخي العزيز وبابن أله، من أهل أصبهان ولد بأصبهان في ثاني جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وخمسمائة، من تصانيفه "الخريدة" و"البرق الشامي" و"الفتح القدسي" وغير ذلك.

(الطبقات ١٧٨/٦-١٨٣)

٣٧. محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة، أديب العصر الشيخ جمال الدين، حامل لواء الشعر في زمانه، مولده بالقاهرة سنة ست وثمانين وستمائة ومات بها سنة ثمان وستين وسبعمائة.

(الطبقات ٢٧٣/٩)

٣٨. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الحياني الأصل، مولده بمطخشارش، وهي مدينة مسورة من أعمال غرناطة سنة أربع وخمسين وستمائة وذكر المقري أن مطخشارش ليست مدينة وأنها موضع بغرناطة. انظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، ط بيروت ١٩٦٨ - ٥٥٩/٢.

(الطبقات ٢٧٦/٩-٣٠٧)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

تقديم أ. د. هدارة د - و

قالوا عن البحث ز - ط

المقدمة ي - ق

الباب الأول: السبكي وعصره ٣ - ٤٢

الفصل الأول

الحياة الفكرية في القرن الثامن الهجري ٣ - ٢١

تمكين صلاح الدين للفكر السني ٣ - أسباب نشاط الحياة العقلية في مصر وظهور الموسوعات ٤ - وفود العلماء إلى مصر ٥ - مدراس دمشق ٦ - تجارة الكتب وأنواعها ٧ - اهتمام الأوساط العلمية بكتب الفقه ٧ - ما ينبغي أن يقرأ في المساجد ومسئولية النساخ في رأي السبكي ٨ - علماء العصر ٨ - التاريخ ١٠ - علوم اللغة ١١ - العلوم العقلية ١٣ - الشعر ١٥ - النثر ١٧ -

الفصل الثاني

تاج الدين السبكي وروافده الثقافية ٢٤ - ٤٢

ميلاده ونسبه ٢٤ - أسرته ٢٥ - مشايخه وتعهد أبيه له ٢٦ - إجازة

العلماء له وقدراته العلمية ٢٧ – العلوم التي أتقنها ٣٠ –قاعدة في علم التاريخ ٣١ – معيد النعم ومسئوليات الأفراد ٣١ – مقصد في الإضافة العلمية على طريق التصنيف ٣٣ – تاج الدين الأديب ٣٤ – شعره ٣٥ – مراسلاته الشعرية مع الصفدي ٣٦ – أسلوبه ونماذج من نثره ٣٧ – المناصب التي شغلها ٣٨ – محنة تاج الدين وأسبابها ٣٩ – وفاته ٤١ –

الباب الثاني: السبكي والرواية والترجمة ٤٥ – ١٨٥

الفصل الأول

رواياته الأدبية وقيمتها العلمية ٤٥ – ١٠٥

معنى الرواية ٤٥ – نشأة الإسناد وصلته بالأدب ٤٥ – هل الرواية الأدبية أصل قائم بذاته ٤٥ – سبب تحري الإسناد في الحديث ٤٥ – صورة التحمل في إسناد رواة القرن الثاني الهجري لأخبار الجاهلية ٤٦ – الفرق بين رواية الحديث ورواية الأدب ٤٧ – بعض العلماء المتأخرين يجردون مروياتهم الأدبية من الأسانيد ٤٧ – حرص السبكي على الإسناد في رواياته الأدبية ونصه على ذلك ٤٨ – تحذيره حاملي طبقاته من استثقال أسانيدها ٤٩ – حديث الأئمة عن أهمية الإسناد ٤٩ – قاعدة في فن التاريخ وشروط ينبغي توفرها في المؤرخ ٤٩ – السبكي يرسي معلما في الكتابة الموضوعية عن التراجم ٥١ – السبكي يوضح خطورة التعصب والهوى على التاريخ ٥٢ – انتقاده لشيخه الذهبي ٥٢ – أهمية معرفة مدلولات الألفاظ وتحديد مفهومات المصطلحات ٥٣ – أمثلة من روايات السبكي الأدبية المسندة ٥٤ – روايته لخبر قدوم

كعب بن زهير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنشاده اللامية ٥٤ - إسناد آخر لخبر قدوم كعب ومراسلاته مع أخيه بجير رضي الله عنه ٥٧ - حرص السبكي على ذكر دقائق تتعلق بدرجات التحمل ٥٩ - إسناد صاحب الأغاني في رواية قدوم كعب ٥٩ - استقلال السبكي بطرقين في تخريج خبر كعب وما امتاز به إسناده عن إسناد صاحب الأغاني ٦٠ - أسانيد خبر إنشاد النابغة الجعدي النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته الرائية ٦٢ - تعليل السبكي لإيراده إسنادا آخر أنزل لرواية خبر النابغة ٦٧ - ما أورده السبكي من قصيدة النابغة ٦٧ - رواية السبكي لأبيات قتيلة بنت الحارث ٦٨ - روايته لرائية أبي صرد التي ناشد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ٧٠ - رواية ابن إسحاق لمناشدة أبي صرد ٧١ - رواية السبكي لقصيدة ابن زريق ٧٢ - رواية قصة تتعلق بالقصيدة ٧٤ - رواية السبكي لقصة نصر بن حجاج وتحقيق عن مدى صحتها ٧٥ - تعليل لسكوته عن رواية قصة نصر بن حجاج ٧٨ - تحقيق السبكي لأبيات تنسب للشيخ محمد بن عبد الملك الكرجي ٧٨ - ملاحظات على تحقيق السبكي ٨٠ - نقد السبكي لأبيات القصيدة ٨٢ - السبكي وأبو الفرج الإصبهاني وقصيدة الفرزدق في علي بن الحسين رضي الله عنهما ٨٣ - مقارنة بين رواية السبكي لبعض النصوص ورواية مصادر أخرى: ٨٥ - للامية كعب بن زهير ٨٥ - لأبيات كعب في مديح الأنصار ٨٨ - لمراسلات كعب وأخيه بجير ٨٩ -التنبيه إلى الاختلاف بين روايتي السبكي والديوان في ترتيب الأبيات ٩٠ - مقارنة بين رواية السبكي ورواية ابن حجة لقصيدة علي بن زريق البغدادي ٩١ - مقارنة بين رواية السبكي لأبيات حميد بن ثور في الحمامة ورواية ديوانه ٩٦ - مقارنة بين

روايتي السبكي والرازي لطرف من أشعار الإمام الشافعي ٩٨ – ما رواه السبكي ولم يروه الرازي من أشعار الإمام الشافعي ١٠٢ – تعقيب على الفصل ١٠٤ –

الفصل الثاني

اختياراته النثرية والشعرية ١٠٧ – ١٧٥

تصنيف الاختيارات ١٠٧ – اختياراته النثرية ١٠٧ – خصائص الرسائل الإخوانية وأثر القاضي الفاضل في توجه الكتابة إلى ألوان البديع والبيان ١٠٨ – حديث ابن حجة عن أثر القاضي الفاضل في معاصريه ومن جاء بعده ١٠٨ – النويري والسبكي يشيدان بصناعة القاضي الفاضل في الإنشاء ١٠٨ – تعليل بهاء الدين السبكي لاهتمام المصريين بصناعة البيان ١٠٩ – حديث الصفدي عن تأثير القاضي الفاضل في ابن نباتة ١١٠ – حديث ابن حجة عن تأثير ابن نباتة في بعض الأدباء ١١٠ – مراسلات تاج الدين وبرهان الدين القيراطي ١١١ – اقتباسات من رسالة تاج الدين ١١٣ – عرض لموضوعاتها وخصائصها ١١٥ – غلبة التجنيس على أسلوب تاج الدين وأمثلته من الرسالة ١١٧ – إجابة القيراطي وتتبعه بالرد على ما جاء في رسالة تاج الدين ١١٨ – رسالة أخرى لتاج الدين إلى القيراطي وخصائصها ١٢٠ – الاهتمام بالسجع ١٢١ – لزوم عبارة بعينها في مفاتح الرسالة ١٢٢ – كلمات يكثر دورانها في الرسائل ١٢٣ – رسالة تاج الدين إلى صلاح الدين الصفدي وخصائصها ١٢٤ – أمثلة من اقتباسات تاج الدين من القرآن وتضمينه الأشعار ١٢٤ – ملمح من تفنن تاج الدين في صياغة مقدمة الطبقات ١٢٦ – خلاصة مجملة لخصائص الرسائل الفنية ١٢٧ – الشعر التعليمي هل نشأ نشأة عربية أم بتأثير

أجنبي ١٢٨ – دواعي الشعر التعليمي في القرن الثامن الهجري ١٢٩ – مزج المديح بالنحو ظاهرة جديدة ١٣٠ – عرض لأبيات من القصيدة النحوية ١٣٠– قصيدة ابن نباتة التي ضمنها أبياتا من ملحة الإعراب وجعلها في المديح ١٣١ – منظومة في التصريف وأخرى في علم الحديث ١٣٢ – قصيدة في ترجيحات والد تاج الدين الفقهية ١٣٣ – نظم تاج الدين لمسائل الخلاف ١٣٤ – قصيدة في قواعد العقائد ١٣٤ – قصيدة في أسماء الشجاج ونعوتها ١٣٥ – قصيدة في اللغة ١٣٥ – قصيدتان في نصرة الآراء الفقهية ١٣٦ – فتاوى وأسئلة ١٣٧ – فتاوى طريفة في لبنات الهوى ١٣٨ – أسئلة وأجوبتها في البلاغة والنحو وفتوى عن الغيبة والسماع ١٤١ – ١٤٢ – أشعار في الرد على شبهات طاعن في الشريعة ١٤٣ – تعقيب ١٤٥ – المعارضات ١٤٦ – هدف المعارضة وأول ما أثر فيها ١٤٦ – إشارة تاج الدين إلى أن هدف المعارضة التفوق على السابق ١٤٨ – قصيدة ابن نباتة في مدح ابن الزملكاني ومعارضة الخياط لها ١٤٨ – أبيات ابن الدواليبي ١٥٠ – مناقشة أحد الباحثين فيما عده من شروط المعارضة ١٥٠ – بائية ابن المرحل وبائية ابن الخيمي ١٥٢ – معارضة أبي حيان لقصيدة كعب بن زهير ١٥٣ – معارضة الحلى لقصيدة أبي تمام وقصائد من نفس الروى والوزن ١٥٤ – حرص تاج الدين على استقصاء ما جاء على وزن وروى واحد ١٥٦ – حائية تقي الدين أبي الفتح، حائية ابن المعتز، حائية مهيار، معارضة ابن سناء الملك لحائية ابن المعتز وحائية مهيار ١٥٦ – حائية ابن النبيه وحائية شهاب الدين التلعفري ١٥٧ – اقتراح بمعارضة ١٥٧ – ابن المبارك وقصيدة عمران بن حطان الخارجي ١٥٨ – معارضات لقصيدة عمران بن حطان

١٥٨ - معارضات ميدانها الخلاف حول مسائل تتعلق بالعقيدة ١٦١ - تعقيب ١٦٢ - الموشحات ١٦٢ - ١٦٩ - تاج الدين وأدب المرأة العربية ١٦٩ - ١٧٥ -

الفصل الثالث

تراجمه للأدباء ١٧٧ - ١٨٥

حديث تاج الدين السبكي عن منهجه في الترجمة ١٧٧ - رواية ابن خلدون عن شعر الفقهاء ١٧٨ - وصف منهجه في التراجم ١٧٨ - ملمح من تطبيقه للقاعدة التي ذكرها عن التراجم ١٨٠ - وقفة في تحقيق الأسماء ١٨١ - مقارنة بين تراجم السبكي وتراجم معاصرين له وسابقين عليه للأدباء أنفسهم ١٨١ - خلاصة الفصل ١٨٥ -

الباب الثالث: مواقفه الأدبية والنقدية ١٨٩ - ٢٣٤

الفصل الأول

قضية الإسلام والشعر ١٨٩ - ٢٠٧

أحاديث نبوية في مدح الشعر، تأويل "إن من البيان لسحرا" ١٨٩ - حديث عن حسان بن ثابت في رجال سنده عدد من الشعراء ١٩٠ - استماع رسول الله صلى الله عليه وسلم للشعر واستنشاده من يحفظه ١٩١ - أحاديث في ذم الشعر ١٩٢ - الجمع بين الأحاديث المادحة والذامة وتوجيهها ١٩٢ - استماعه عليه الصلاة والسلام للشعر وإجازته لكعب ١٩٥ - قبوله شفاعة من تشفع بالشعر ١٩٥ - استحسانه عليه الصلاة والسلام لبيتي النابغة ١٩٥ - ربط الأصمعي

بين الشعر والشر ١٩٦ - الإسلام والانضباط الأخلاقي في القول والعمل ١٩٧ - الإسلام لا يرفض من الشعر العفيف البريء ١٩٨ - نماذج من مرويات السبكي الشعرية ١٩٩ - استحسان سعيد بن المسيب لأبيات النميري في زينب أخت الحجاج ٢٠١ - مناقشة مقولة الأصمعي : الشعر بابه الشر ... ٢٠٣ - تعقيب على الفصل ٢٠٧ -

الفصل الثاني

أحكامه النقدية وشروحه ٢٠٩ - ٢٣٤

نقد السبكي للعماد وما يعاب عليه من كثرة الجناس ٢٠٩ - معيار السبكي لما يحسن من الجناس ٢٠٩ - إيراد السبكي لرأى الصفدي في العماد ٢١٠ - السبكي يعطي مثالا من جناس العماد المطبوع ٢١١ - مقارنة موجزة بين عبارة للعماد وأخرى للقاضي الفاضل ٢١١ - نقد السبكي لأبيات الحافظ أبي الطاهر السلفي ٢١٣ - نقد السبكي لبيت من أبيات ابن بقى ٢١٣ - تعليق على إصلاح السبكي للبيت ٢١٤ - ٢١٥ - السبكي ونقد بيت لجرير ٢١٦ - تأثر السبكي في نقده بمهنة القضاء ٢١٨ - التزام السبكي ٢١٩ - تنديد السبكي ببيتين ينسبان للمعري ٢٢٠ - إخضاعه الشعر للمنهج العقلي ٢٢١ - معنى البيتين المنسوبين للمعري ألح عليه الشعراء كثيرا ٢٢١ - وقفة نقدية مع قصيدة للكرجي ٢٢٢ - نموذج آخر لما يدخل على المنشئين من سوء التعبير ٢٢٥ - محاولات نظم الشعراء لمقولة أشياخ الكرخي وتعليق السبكي على هذه

المحاولات ٢٢٥ - إشارات نقدية في أثناء عرض السبكي لأبيات من قصائد حائية ٢٢٧ - محاولة تحديد علة إنكار السبكي على أبيات من هذه الحائيات ٢٢٨ - خلاصة وتعقيب ٢٣٠ - شروحه ٢٣١ -

الخاتمة ٢٣٥ - ٢٣٧

ثبت المصادر والمراجع ٢٣٨ - ٢٥٠

ملحق: ثبت أسماء الأدباء الذين ترجم لهم السبكي ٢٥٢ - ٢٥٨

فهرس الموضوعات ٢٥٩ - ٢٦٦

تم بحمد الله

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com